مغربية . ألمانية

مسارات

تقاطعات في الحياة والمجتمع

إعداد وتنسيق : عبد اللطيف يوسفي . رحيم حجي . صرية موقيت

مغربية ـ ألمانية

مسارات

تقاطعات في الحياة والمجتمع

مشروع مشترك لكل من جامعة ماغدبورغ ـ
شتيندال وشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا

بمشاركة:

عزالدين **المعروفي**
بيتر **هاوسفالد**
أم كلثوم **بوكْرين**
زينب **الداودي**
محمد **أعسيلة**
محمد **أخرضيض**
رحيم **حجي**
جون جوزيف **ليفي**

عبد الرحمن **مشراوي**
ليلى **بكراوي**
حسن **ديهازي**
صرية **موقيت**
ناريمان **حموتي راينكه**
زينب **المسرار**
ميمون **عزيزي**
مليكة **العبدلاوي**

حفصة **البوحموشي**
وسيمة **لعبيش**
محمد **الكروشي**
مجيد **حمدوشي**
محمد **البوزياني**
كريم **زيدان**
مريم **صاب**
مونية **رزق الله**

مليكة **رياض**
بنعيسي **لمروبيل**
رشيد **العزوزي**
خالد **سيهولي**
إدريس **الجاي**
فوزية **طيبي**
محمد **مسعاد**
عبد اللطيف **يوسفي**

بدعم من

Deutsch-Marokkanisches Kompetenznetzwerk e.V.
Hanns Seidel Stiftung
Stadt Frankfurt am Main
h2 Hochschule Magdeburg • Stendal

الناشر

يمنع نشر أو نقل هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي وسيلة من الوسائل الورقية أو الالكترونية إلا بإذن خطي مباشر.
إن الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي أصحابها.

جميع الحقوق محفوظة

إعداد وإشراف
عبد اللطيف يوسفي | رحيم حجي | صرية موقيت

إشراف
رحيم حجي | صرية موقيت

التصميم الغرافيكي (المحتوى والغلاف)
عبد اللطيف يوسفي

المترجم
محمد مسعاد

الطبعة الأولى 2022

حقوق النشر لدى المشرفين على المشروع

حقوق الصور لدى المصورين

الفهرس

تقديم عام

سفراء بين ضفتين
عبد اللطيف يوسفي، رحيم حجي، صرية موقيت 6

عز الدين المعروفي
افتتاحية شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا 8

د. منير عزاوي
المندوب الجهوي لمؤسسة هانس زايدل في المغرب وموريتانيا 10

أنيته فيدمان ماوتس وزيرة الدولة لشؤون الهجرة واللجوء والاندماج (2018 – 2021)
كلمة تقديمية 11

من المغرب إلى ألمانيا
جيسيكا شيفر، مونى المعروفي، رحيم حجي 12

جيسيكا شيفر
محاولة لاعادة ترتيب مساهمات هذا العمل 20

الجيل الأول

بيتر هاوسفالد
"جلب اليد العاملة الأجنبية" 24

أم كلثوم بوكْرين
"أحب الخير للجميع وأشعر بالحزن عندما أرى العنف والظلم." 30

زينب الداودي
"بدلاً من التحرر، تعرفت على الجنون المعاصر". 38

محمد عسيلة
"سيرتي المختصرة" 46

محمد أخرضيض
"في الواقع، أردت فقط زيارة خالي" 48

ميمونت حجي
"إيماينو" 60

جيل الطلبة

جون جوزيف ليفي
"ما بقي الآن هو مجرد أقلية لثقافة بعدما تقلصت أعدادها بشكل كبير" 66

عبد الرحمن مشراوي
"رحلة جنوب ـ شمال: سيرة حياة" 70

ليلى بكراوي
"بحث متواصل عن الجديد" 82

حسن ديهازي
"عدم الاستسلام والاصرار على تحقيق الهدف" 86

صرية موقيت
"أناضل ضد كل أشكال التمييز." 90

الفهرس

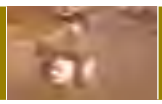

الجيل الثاني

ناريمان حموتي راينكه
"أنا جندية ألمانية، هل هناك اندماج أكثر من هذا؟" 102

زينب المسرار
"المغرب هو موطن جذوري الدينية والثقافية." 106

ميمون عزيزي
"مبدأ الأمل أو كيف نمضي قدما في الحياة." 114

مليكة العبدلاوي
"التنوع في مجتمعنا هو فرصة لنا جميعًا، يجب الاستفادة من إمكانياته الكبيرة." 120

حفصة البوحموشي
"على المسلمين استعادة سلطة النقاش" 128

وسيمة لعبيش
"أحب أن أكون كما أنا وليس كما يراه الآخرون" 134

العمل الجمعوي

محمد الكروشي
"العديد من التطورات الإيجابية في هذا العالم، بدأت كحلم وكفكرة طوباوية". 148

مجيد حمدوشي
"الاعتراف المتبادل أساس الاحترام" 156

محمد البوزياني
"جاليتنا كبرت وأصبحت أكثر تنوعا." 162

كريم زيدان
"لون البشرة أو الأصل هما مجرد مشكلة في أذهان الناس." 166

عالم الفن

مريم صاب
"أجد نفسي مستمتعة عندما تتعانق في حياتي ثقافتين مختلفتين وثريتين." 174

مونية رزق الله
"برلين عاصمة الموسيقى الكلاسيكية ومستقبلك هناك" 178

مليكة رياض
"رصيف الولع - سيرة ذاتية" 184

بنعيسي لمروبل
"أحب الشخص الذي يجعل ذاته موضوعا للسخرية." 188

حياة الشاوي
"إرث الحنين" 196

الفهرس

الرياضة

رشيد العزوزي
"كنت أول مغربي يخوض منافسات البندسليغا." 202

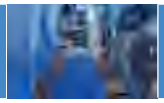

آداب وشعر

خالد سيهولي
"طنجة من هنا تبحر السفن نحو العالم" 208

إدريس الجاي
"اللسان ما فيه عظم"" 214

فوزية طيبي
"القصيدة لا وطن لها!" 216

محمد مسعاد
"نظارات الخائن" 222

عبد اللطيف يوسفي
سأتزوج كلبا 226
منطقة عازلة 235

سيرة[حياتي]

..... 238

تقديم

تصوير - ريناته كوهلر - جسر ستوربيلت، الدنمارك

سفراء بين ضفتين

عبد اللطيف يوسفي، رحيم حجي، صرية موقيت

القارئات العزيزات، القراء الأعزاء،

تعود فكرة هذا الكتاب إلى بضع سنوات للوراء. وهي خرجت من رحم احتفالية شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا في 2013 بمناسبة مرور خمسين سنة على الهجرة المغربية في ألمانيا. فقد خلف هذا الحدث الاحتفالي، الذي رافقه معرض "سفراء بين ضفتين" عن خلفية وسياق الهجرة المغربية إلى ألمانيا، ردود فعل إيجابية للغاية في بلد الإقامة وبلد الأصل معا. وهو الحدث الذي حضره عدد من الضيوف، من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: من الجانب الألماني البروفيسور نوبرت لامارت رئيس البندستاغ آنذاك، والأستاذة الجامعية والرئيسة السابقة للبرلمان الألماني ريتا سيسموت، وممثل المستشارة الألمانية أنغيلا ميركيل في إفريقيا، وشخصيات أخرى من عالم السياسة والفكر والبحث العلمي. أما من الجانب المغربي فشارك سفير المملكة المغربية في برلين عمر زنيبر، إلى جانب وزير مغاربة العالم عبد اللطيف معزوز، وشخصيات أخرى ممثلة لمجلس الجالية المغربية في الخارج ومؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين في الخارج. كما شهدت الاحتفالية عدة فعاليات، وموائد مستديرة، وعروضا موسيقية ومسرحية.

الأصداء الإيجابية لهذه الفعالية بلورت لدينا: صرية موقيت، ورحيم حجي، وعبد اللطيف اليوسفي، أحد المساهمين الأساسيين في تنظيم وإحياء الذكرى الخمسين، فكرة لتجميع ونشر كتاب يحتوي على بورتريهات ومقابلات وأعمال أدبية تتناول الهجرة المغربية في ألمانيا بطرق متعددة. غير أن الدافع الحاسم وراء إنجاز هذا المشروع تمثل في أحداث "ليلة رأس السنة في كولونيا" عام 2015. إذ إن أي شخص تابع التقارير الصحفية التي تناولت تلك الأحداث، يتكون لديه انطباع بأن الجالية المغربية في ألمانيا تتكون حصريًا من شبان مهووسين جنسيا، يجوبون البلاد طولا وعرضا ويتحرشون بالنساء. وقد توجت ذروة هذا الوصم بمصطلح "نفريس" „Nafris" الذي ظهر فجأة على شفاه الجميع. وهو المصطلح الذي كانت تستخدمه قوات الأمن في ملفاتها كوصف مختزل لمرتكبي الجنح من شمال إفريقيا. بين عشية وضحاها، وجد العديد من مغاربة ألمانيا أنفسهم وجها لوجه مع هذا الوصم باعتبارهم مجرد أجانب ينبغي حشرهم في الزاوية، ودفعهم إلى هامش المجتمع. وهي الأحكام الجاهزة التي حاولوا بكل جهدهم تغييرها على امتداد عقود من خلال العمل الجاد، والالتزام، والتعليم، والأداء الجيد. شكلت هذه التطورات حافزا أساسيا لدينا للمضي قُدمًا لإنجاز

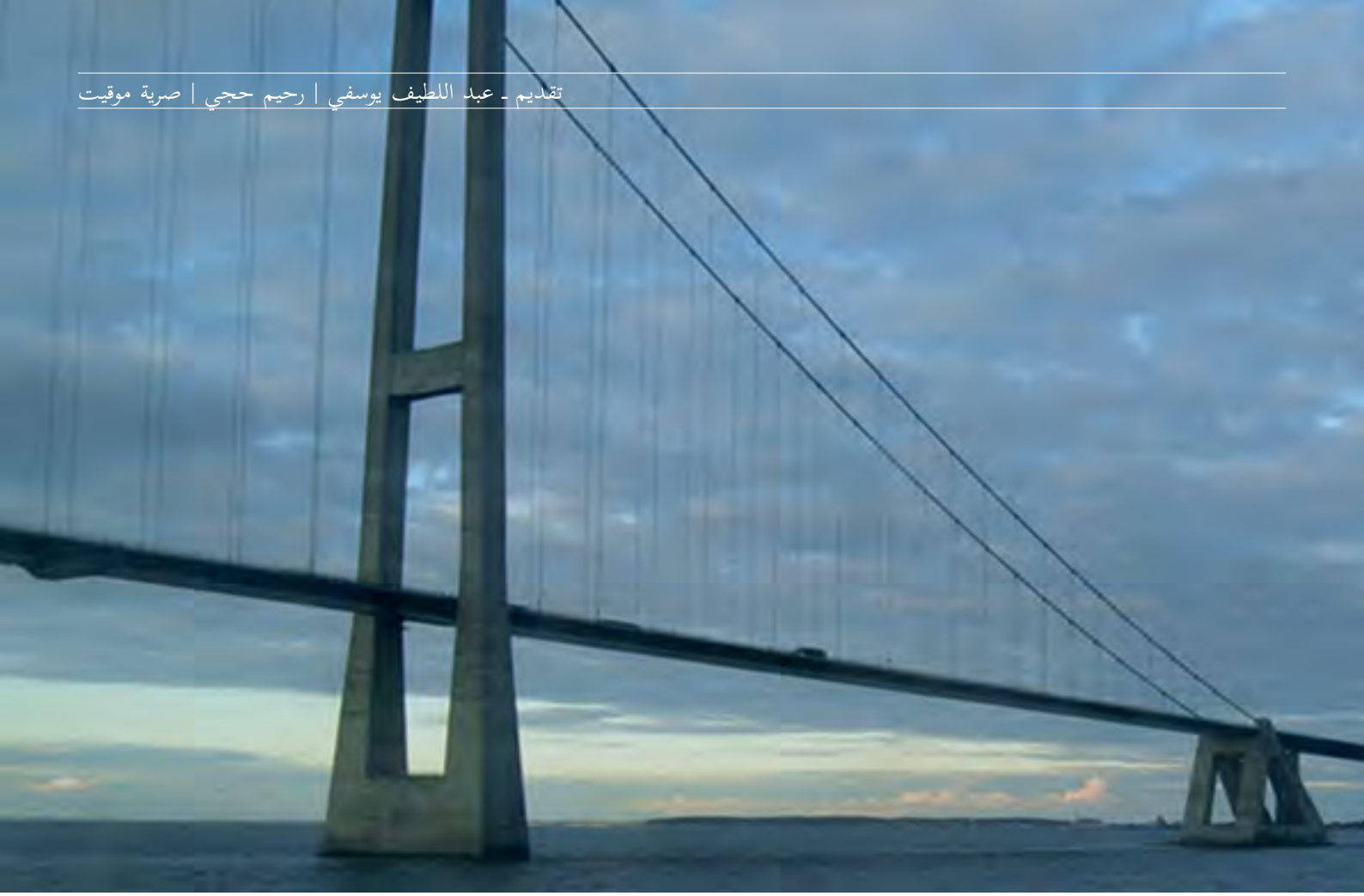

هذا العمل، ولإظهار التنوع والاختلاف لدى مغاربة ألمانيا في جميع مجالات الحياة. غني عن القول إننا لا نتجاهل، ولا نقلل من أهمية هذه المسألة. فمن الضروري التقصي في الأسباب واتخاذ الإجراءات ضد المتورطين. غير أن اختزال مغاربة ألمانيا في هذا الحدث، أمر غير منصف على الإطلاق. من خلال هذا الكتاب نعبر عن رغبة مغاربة ألمانيا في التعريف بهم لدى الرأي العام الألماني على نطاق أوسع، على أمل القضاء على الأحكام المسبقة والجاهزة، ومواجهة التمييز والعنصرية. من الأهمية بمكان التأكيد على مدى إصرارانا طيلة مدة إنجاز هذا العمل على الحفاظ على هذه المساهمات بشكلها الأصلي دون تعديل، أو تنقيح، أو إضافة. لذا، فإن كل مساهمة هنا هي فريدة من نوعها، وكأنها حلقة في سلسلة تاريخ الهجرة المغربية. عند قراءة هذه المشاركات الفردية، وفرزها، وتصميمها، كنا سعداء للغاية لحد التأثر بقصص السير الذاتية المتنوعة لشخصيات من مختلف فئات المجتمع. وبرز هذا التطور الاجتماعي بشكل خاص في إحدى الحكايات التي يتم تداولها على سبيل النكتة. إنها تقول إن أحد المغاربة، أو من كان يعرف وقتها بـ "العامل الضيف"، وجد نفسه محاطا بعزلته في ليالي الشتاء القارسة وأيامها القصيرة في بلدة صغيرة في غابة البلاتينات غرب البلاد. كانت لديه رغبة جامحة في التحدث بلغته الأم. وبما أنه وقتها كانت المكالمات الهاتفية مع الأهل في المغرب باهظة الثمن ومعقدة وتستغرق وقتًا طويلاً، كما أنه لم يجرؤ على ولوج حانة القرية، لأن الحانات والمقاهي عادة ما يكون زوارها من الزبائن الدائمين، ويصعب التواصل والانسجام معهم، ناهيك عن الحاجز اللغوي للهجة "البلاتينية" التي بالكاد يمكن فهمها، فما كان منه إلا أن توجه إلى أقرب مركز شرطة، وطلب من الشرطي المناوب أن يساعده في العثور على عنوان أو رقم هاتف أحد المغاربة القاطنين في المناطق المجاورة، لأنه وحيد، ويريد التعرف على أبناء بلده. تفهم الشرطي وضعية هذا الزائر الغريب، وتناول ورقة وكتب له اسما وعنوانا. وعندما نظر الغريب إلى الورقة أصابه ضحك هستيري، لأن الاسم المكتوب على الورقة لم يكن سوى اسمه هو.

انطلاقا من هذه القصة التي أخذنا بعدها بعين الاعتبار، ألقينا نظرة على نصوص وصور المغاربة الألمان. إنهم جسر وسفراء أثروا وطنهم الجديد، ونماذج يحتذى بها في خدمة البلد الأصل.

قراءة ممتعة.

لا ندعي أن هذا العمل يمثل مغاربة ألمانيا، ولكنه محاولة لتسليط الضوء على جزء منهم، والمساهمة في توثيق هذه الذاكرة. كنا نتمنى أن تكون المساهمات أكثر ولكن الإمكانيات محدودة.
شبكة الكفاءات الألمانية المغربية، تهدف أساسا إلى المساهمة في تعزيز التنمية المستدامة في المغرب من خلال نقل المعرفة وتمكين الألمان من أصل مغربي من المشاركة المجتمعية والسياسية، ومد جسور التعاون بين ألمانيا والمغرب.

القارئات العزيزات، القراء الأعزاء،

يتضمن هذا المجلد قصص العديد من المغاربة، الذين قرروا الهجرة إلى ألمانيا لأسباب مختلفة، بعضهم من أجل الدراسة، والبعض الآخر للعمل، وآخرون في إطار لم شمل الأسر. كما يقربنا هذا العمل أكثر من هواجس وتطلعات الجيل الثاني. وهو ما يجعل هذا المجلد مرآة تعكس حيوية تاريخ الهجرة المغربية إلى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. تعتبر الهجرة بالنسبة للعديد من الأشخاص، قرارًا صعبًا ومؤلمًا أحيانا، وتحديا كبيرا. إذ يتعين عليهم سلك طريقهم للتغلب على ثقافات وبنىً جديدة، في ظل ظروف غير مستقرة ومقلقة في الغالب، من أجل إثبات الذات وتأمين وجود جديد وعلاقات جديدة.
يلقي هذا المجلد نظرة عامة وغنية على تاريخ هجرة المغاربة إلى ألمانيا، من خلال قصص ذاتية مثيرة لعدد من الأشخاص تعكس مدى ارتباط حياتهم والتصاق تجاربهم مع الهجرة. لقد قدم هؤلاء الأشخاص مساهمات مهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لكلا البلدين، لم تحظ إلى حد ما بالاعتراف اللازم. يأتي هذا العمل كمحاولة لإبراز هذه المزايا في المجتمعين الألماني والمغربي كتقدير لهذه الجهود. كما يصبو هذا المجلد أيضا إلى إظهار التنوع والتعايش الثقافي وتعزيز أهميتهما في المجتمع.

أنا شخصياً هاجرت إلى ألمانيا مرتين، مرة للدراسة من خلال منحة دراسية لأكاديمة التبادل الجامعي (DAAD) ومرة أخرى في عام 1994 لتولي وظيفة في قطاع البيئة، ولكي أكون قرب أسرتي التي أسستها آنذاك. من خلال هجرتي بين الثقافتين تعلمت أن أقدر تقبل الآخر والتنوع والتعايش بين الثقافات. كما أدركت أيضًا مدى عولمة ترابط مجتمعنا وبيئتنا.
وبهذه الروح تعمل شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا (DMK)، والتي حددت لنفسها هدف التقريب بين الناس في ألمانيا والمغرب من خلال التبادل والتعاون في المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية.
خصوصا في أوقات الأزمات هذه جراء جائحة كورونا وتداعيات تغير المناخ والحروب في مناطق مختلفة من العالم، هناك حاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى التفاهم والتعاون والتضامن الدولي. هذا بالإضافة إلى الدور المهم لشبكات المجتمع المدني في تذويب الخلافات وتقريب وجهات النظر، على غرار ما حدث خلال الأزمة السياسية التي شهدتها العلاقات الألمانية المغربية في سنة 2021.

ترى الشبكة نفسها جسرا بين البلدين، من خلال تنفيذ العديد من المشاريع في ألمانيا والمغرب منذ تأسيسها في عام 2009؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: مشاريع الطاقة الشمسية في مجال إمدادات المياه في منطقة الصويرة، والمرافق الطبية في منطقة فكيك، والعديد من ورش العمل والفعاليات الإعلامية حول مواضيع اجتماعية وعلمية واقتصادية وقضايا المشاركة، لاسيما في مجال تعليم وتنوير مغاربة ألمانيا.

هناك حدث آخر يلوح في الأفق لتعزيز التفاهم والعلاقات الوثيقة بين شعبي البلدين، ألا وهو الاحتفال في عام 2023 بالذكرى الستين للهجرة المغربية في ألمانيا. فاتفاقية جلب اليد العاملة المغربية إلى ألمانيا لعام 1963، هي جزء من عدد من اتفاقيات جلب اليد العاملة الأجنبية للعمل في ألمانيا، أحيانا في ظل ظروف صعبة للغاية، من أجل المساهمة في إعادة بناء وازدهار اقتصاد ألمانيا بعد الدمار الذي تعرض له جراء الحرب العالمية الثانية. وكما توضح المساهمات الواردة في هذا العمل، فإن مغاربة الجيل الأول كافحوا وناضلوا تدريجياً من أجل ظروف عمل وعيش أفضل، ومن أجل انتزاع المزيد من الحقوق والمشاركة الدائمة في هذا المجتمع، الذي ساهموا في إعادة تشكيله على المدى الطويل أيضا. تهدف احتفالية الذكرى الستين ـ مستلهمة الأثر الجيد لاحتفالية مرور نصف قرن، التي خلدتها الشبكة في برلين عام ألفين وثلاثة عشر تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة محمد السادس ـ إلى تعزيز وتقوية التنوع الثقافي والتضامن في ألمانيا، من خلال استحضار التاريخ المتعدد للهجرة ومنحه التقدير الذي يستحقه.

عُرض كتاب "مسارات مغربية ـ ألمانيا: تقاطعات في الحياة والمجتمع" في العديد من المدن الألمانية ضمن فعاليات متنوعة (موسيقية، وأدبية، وفنية). والهدف من هذا العمل هو إبراز السير الذاتية المتنوعة للمشاركين والمشاركات، ومنح المهتمين في ألمانيا رؤية أخرى حول واقع حياة المهاجرين، وبالتالي إبراز وجهات النظر التي تُظهر مزيدًا من التقدير لمشاركتهم المجتمعية.
ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية بفضل مؤسسة هانس زايدل من شأنها التعريف بهذه المسارات المغربية الألمانية وتقاطعاتها في الحياة والمجتمع، عبر سلسلة من الفعاليات في عدد من المدن المغربية.
كما ستتيح للقارئ المغربي فرصة للتعرف عن كثب على حياة وعمل مغاربة ألمانيا وتاريخ هجرتهم.

قراءة ممتعة ومفيدة.
د عزالدين المعروفي: رئيس شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا

تصوير ـ المعروفي

تصوير: د. منير عزاوي - بورتريه

د. منير عزاوي
المندوب الجهوي لمؤسسة هانس زايدل في المغرب وموريتانيا

القارئات العزيزات، القراء الأعزاء،

تغمرني سعادة كبيرة أن نضع بين أيديكم الترجمة العربية لهذا العمل: "مسارات مغربية ـ ألمانية: تقاطعات في الحياة والمجتمع" لشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا. وهو ما سيتيح للقارئ العربي أيضا فرصة لإلقاء نظرة عميقة على هذا المحتوى ذي الخلفية الألمانية.

عندما قرأت هذا المجلد باللغة الألمانية لأول مرة، حلقت بي الكثير من المقتطفات إلى العديد من الذكريات عن طفولتي ووالديْ وأقاربي: من بينها انتقال والدي في عام 1970 من أحفير في أقصى شرق المغرب إلى ألسدورف بأقصى غرب ألمانيا، ذكريات عن الكدح من أجل تأسيس حياة جديدة في ظل ظروف صعبة للغاية، وتنشئة أطفال في بيئة أجنبية، وعن العطل الصيفية المنتظمة بالسيارة إلى المغرب، والأعمال التطوعية خدمة للجالية والمجتمع. فحتى لو كان هذا العمل يعكس تنوعا كبيرا في مسارات الحياة، إلا أن هناك دائما عددا مذهلا من أوجه التشابه التي تزخر بها السير الذاتية المختلفة.

قدم المشاركون في هذا العمل مساهمات مهمة لتطوير المقاولات والمؤسسات والجمعيات التي عملوا فيها. وفتحوا آفاقًا جديدة لأبنائهم وأحفادهم وعائلاتهم. كما كانت لهم مساهمات مهمة في تنمية المجتمعيْن المغربي والألماني. وهو ما يجعلها إنجازات تستحق أقصى درجات التقدير والاحترام.

وفي هذا الإطار أتمنى لشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا مزيدا من النجاح لبناء جسور متينة بين المغرب وألمانيا. فنحن في أمس الحاجة إلى ذلك أكثر من أي وقت مضى. وقد أظهر لنا عام 2021 مدى أهمية هذا الأمر بشكل واضح للغاية. وستواصل مؤسسة هانس زايدل من جهتها تعزيز وتطوير هذا التبادل في المستقبل.

يعرض هذا المجلد الغني مساهمات نموذجية في مجال التعايش والتبادل بين الثقافات والشعوب. إنه عمل يستحق الكثير من الاهتمام والقراءة المتفحصة.

منير عزاوي

تصوير: شتيفن كوغلر ـ وزيرة الدولة أنيته فيدمان ماوتس

كلمة تقديمية

أنيته فيدمان ماوتس وزيرة الدولة لشؤون الهجرة واللجوء والاندماج (2018 ـ 2021)

القراء الأعزاء،

كثيرًا ما يتم سؤالي عن كيفية تعزيز التماسك والاندماج في بلدنا المتنوع. فيكون جوابي: عبر البحث عن القواسم المشتركة، عوض الاهتمام بما يفرقنا، وعندما يثبت الناس ذواتهم، وتتاح لهم فرصة المشاركة، وعندما نلتزم بدعم بعضنا البعض. إثبات الذات، والمشاركة، والالتزام المجتمعي من أجل الآخرين، هذه هي الركائز الثلاثة التي تميز العديد من مسارات الحياة المغربية الألمانية، التي يمكننا اكتشافها في هذا الكتاب. ففي عام 1963 قمنا على وجه التحديد بجلب يد عاملة مغربية إلى ألمانيا، وبعد أكثر من نصف قرن لا يزال تاريخ هذه الهجرة ومسارات أصحابها وحاضرهم غير معروف إلى حد ما. وذلك بالرغم من مساهمتهم كعمال وعاملات في المعجزة الاقتصادية الألمانية. ولكن اليوم هناك حوالي 240 ألف شخص من أصل مغربي يعيشون بشكل رئيسي في المناطق الصناعية والمدن الكبرى.

شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا والمساهمون في هذا الكتاب يسلطون الضوء عن مساراتهم وانجازاتهم. إنهم يساهمون في أن ننظر إلى المهاجرين من المغرب وأبنائهم وأحفادهم ليس كمجموعة واحدة، بل كقصص هجرة تعكس التنوع من حيث المشاركة، واللغات، والثقافات، والأديان. ويظهر هذا الكتاب أن مسارات الحياة المغربية الألمانية تشمل جميع قطاعات مجتمعنا، الجيش، والرياضة، والعمل التطوعي، والفن، والثقافة وغيرها.

واليوم هم أيضًا جسر بين بلدنا والاتحاد الأوروبي والمغرب. فالعديد من المغاربة الألمان يستخدمون علاقاتهم العابرة للحدود من أجل التنمية في المغرب. تمثل مسارات الحياة هذه والإنجازات التي حققها المغاربة الألمان حقيقة أن التنوع يجعل بلدنا قويًا، إذا ركزنا على الاندماج والاستثمار في عقول بلدنا. إن التنوع الثقافي واللغوي، والتزام الأشخاص من أصول مهاجرة هي مصدر قوة للتماسك الاجتماعي ومستقبل أوروبا القوية. هذه القناعة الراسخة تصب أيضا في خطة العمل الوطنية للاندماج، والتي أنسقها نيابة على الحكومة الألمانية. تُظهر البورتريهات كيف ينجح إثبات الذات والمشاركة. إنها نماذج يحتذى بها لتعزيز المشاركة لدى أناس آخرين من أصول مهاجرة في ألمانيا.

أشكركم من أعماق قلبي!

أنيته فيدمان

تقديم عام

من المغرب إلى ألمانيا

جيسيكا شيفر، مونى المعروفي، رحيم حجي

هجرة الجيل الأول

يرتبط تاريخ الهجرة المغربية إلى ألمانيا ارتباطًا وثيقًا بالنمو الاقتصادي السريع في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. أي ما سمي بالمعجزة الاقتصادية التي شهدتها البلاد منذ بداية الخمسينيات. فبسبب الدمار الناجم عن الحرب العالمية الثانية، بات إعادة إعمار ألمانيا وأوروبا أمرا ضروريا. وهو ما أدى إلى جلب اليد العاملة الأجنبية. هكذا اضطرت الحكومة الألمانية إلى إبرام عدد من الاتفاقيات لجلب العمالة الأجنبية من دول مختلفة منها إيطاليا وإسبانيا واليونان وتركيا والمغرب أيضا (بورتريه محمد أخرضيض). غير أن الظروف العامة في المغرب مهمة أيضًا لفهم تطور الهجرة (بورتريه عبد الرحمن مشراوي وميمون عزيزي وزينب المسرار). في عام 1956 انتهت الحماية الفرنسية والإسبانية على المغرب، وحصلت البلاد على استقلالها. عدد سكان المغرب البالغ آنذاك 11٫5 مليون نسمة في تزايد مستمر، ما جعل البلد بحاجة إلى فرص عمل جديدة. فكثير المناجم التي كان يديرها أجانب في شمال وشمال شرق البلاد تم إغلاقها وأصبح العمال عاطلين عن العمل (بريان 2015 وآخرون ص 508، كليم 2015 ص 22 وما يليها، مقابلة بيتر هاوسفالد). وهذا ما دفع عبد اللطيف عبد الوهاب في عام 1959 لأن يقترح على وزارة الخارجية الألمانية اتفاقية لجلب اليد العاملة المغربية. غير أن هذا المقترح تم رفضه في البداية. وبعد عام، قام السفير المغربي بمحاولة أخرى، لكن ألمانيا ظلت متمسكة بموقفها. بيد أنها عرضت في المقابل تدريب حوالي 1000 عامل شاب مغربي لمدة عام، شريطة أن يكونوا قد أكملوا تدريبا مهنيا ولديهم معرفة باللغة الألمانية (كليم 2015، ص 22). في هذه الفترة، كان بإمكان الأشخاص الأجانب إبرام عقود عمل فردية مع الشركات الألمانية. ومن أجل ذلك، كان يتطلب الأمر منهم التوفر على اتصالات وشيء من المعرفة وموافقة مكتب الشغل. ونظرًا لعدم وجود شرط للحصول على تأشيرة في ذلك الوقت، وجد العديد من المغاربة فرص عمل بعدما سافروا إلى ألمانيا كسائحين (كليم 2015، ص 22، بورتريهات كل من جان جوزيف ليفي وبيتر هاوسفالد وزينب الداودي)، وحصلوا بذلك على حق الإقامة في وقت لاحق، (المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي 2015، ص 9).

تصوير: ناتاشا أوزغ - إقليم الراشيدية

تصوير: توا هيفتيبا ـ قصبة أيت بن حدو، ورزازات

في عام 1963 دخلت اتفاقية جلب اليد العاملة من المغرب حيز التنفيذ، ووصل الجيل الأول من المغاربة إلى ألمانيا كعمال ضيوف. وكان يتعين عليهم تعزيز العمالة الأجنبية وتكثيف مراحل إنتاج الصناعة الألمانية المزدهرة. كانت الحاجة ماسة للقوة العاملة، خاصة في مناجم الفحم والصلب في منطقة الرور والمنطقة المحيطة بفرانكفورت. وهذا ما يفسر أيضًا سبب استقرار الجيل الأول بشكل رئيسي في هذه المناطق (بريان وآخرون 2015، ص 506 وما يليها، بورتريه حفصة البوحموشي ورشيد العزوزي، مقابلة جان جوزيف ليفي وبيتر هاوسفالد وخالد السيهولي في هذا الكتاب). وجاء في الاتفاق المبرم أن العمال المغاربة الذين سبق لهم دخول البلاد بشكل غير قانوني يسمح لهم بالبقاء في ألمانيا لمدة عامين. وينطبق هذا أيضًا على العمال الضيوف الذين وصلوا حديثا (بوراس أوستمان وآخرون 2015، ص 9). كما كان يتعين إبرام عقد عمل لمدة سنة واحدة على الأقل. وتم التعامل مع العمال الأجانب على قدم المساواة إسوة بزملائهم الألمان فيما يتعلق بالاتفاقية الجماعية، والأجر، وساعات العمل، والإجازة، والحماية الاجتماعية. وكان على رب العمل تحمل تكاليف السفر، وترتيب دورة للغة الألمانية والتكوين المستمر أيضا. تم إيواء العمال المغاربة في مراكز إيواء خاصة بعمال المناجم، يقتسم فيها شخصان إلى ثلاثة غرفة واحدة (بوراس أوستمان 2015، ص 33، أنظر أيضًا المقابلة مع بيتر هاوسفالد وبورتريه أم كلثوم بوكرين).

بعد عام من الاتفاق، ناشد السفير المغربي عبد الجليل وزارة الخارجية الألمانية تمديد اتفاق جلب اليد العاملة المغربية ليشمل مجالات أخرى أيضًا، لأن الاتفاق كان يقتصر على عمال مناجم الفحم فقط. ويعود السبب في ذلك إلى الوضع المالي الحرج للسفارة المغربية التي كانت تعاني من مشاكل مالية لإعادة المواطنين المغاربة الذين دخلوا البلاد ولم يكن لديهم تصريح إقامة ساري المفعول في ألمانيا. كما أن الوضع السياسي الداخلي في المغرب كان هو الآخر متوتراً. إذ كان نصف مليون من إجمالي السكان عاطلين عن العمل، وكان حوالي 1٫5 مليون رجل يعانون من بطالة مقنعة. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك ما بين مئة ألف ومئة وعشرين ألف شخص يصلون سنويا إلى سوق الشغل والدولة غير قادرة على أن توفر لهم فرصا للعمل. ففي عام 1966، تم قبول الطلبات بعد رفضها سابقا. وهذا ما فتح الباب أمام جلب مزيد من اليد العاملة، لتشمل جميع فروع الاقتصاد (كليم 2015، ص 26 وما يليها). وهكذا وجدت الحكومة المغربية فائدة اقتصادية في الهجرة، أثبتت بها ولو مؤقتا استراتيجية الحد من البطالة في البلاد، وجلب العملة الصعبة، ولكن أيضًا التنفيس عن الوضع المحتقن في المغرب بسبب عدم الاستقرار السياسي المحتمل، لا سيما في منطقة الريف (براند 2006، ص 47). وقد اعتمدت الحكومة خلال فترة الستينيات، بالإضافة على التحويلات المالية، على الاستثمارات الاقتصادية، ونقل المعرفة عن طريق المهاجرين العائدين (المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي 2015، ص 15).

وقف جلب اليد العاملة وبداية التجمع العائلي

استمرت هجرة الجيل الأول إلى ألمانيا حتى منتصف السبعينيات. وكان عدد العمال المغاربة الوافدين إلى ألمانيا قد وصل حتى ذلك الحين إلى حوالي 20 ألفا (براند 2006، ص 47). حينها، كان المغرب يركز على التحويلات المالية، حيث تم إنشاء شبكة من مكاتب البريد وفروع للبنوك في أوروبا والمغرب لتسهيل تحويل العملة الصعبة. وهو المشروع الذي نجح إلى حد ما بفضل استقرار الاقتصاد الكلي، وانخفاض معدل التضخم. كانت الدولة المغربية بشكل عام مهتمة للغاية بإرسال أكبر عدد ممكن من العمال المهاجرين إلى الخارج للاستفادة من ذلك (المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي 2015، ص 15). بسبب الأزمة الاقتصادية الناجمة عن وقف إمدادات البترول في عام 1973 تباطأ الاقتصاد الألماني

مرة أخرى في 1974/1973، ما أدى إلى وقف العمل باتفاقيات جلب اليد العاملة الأجنبية، نظرا لارتفاع معدلات البطالة. لم يعد ممكنا الحفاظ على الاتفاقات المبرمة. ولخفض أعداد العاطلين ارتفعت أصوات لتشجيع عودة العمال الأجانب إلى بلدانهم (كاغرماير 2004، ص 340). ومع ذلك، لم ينحسر توافد الجيل الأول، بل زاد إلى حد ما، حيث نقل عدد من المهاجرين مركز حياتهم إلى ألمانيا (كليم 2015، ص21). لذلك تطورت مرحلة ثانية من الهجرة، وتميزت على نحو خاص بلم شمل الأسرة، الذي أصبح أحد أهم أشكال الهجرة إلى ألمانيا (غوتهكونست 2015، ص 542، المزيد في بورتريه محمد أخرضيض وعزيز ميموني ورشيد العزوزي ومقابلات بنعيسى المروبل ومحمد البوزياني). ويعود السبب في ذلك إلى إصلاح نظام التعويضات المالية العائلية الذي تم اعتماده في عام 1975. وبموجبه كان العمال الأجانب يتلقون تعويضات لأطفالهم الذين يعيشون في ألمانيا (إيبريشت وآخرون 2015، ص68). ففي ذلك الوقت، حذا الأطفال الذين كانوا لا يزالون يتمدرسون في المغرب حذوهم (كاغرماير 2004، ص341). وبسبب بعد المسافة بين الآباء والأطفال، تم قبول لم شملهم في ألمانيا. كانت العلاقات في بعض الحالات محفوفة بالصراع. فنظرًا لأن الأجداد في المغرب كانوا غالبًا يأخذون دور الوالدين كبديل، كان الأطفال يعتبرونهم الأوصياء القانونيين عليهم أيضا. إذ عانى ثمانية في المائة من أطفال المهاجرين المغاربة من فقدان الحياة الأسرية في السبعينيات (إيبريشت 2004، ص 72). تماشيا مع الحاجة إلى العمالة غير المؤهلة في الصناعة الألمانية، كانت نسبة المهاجرين الذكور في الستينيات تصل إلى 92٪ (إيبريشت وآخرون 2015، ص 72). ولم يتغير الأمر إلا خلال العقد الموالي بهجرة النساء والأطفال الصغار على وجه الخصوص في إطار قانون التجمع العائلي (إيبريشت وآخرون 2015، ص 71 وكاغرماير 2004 ص 341). وهو ما ساهم في ارتفاع نسبة النساء المهاجرات إلى 48 في المائة في أوائل السبعينيات. ففي الخطاب العام غالبًا ما كان يُنظر إلى النساء المهاجرات كظل لأزواجهن العاملين، على الرغم من أن نشاطهن الاقتصادي كان بالنسبة لمعظمهن سببا لإقامتهن في ألمانيا. فخلال سنوات السبعينات كانت مجالات عملهن الرئيسية هي صناعة الأغذية وصناعة النسيج والخدمات المنزلية (بوراس أوستمان 2015، ص 34، والمقابلة مع بيتر هاوسفالد وبورتريه أم كلثوم بوكرين وزينب الداودي).

من التجمع العائلي إلى هجرة الأشخاص ذوي التأهيل العالي

في بداية الثمانينات حاولت الحكومة الألمانية الحد من أعداد الأجانب بسنها لقانون تشجيع العودة. وهو الإجراء الذي خصص مكافأة لكل أجنبي أراد العودة إلى بلده الأصل. وهكذا غادر حوالي 300 ألف عامل أجنبي ألمانيا في عام 1984. غير أن هذا القانون فشل في تحقيق الغرض المقصود منه (إيبريشت 2015، ص 69). ففي أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات، شهد موضوع التجمع العائلي حراكا جديدا مرة أخرى. إذ قام أطفال الجيل الأول من المهاجرين، الذين كبروا في هذه الأثناء، بجلب شركاء حياتهم من المغرب إلى ألمانيا (حمدوش وآخرون 2005، ص858، وبورتريه محمد أخرضيض). وهكذا عرفت الهجرة المغربية في ألمانيا انتقالا من لم شمل الأسرة إلى هجرة أشخاص ذوي تأهيل عالي. بالرغم من أن عدد المهاجرين المغاربة في ألمانيا ظل ثابتا منذ منتصف التسعينيات، إلا أن تركيبة الهجرة المغربية إلى ألمانيا تغيرت. فقد انفتحت منذ تسعينيات القرن الماضي على مناطق مغربية أخرى، بما في ذلك فاس والرباط ومراكش وطنجة والدار البيضاء، بعدما فقدت الأماكن التقليدية، مثل منطقة الريف في شمال المغرب ومنطقة وجدة، أهميتها منذ أواخر الثمانينيات. والسبب في ذلك هو الزيادة في عدد المهاجرين ذوي مستوى تعليم عالي نحو ألمانيا من أجل استكمال دراساتهم العليا (حمدوش وآخرون 2005، ص 858، ومقابلة جان جوزيف ليفي وكريم زيدان وصرية موقيت وحسن الديهازي). أدى هذا التطور إلى تغيير تركيبة الهجرة المغربية إلى ألمانيا من هجرة للعمال غير المؤهلين إلى هجرة للشباب المؤهلين.

تصوير: آدم يانغ ـ دار الدباغ فاس

مقارنة بين أجيال الألمان من أصل مغربي

سوق العمل ومعدل الفقر

كان المستوى المتدني للتعليم لدى الجيل الأول من المهاجرين وراء عدم تبوئهم لمناصب متقدمة في سوق العمل الألماني. ففي عام 1980 كان حوالي نصفهم يعمل في قطاع الإنتاج، يلي ذلك قطاع الخدمات والبناء. غير أن هذا الوضع تغير مع مرور الوقت. ففي عام 2011 كان ينشط 75 في المائة منهم في مجال المهن الخدماتية، و20 في المائة في الصناعات التحويلية، و4 في المائة في قطاع البناء. كما زادت نسبة النساء العاملات مع مر السنين. غالبا ما كان الوافدون الجدد يتوفرون على تأهيل مهني، على عكس الجيل الأول من المهاجرين (إيبريشت وآخرون 2005، ص 76). إذ تبلغ نسبة الجيل الثاني من المواطنين المغاربة الحاصلين على مؤهل مهني 63 في المائة، فيما كانت نسبة الجيل الأول تصل إلى 51 في المائة. ومع ذلك، كانت رواتب الجيل الثاني أقل من رواتب الجيل الأول. وبشكل عام، يكسب المواطنون من أصول غير مهاجرة أكثر (إيبريشت2015، ص 79). فنسبة البطالة لدى الجيل الثاني تصل إلى 14 في المئة، بينما تصل إلى 17 في المئة لدى الجيل الأول، ولكنها أعلى بمرتين من نسبة البطالة لدى المواطنين من أصول مهاجرة (إيبريشت وآخرون 2015، ص 77). لذلك غالبًا ما يعيش الجيل الثاني في ظروف أكثر صعوبة مقارنة بآبائهم وبقية أفراد المجتمع. ويمكن الوقوف على ذلك عند معدل الفقر، حيث يبلغ 42 في المئة. وهو أعلى مما كان عليه لدى الجيل الأول، حيث كان يصل إلى 34 في المئة. وهو معدل أقل مقارنة مع المواطنين من أصول غير مهاجرة، حيث يصل معدل الفقر إلى 12 في المئة (إيبريشت وآخرون 2015، ص 79).

تصوير: أني شبرات ـ أحد أسواق مراكش

التأهيل التعليمي

كان جزء صغير فقط من الجيل الأول من المهاجرين المغاربة يتوفر على مستوى من التعليم الثانوي. غير أن هذا الوضع تغير بمرور السنين، لا سيما بعد وصول مهاجرين من جيل الطلبة كما سميناهم في هذا الكتاب. وهكذا ارتفع المستوى التعليمي للمهاجرين المغاربة بشكل مستمر. في الوقت الذي كانت فيه نسبة الحاصلين على شهادة التعليم الثانوي تصل إلى 9 في المئة فقط في السبعينيات، بلغت 16 في المائة خلال عقد الثمانينات. وواصلت زيادتها بتحقيق نسبة 37 في المئة في عقد التسعينات و40 في المئة في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. في الآونة الأخيرة وصلت النسبة إلى 43 في المائة. وفي عام 2013 كان ثلث الألمان المنحدرين من أصول مغربية لديهم تأهيل دراسي (إيبريشت وآخرون 2015، ص 72)، فيما يميل عدد الخريجين الحاصلين على شهادات عليا نحو الأعلى. كما يمكن ملاحظة ذلك أيضًا في العدد المتزايد من الطلاب. ففي الفصل الدراسي الشتوي 2013/2012، التحق 5169 طالبا يحملون الجنسية المغربية بالجامعات الألمانية. وتعتبر الرياضيات والعلوم الطبيعية من بين أكثر المواد التي تحظى بإقبال كبير لديهم. كما أنه تم إبرام بعض الشراكات بين جامعات ألمانية ومغربية، كالشراكة بين جامعة آخن للعلوم التطبيقية وجامعة مكناس (المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي 2015، ص 14). وبهذا تطورت تركيبة الهجرة المغربية من هجرة أشخاص ذوي مهارات متدنية إلى آخرين بمهارات عالية (إيبريشت وآخرون 2015، ص 72 ومقابلة كريم زيدان)

اللغة والزواج ثنائي الجنسية والتدين والمواطنة

لا أحد تقريبا في الجيل الثاني يعاني من صعوبات في التواصل باللغة الألمانية، على عكس الجيل الأول، الذي كان 62 في المئة منه يعاني من صعوبات جمة مع اللغة الألمانية. غير أن 57 في المئة من الجيل الثاني كان يجد صعوبة في التواصل باللغة الأم للجيل الأول (إرسانيلي إيفلين وآخرون، 2013، مقابلة بنعيسى لمروبل، زينب المسرار). بالإضافة إلى ذلك، تزايدت نسبة الزيجات المزدوجة الجنسية بين أشخاص من أصول ألمانية ومغربية. فقد ذكر 21 في المئة من الجيل الأول الذين شملهم الاستطلاع أن شخصا واحدًا على الأقل من أسرتهم متزوج من

ألماني أو ألمانية. وتصل هذه النسبة في الجيل الثاني إلى 40 بالمئة (إرسانيلي إيفلين وآخرون، 2013).

تراجع الشعور بالانتماء الديني في أوساط الجيل الثاني مقارنة بالجيل الأول، لكنه لا يزال يلعب دورًا (انظر أيضًا بورتريه زينب المسرار). إذ أقر 86 في المئة من الجيل الثاني الذين شملهم الاستطلاع أنهم يتناولون دائمًا مواد غذائية حلال. فيما قال 60 في المئة إنهم يذهبون إلى المسجد مرة واحدة على الأقل في الشهر. أما في أوساط الجيل الأول، فذكر 99 في المئة أنهم يتناولون دائمًا مواد غذائية حلال، وقال 89 في المئة إنهم يذهبون إلى المسجد مرة واحدة على الأقل في الشهر (إرسانيلي إيفلين وآخرون، 2013). في الوقت الذي تعتبر فيه هيئة الإحصاء الألمانية أن الأشخاص المغاربة هم من يحملون الجنسية المغربية فقط، ترى الحكومة المغربية أن الألمان من أصل مغربي مغاربة أيضا، على عكس هيئة الإحصاء الألمانية التي تعتبرهم مواطنين ألمانا وليسوا مغاربة. لا يزال من الممكن رؤية تداعيات هجرة المغاربة إلى ألمانيا في المغرب إلى يومنا هذا. ويعود ذلك في الأصل إلى تهيئة الجيل الأول من المهاجرين لنفسه للعودة إلى وطنه (بورتريه حفصة البوحموشي). إذ كان هدف العمال الضيوف هو تأمين سبل العيش وتحسين ظروف السكن لأسرهم التي تعيش في المغرب (كاغرماير 2004، ص 342، ومقابلة كريم زيدان وبيتر هاوسفالد ومونية رزق الله). فعلى سبيل المثال، استثمر أبناء هذا الجيل مدخراتهم في الزراعة السقوية، أو في قطاع السياحة. كما تم تشييد الفنادق ومراكز التسوق الأولى في المدن، وتم تقديم التبرعات المالية لبناء المساجد، لا سيما في منطقة الريف. كما استثمر العمال المهاجرون في سيارات كانت تعمل أيضًا كسيارات أجرة في بلدانهم الأصلية.

كان التأثير الأوروبي واضحًا بشكل خاص على المباني الجديدة. فمن خلال تجهيز المباني بالنوافذ والشرفات تم توجيهها بشكل أكبر نحو الخارج بدلا من توجيهها نحو الداخل على الطريقة المغربية التقليدية (كاغرماير 2004، ص 342). ولأن العديد من العائلات انتقلت إلى ألمانيا بعد ذلك، تظل العديد من المنازل في المغرب خالية طيلة العام. وفي شهري يوليو وأغسطس تقام هناك الاحتفالات العائلية وحفلات الزفاف (كاغرماير 2004، ص 345).

الوضع التربوي والاجتماعي والسياسي الراهن في المغرب

التعليم أولوية للملك والحكومة المغربية. ومع ذلك، هناك نقاط ضعف كبيرة فيه. إذ بالرغم من ارتفاع نسبة الالتحاق بالمدرسة والتي تصل إلى 92 في المائة على الصعيد الوطني، إلا أن نصف الأطفال

تصوير: أني شيرات ـ من أحد السطوح في جنوب المغرب

البالغين من العمر 15 عامًا هم فقط من يذهبون إلى المدرسة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ما يقرب من 30 في المائة من الأشخاص في المغرب أميون رسميًا. وترتفع النسبة في المناطق القروية مقارنة بالمدن، ويستهدف ذلك المزيد من النساء والفتيات. فلسنوات عانت المدارس والجامعات من ضعف التمويل والاكتظاظ. كما أن سوق العمل في المغرب غير قادر على إدماج عدد كافٍ من خريجي المدارس والجامعات (وزارة الخارجية الألمانية 2019 ب). وبالتالي، فإن ارتفاع معدلات البطالة وانعدام فرص العمل للشباب يشكلان تحديات اجتماعية كبيرة للدولة المغربية (وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية 2019 أ). يجب تصميم النموذج الاقتصادي الخاضع للسيطرة المركزية بطريقة تتيح الاستفادة منه لجميع فئات المجتمع ومناطق البلاد على قدم المساواة. علاوة على ذلك، فإن خلق فرص عمل جديدة للشباب في المناطق الريفية بات أمرا ضروريا. إذ تبلغ هناك نسبة العاطلين عن العمل حاليًا حوالي عشرة في المائة، وتصل بين الشباب إلى 25 بالمائة. وهذا يعني أن ما يقرب من ثلث الشباب المغربي ليس لديه تأهيل أو عمل (وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية 2019 ج). الوضع الاجتماعي في المغرب صعب بسبب وجود فجوة بين الأغنياء والفقراء. إذ تحتل البلاد حاليًا المرتبة 123 من بين 189 بلدا على مؤشر التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة

تصوير: أني شيرات ـ أحد أسواق مراكش

الإنمائي. وتعاني المناطق القروية على الخصوص من صعوبة الولوج للتعليم والخدمات الصحية. وهو ما يدفع بالعديد من السكان للهجرة من القرى إلى المدن، ما يزيد من تفاقم المشاكل (وزارة التعاون الدولي والتنمية 2019 ب). لقد تحسن الوضع القانوني للمرأة خلال العقد الماضي، خاصة بعد إطلاق الحكومة المغربية برنامجا وطنيا لتعزيز المساواة. ومع ذلك، فإن فرص التأهيل والوظائف محدودة بسبب القيود الثقافية والاجتماعية. فعلى سبيل المثال، عشرة في المائة فقط من مالكي الشركات هم من النساء (وزارة التعاون الدولي والتنمية 2019 ج، بورتريه عبد الرحمن مشراوي) وبالتالي، فإن نظام التعليم والوضع الاجتماعي في المغرب لا يزالان من أسباب الهجرة إلى ألمانيا خاصة بين أوساط المتعلمين.

العلاقات الألمانية المغربية

يقيم المغرب وألمانيا علاقات دبلوماسية منذ عام 1956. والتعاون وثيق جدا في مختلف المجالات السياسية، والثقافية، والبيئية والتعاون الإنمائي. في عام 2019 استوردت ألمانيا بضائع بقيمة مليار و400 مليون يورو من المغرب، في حين سجلت الصادرات الألمانية إلى المغرب، نحو مليارين و200 مليون يورو. كما تدعم ألمانيا المغرب في مسار التحديث، وهي من أكبر المانحين الثنائيين بإجمالي يقارب ملياراً و200 مليون يورو في عام 2020 (وزارة الخارجية 2021). وتشارك شركات ألمانية برأسمال ألماني في المغرب من خلال تمركزها في الدار البيضاء وطنجة. كما تربط البلدين العديد من الاتفاقيات تشمل مجالات عديدة، مثل الاتفاقية الثنائية للازدواج الضريبي (1974)، واتفاقية حماية الاستثمار (2008)، والاتفاقية الألمانية المغربية للضمان الاجتماعي (1996). اتفاقية التعويضات العائلية التي تم اعتمادها في عام 1996 تعني أن المعاش التقاعدي الألماني والتعويضات العائلية يمكن الاستفادة منها في المغرب. يعتبر تعزيز اللغة الألمانية والتعاون العلمي من محاور العمل الثقافي الألماني في المغرب، حيث يوجد حاليا أكثر من 20 تعاونا بين الجامعات المغربية والألمانية. هناك أيضًا برنامج تمويل مشترك لمشاريع البحث الثنائية (راجع المرجع نفسه). فمنذ بداية التسعينيات عززت الدولة المغربية من إجراءاتها لتعبئة مغاربة العالم. ومنذ عام 1990 يوجد لدى وزارة الشؤون الخارجية إدارة خاصة للمغاربة المقيمين في الخارج تحولت منذ 1995 إلى وزارة. إذ يحاول المغرب تعزيز العلاقات عبر الوطنية وتعبئة مغاربة العالم (بريان وآخرون 2015، ص 511). كما تلعب الجمعيات والمساجد دورًا مهما في هذا النطاق. فهي تعكف على القيام بعدة مهام، من بينها نقل المعرفة والمشاركة في الحملات الخيرية لتحسين الوضع في بلدهم الأصلي. كما تم إنشاء مؤسسات لإدارة مصالح المغاربة المهاجرين (مقابلة كريم زيدان ومجيد حمدوشي ومحمد البوزياني ومحمد الكروشي). في أكتوبر 2018، تعهدت وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية بتقديم 151,7 مليون يورو للمغرب من أجل التعاون التنموي التقني والمالي. ينصب التركيز على التنمية الاقتصادية المستدامة، والتوظيف، والطاقات المتجددة، وإمدادات مياه الشرب (وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية 2019 أ). في عام 2014 تبنت الحكومة المغربية استراتيجيتها الخاصة بالهجرة. وهذا ما تدعمه ألمانيا، وتقوم بتنفيذه على مستوى البلديات. ويهدف ذلك إلى ضمان فرص التكامل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. هذا بالإضافة إلى عشر اتفاقيات شراكة يتم من خلالها دعم المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لتنسيق وتطوير العروض للمهاجرين. وتشمل هذه دورات لتعلم اللغة واستشارات قانونية. وتهدف الدورات التدريبية والحملات إلى زيادة الوعي بالتعاون الإيجابي. كما يتم الاهتمام أيضًا باحتياجات العائدين (وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية 2019 أ).

سوء الفهم

بالرغم من هذا التعاون بين البلدين، تعرضت العلاقات الألمانية المغربية إلى "سوء فهم كبير" أدى في مارس 2021 إلى تعليق كل اتصال أو تعاون مع السفارة الألمانية في الرباط وكل المؤسسات الألمانية التابعة لها. كما تعمقت هذه الأزمة بخطوة أكثر تصعيدا تمثلت في استدعاء الرباط لسفيرتها في برلين من أجل التشاور في مايو2021. استمرت هذه الأزمة أكثر من ستة أشهر، حتى بادرت

وزارة الخارجية الألمانية إلى الاستماع إلى نبض مواطنين ألمان من أصول مغربية لتقريب وجهات النظر بين البلدين. وكانت شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا حاضرة في هذه المبادرة بحوالي ستة أشخاص، ثلاثة منهم تعرض بورتريهات لهم في هذا الكتاب. ساهم هؤلاء إلى جانب كفاءات أخرى في تذويب جليد الخلاف بين الرباط وبرلين. وهذا يعتبر قيمة مضافة إلى مغاربة العالم والديبلوماسية الموازية.

خلاصة

يظهر تاريخ هجرة المغربية في ألمانيا أن جيل "العمال الضيوف" وأحفادهم هم جزء من المجتمع الألماني، ويساهمون بشكل إيجابي في تطوره من نواح كثيرة. ويتضح ذلك أيضًا من خلال المساهمات المتنوعة في هذا الكتاب، والتي تظهر أن الألمان من أصل مغربي كرسوا حياتهم للالتزام من أجل الآخرين، سواء في المجالات الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الثقافية، أو العلمية، أو الطبية. ومع ذلك، لا يزال يوجد في ألمانيا تفاوت على مستوى الاستفادة من الازدهار بسبب الأصل الاجتماعي. في رأينا، لا يزال الألمان من أصل مغربي في وضع غير مؤات فيما يتعلق بالتأهيل المهني (نسبة الأشخاص غير المؤهلين تصل إلى 8 في المئة بين الألمان من أصول غير مهاجرة، فيما تصل إلى 47 في المئة في أوساط الألمان من أصول مغربية). وهو الأمر نفسه في مجال الاندماج في سوق العمل (نسبة البطالة بين الألمان من أصول غير مهاجرة تصل إلى 7 في المئة، بينما تبلغ 16 في المئة في أوساط الألمان من أصول مغربية). أما فيما يخص الظروف المعيشية ككل، فتصل نسبة الفقر بين الألمان من أصول غير مهاجرة إلى 12 في المئة، بينما تصل إلى 34 في المئة في أوساط الألمان من أصول مغربية (إيبريشت وآخرون 2014، ص 76 وما يليها). لذا فإننا نرى ضرورة تعزيز التعليم ما قبل الأولي في مرحلة الطفولة المبكرة، وتحسين ظروف المدرسة وظروف التدريب المهني بشكل أكبر من أجل منح جميع الأطفال في ألمانيا نفس الفرص، للحصول على تأهيل مهني وتعليمي ناجح بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية. ففي النهاية سينعكس ذلك على كل سكان ألمانيا، لأن تكافأ الفرص يؤدي إلى مجتمع أكثر كفاءة، وقائم على التضامن.

المراجع

أليستر أجير/ أليسون سترانج: إطار مفاهيمي للاندماج، مجلة الدراسات حول اللجوء 2008، ص 166 ـ 191

وزارة الخارجية الألمانية: العلاقات الثنائية بين ألمانيا والمغرب 2019/2021

وزارة الخارجية الألمانية: المغرب ـ الثقافة وسياسة التعليم 2019

راينر باوبوك: نحو نظرية سياسية حول الهجرة عبر الوطنية، مجلة الهجرة الدولية 2003، ص 700 ـ 723

محمد بريان/ هاين دي هاس/ كاترينا ناتر: إعادة النظر في الهجرة المغربية، مجلة دراسات شمال إفريقيا - العدد 10،1080/13629387، 2015

ما وراء الريف والرور: 50 سنة على الهجرة المغربية في ألمانيا، 2015، ص 33 ـ 61 دار النشر شبرينغر

ما وراء الريف والرور: 50 سنة على الهجرة المغربية في ألمانيا، 2015، ص 9 ـ 18 دار النشر شبرينغر

الهيئة الألمانية للهجرة واللجوء: التجمع العائلي، 2016

منشورات وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية: التحويلات المالية بين أوروبا وإفريقيا، 2019 أ

منشورات وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية: الأوضاع الاجتماعية بين القرية والمدينة، 2019 ب

منشورات وزارة التعاون الاقتصادي والتنمية: الأوضاع الاقتصادية وأجواء الأعمال، 2019 س

سارة كارول/ إرسانيلي إيفلين/ مارايكيه فاغنر: اختيار الزوج بين أبناء المهاجرين الأتراك والمغاربة في ست دول أوروبية، مجلة الهجرة الدولية 48، ص 387 ـ 414، 2014

هاين دي هاس: تجارب المهاجرين المغاربة، الهجرة الدولية عدد 45، 2007 ص 39 ـ 70

المؤسسة الألمانية للتعاون الدولي: مساهمة منظمات الهجرة المغربية في ألمانيا، 2015

أنطوان دومون: تمثيلية المهاجرين الذين لا صوت لهم، منظمات المهاجرين المغاربة في فرنسا. الدراسات الاثنية عدد 31، 2008 ص 792 ـ 811

دانييل إيبريشت/ رحيم حجي/ أندرياس بوت: ظروف الهجرة وفرص المشاركة الاجتماعية، التدريب المهني وتكامل سوق العمل، ما وراء الريف والرور، 2015، ص 65 ـ 82، دار النشر شبرينغر

إرسانيلي إيفلين / كوبمانز رود: المسح المقارن لتكامل المهاجرين في ستة بلدان، 2013، ص92

مريام غوتهكونست، اللغة كأداة جديدة للتحكم في الحدود: تنظيم هجرة الزواج من المغرب إلى ألمانيا. مجلة دراسات شمال أفريقيا 2013، ص 540 ـ 552

أندرياس كاغرمان: الهجرة المغربية في ألمانيا، مركز دراسات العالم العربي 2004، ص 337 ـ 345

أولف ديتر كليم: من الريف إلى الرور: ما وراء الريف والرور، خاتمة بوراس، رحيم حجي، أندرياس بوت، خمسون عاما على الهجرة المغربية في ألمانيا، دار النشر شبرينغر 2015

بشير حمدوش/ مهدي لحلو/ حورية العلمي مشيشي: (2005)، المغرب والهجرة منشورات مؤسسة فريدريش إيبيرت

محاولة لاعادة ترتيب مساهمات هذا العمل

جيسيكا شيفر

عزيزي القارئ،

تنتظرك في هذا الكتاب مساهمات وبورتريهات مثيرة ومقابلات ونصوص، تدور جميعها حول الهجرة المغربية في ألمانيا بطرق مختلفة. فهذه المساهمات الفردية هي متنوعة ومميزة لدرجة أنه لا يمكن تصنيفها ضمن خانة واحدة، بل يمكن تبويبها ضمن فئات متعددة. فعلى سبيل المثال، يمكن تصنيف المقابلة مع صرية موقيت ضمن خانة العمل الجمعوي إلى جانب تبويبها ضمن صنف جيل الطلبة. كما يمكن وضع بورتريه خالد السيهولي ضمن خانة الآداب والجيل الثاني أيضا. ومن أجل جعل بناء هذا الكتاب واضحًا قدر الإمكان، قررنا تصنيف هذه المساهمات بهذا الشكل لاعتبار إجرائي وعملي. ولكي تتمكن عزيزي القارئ من فهم التصنيف الذي حددناه، فمن المهم بالنسبة لنا أن نخبرك بنوايانا وأفكارنا والأسباب التي دفعتنا إلى ذلك.

قررنا استخدام مصطلحات الجيل الأول والجيل الثاني وجيل الطلبة وما إلى ذلك، نظرًا لارتكاز البحث حول الهجرة والاندماج من جهة على هذه المصطلحات، ومن جهة أخرى سبق لنا أن استخدمناها بالفعل في معرضنا الذي نظمناه خلال احتفالية مرور 50 عامًا على الهجرة المغربية في ألمانيا سنة 2013. كما أشرنا إلى هذه التصنيفات أيضا في التقديم العام لهذا الكتاب. إننا نضع بين أيديك كتاب يتضمن من جهة محاولات لرصد وتوثيق الهجرة المغربية في ألمانيا ويقدم من جهة أخرى مساهمات أصلية كما أعدها أصحابها دون تعديل أو تنقيح ودون الحاجة إلى تصنيفها بشكل نهائي. وهي مساهمات تحمل التنوع في طياتها.

من المهم بالنسبة لنا التركيز في المقام الأول على هذه البورتريهات والمقابلات، بدل اعطاء الأولوية إلى مواضيع بعينها. لقد اخترنا حلاً وسطاً بين تاريخ الهجرة المغربية إلى ألمانيا و انطباعات الأشخاص وزاوية معالجتهم وتصوراتهم وفهمهم للأمور. سنحاول الآن تقديم بعض الصور والارتسامات حول هذه المساهمات باختلاف ألوانها وبغض النظر عن تصنيفاتها.

يشير الجيل الأول إلى المغاربة الذين هاجروا إلى ألمانيا في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي من أجل العمل. لذا يعكس هذا المصطلح التحديات التي كان على المهاجرين التغلب عليها. يروي بيتر هوسفالد عن تجربته في الدار البيضاء، عندما كان مسؤولاً عن توظيف اليد العاملة الأجنبية لصالح مكتب التشغيل. أما أم كلثوم بوكرين فتتحدث عن العقبات التي كان عليها التغلب عليها عندما وصلت إلى ألمانيا، لتجد نفسها في ظل ثقافة أجنبية لها عاداتها ولغتها الأجنبيتين عن محيطها. بينما اختارت زينب الداودي الهجرة إلى ألمانيا للاستفادة من تجربة النساء والتعلم منهن، فإذا بها تجد نفسها كواحدة من أوائل النساء العاملات في المصانع أمام آلة من الجنون المعاصر. وهو ما دفعها إلى التمرد على هذا الاستغلال وتحقيق قفزة في حياتها بتكريس نفسها للدفاع عن القضايا الاجتماعية للمهاجرات من دول شمال إفريقيا. أما محمد عسيلة فنرافقه في رحلته كمدرس للغة العربية في مدرسة ابتدائية بمنطقة مهمشة اجتماعيا. وهو ما جعله معلما وصديقا ومستشارا في الآن نفسه. وعندما زار محمد أخرضيض خاله في هولندا عام 1970، فإنه لم يكن يتوقع أن تغير هذه الرحلة مجرى حياته بشكل جذري. أما رحيم حجي فاستلهم قصة والدته ميمونت حجي، وهي امرأة غير عادية ربت بمحبة خمسة أطفال في أرض أجنبية بدون مهارات لغوية.

وتشير فئة جيل الطلبة إلى المغاربة الذيم هاجروا إلى ألمانيا طلبا للعلم. ويتعلق الأمر بأشخاص واصلوا دراساتهم العليا في ألمانيا وحققوا ذاتهم مهنيا واجتماعيا. يتحدث جان جوزيف ليفي عن الحفاظ على التراث الثقافي للجالية اليهودية في المغرب والتغلب على الحدود المجتمعية. بينما ينقلنا عبد الرحمن مشراوي، الطبيب المتخصص في أمراض القلب إلى رحلة حياته من مدينة فجيج إلى فلنسبورغ ومن طالب إلى كبير الأطباء. أما ليلى بكراوي فتدعونا إلى عدم اتباع مسارات خطية. فهي هاجرت من المغرب إلى فرنسا ومن فرنسا إلى ألمانيا. ثم أعادها بحثها

الجيل الأول

تصوير: الشركة الالمانية للفحم والصلب

جيل الطلبة

تصوير: سارا كورفيس ـ المكتبة الوطنية شتوتغارت

الجيل الثاني

تصوير: رحيم حجي

العمل الجمعوي

تصوير: بوب دميت

عن تحقيق الذات إلى المغرب من جديد. وبعد دراسة علم الأحياء في مراكش، كان لدى حسن ديهازي حلم حققه في ألمانيا، فيما وصفت لنا صرية موقيت تحديات أيامها الدراسية، بما في ذلك حنينها إلى الوطن وإلى أسرتها.

تشمل فئة الجيل الثاني الأشخاص الذين ولدوا في ألمانيا أو جاؤوا إليها في سن مبكرة وبالتالي تشكلت تنشئهم الاجتماعي هناك. فعلى عكس جيل الطلبة والجيل الأول، ليست للجيل الثاني صلة صريحة بالمغرب، لكنه يعرف المغرب من خلال القصص التي رواها له الآباء، ومن العطل الصيفية. إذ تتحدث ناريمان حموتي راينكه عن عملها كجندية في الجيش الألماني وعن التحديات التي تواجهها كجندية مسلمة وما يرتبط بذلك من مواقف تمييزية وعن الشكل الذي يجب أن تبدو عليه سياسة الاندماج الحديثة في ألمانيا. أما زينب المسرار فتشاركنا بنص من التاريخ المغربي مع حكايات شخصية. فعلى سبيل المثال، تكتب عن دور المرأة في الإسلام وجدها الأكبر الذي عاش قاضيًا في طنجة. بينما يصف ميمون عزيزي رحلته من كونه جسم غريب في المدرسة الابتدائية إلى أن أصبح طالبًا نموذجيًا مع كل تجارب التمييز التي مرت عليه. أما مليكة العبدلاوي فتنقلنا إلى عملها كأخصائية نفسية وتشرح بعض أنماط السلوك لدى المرضى المسلمين. وفي الوقت التي تدعو فيه حفصة البوحموشي إلى كسر التمييز من خلال التفكير والتفاهم، تتحدث وسيمة لعبيش عن شغفها بالسياسة وعن رغبتها في السفر وعملها لتعزيز قدرات الأخرين.

أما فئة العمل الجمعوي فتنقلنا إلى عالم الجمعيات وانخراط أصحابها من أجل الآخرين. فمحمد الكروشي يشرح لنا التزامه التطوعي في إحدى الجميعات التي تنخرط في الحوار بين الأديان، فيما مجيد حمدوشي، مؤسس جمعية أمانة الذي يحاول خلق منصة للاندماج والتعليم والصحة وتحسين التواصل بين الثقافات المختلفة. أما كريم زيدان فينقلنا إلى أجواء تأسيس شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا.

واختار محمد البوزاني أن ينقلنا إلى أجواء تأسيس الجيل الأول وما كان يسمى ب"العمال الضيوف" الذين كانوا يلتقون في أكواخ للعب الورق ، مراكز ثقافية تحولت إلى نقطة التقاء أعداد كبيرة.

تنقلنا فئة العاملين في المجال الثقافي إلى الأشخاص الذي بصموا حياتهم من خلال المجال الفني. فمريم صاب تتحدث عن ولعها باللموسيقى وعن تجربتها المهنية كمغنية أوبرا فوق خشبة المسرح ، وعن تحديات ومشاكل الترعرع بين ثقافتين. أما مونية رزق الله فتنقلنا إلى مسيرتها المهنية التي توقعها لها والدها المتوفى، وكذلك إلى مشروعها الثقافي الأكاديمي الذي يسعى إلى تعزيز التبادل الثقافي بين ألمانيا والمغرب. وتتحدث مليكة رياض عن القوة العلاجية للغناء. أما الممثل الكوميدي بنعيسى لمروبيل فيتحدث عن التأثيرات الألمانية والمغربية في برنامجه الكوميدي الذي يفتح الأبواب لكلا الثقافتين. بينما تحكي حياة الشاوي عن والدها واللحظات الخاصة التي عاشتها في طفولتها.

تشمل فئة الرياضة الأشخاص الذين حققوا ذواتهم في مجال الرياضة. ومن بينهم رشيد العزوزي الذي كان أول لاعب كرة قدم مغربي يشارك في الدوري الألماني. وقد نقلنا إلى عالمه وحياته ومسيرته الرياضية كلاعب كرة قدم محترف وإلى مسيرته بعد اعتزاله اللعب.

أما فئة الكتاب والشعراء فتشمل الأشخاص الذين يتعاملون مع موضوع الهجرة من منظور إبداعي. إذ يتحدث عبد اللطيف اليوسفي في مقتطفات من قصصه عن أهمية الوطن والصحة العقلية لمجتمع يسير نحو التقدم. بينما يستكشف محمد مسعاد في محكياته نظارات الخائن موضوع الوطن. أما قصائد فوزية طيبي الشعرية فهي عن الوطن والسفر والشوق والحزن والتأمل والحلم. واختار إدريس الجاي بعبارات غنائية الحديث عن الجسر الثقافي بين الغرب والشرق. أما خالد السيهولي فينقلنا إلى عوالم طنجة، حيث عاشت والدته التي توفت في برلين وتم نقل جثمانها إلى طنجة بناء على وصيتها.

أما الفئة الأخيرة والتي أطلقنا عليها قصة حياتي فتركناها لك عزيزي القارئ، لتخط عليها ما تراه مناسبا. وهي مسافة حرة لاطلاق العنان لافكارك.

عالم الفن

تصوير: جويل فالف

الرياضة

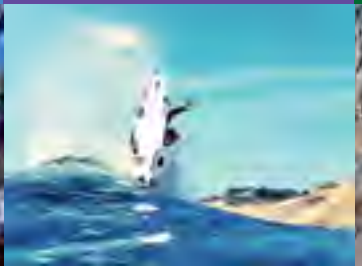

تصوير: محمد نوحاسي ـ شاطئ سيدي مغيث

آداب وشعر

تصوير: محمد لاك ـ شفشاون

سيرة[حياتي]

تصوير: ماكونين / بيكساباي ـ آثار، المغرب

الجيل الأول

تصوير: الشركة الألمانية للفحم والصلب

جواز السفر

بيتر هاوسفالد

- مندوبية وزارة الشغل في شتوتغارت
- منطقة التوظيف المغرب
- أبريل 1972 مكتب جلب اليد العاملة

"جلب اليد العاملة الأجنبية"

كان بيتر هاوسفالد يعمل في مندوبية وزارة الشغل بشتوتغارت إلى عام 1973 ، في مكتب جلب اليد العاملة الأجنبية. وفي أبريل 1972، انتقل إلى الدار البيضاء لتعويض زميل له للإشراف على مكتب جلب اليد العاملة من المغرب إلى ألمانيا. في هذه المقابلة يصف أجواء عمله وانطباعاته عن تلك الفترة.

السيد هاوسفالد، كيف حدث أن سافرت إلى المغرب للبحث عن عمال مغاربة؟

بيتر هاوسفالد: حتى نهاية عام 1973 ، كنت مسؤولاً عن توظيف العمال الأجانب ، كما كان يُطلق عليه في ذلك الوقت، لدى مندوبية وزارة الشغل في شتوتغارت. وهناك تلقيت مكالمة طُلب مني خلالها الذهاب إلى الدار البيضاء. كان ذلك في أبريل 1972 لتعويض الشخص المسؤول الذي حصل على إجازة من منتصف أبريل إلى منتصف مايو 1972 فيما كان يسمى بـ "مجموعة الاختيار الألمانية" التي تمثل وزارة التشغيل الالمانية في المغرب.

كما قلت للتو ، كنت مسؤولاً عن توظيف العمال الأجانب في شتوتغارت حتى عام 1973. كيف كانت تتم هذه العملية؟ وماهي مهمتك بالضبط؟

بيتر هاوسفالد: كنا في شتوتغارت، نجمع رغبات الشركات، إذا جاز التعبير – أي طلبات الشركات. ونرسلها إلى مكاتبنا الخارجية المنتشرة في عدة دول. وهي التي تختار لنا العمال. وعندما يصلون إلى محطة ميونخ للقطارات كنقطة تجميع مركزية، نقوم بتوزيع العمال الذين أتوا من جميع أنحاء العالم على مدن ولاية بان فورتمبيرغ. وكان أرباب العمل يتسلمونهم في محطات القطارات المختلفة.

هل كانت مندوبية وزارة الشغل في شتوتغارت، هيئة تابعة للولاية أم للحكومة الاتحادية؟

بيتر هاوسفالد: مكتب العمل في ولاية بادن فورتمبيرغ ، ومقره شتوتغارت، كان هيئة اتحادية تحمل اسم وزارة الشغل الألمانية. هو ما يعرف الآن بهيئة العمل الاتحادية وانتقل مقرها إلى مدينة نورنمبيرغ.

تصوير: بيتر هاوسفالد ـ في المتحف

تصوير: بيتر هاوسفالد ـ المترجم مصطفى

باختصار: كنت تقوم بتجميع استفسارات الشركات بشكل أساسي، وتوزيعها على مكاتب التشغيل الخارجية التي كانت تختار العمال الأجانب هناك؟ وكنت تقوم بتوزيعهم بعد وصولهم إلى ألمانيا على مختلف مدن الولاية؟

نعم.

متى بدأت هذا العمل؟

كان ذلك في 1962.
متى قررتم الانفتاح على العمال المغاربة وإحداث وكالات توظيف في المغرب؟

بيتر هاوسفالد: البداية كانت عام 1963. أما في البلدان الأخرى فقد بدأت الأمور في وقت سابق، كما هي الحال مع إيطاليا وإسبانيا إلى آخره. لا تحضرني الآن تواريخ محددة. غير أنني يمكن أن أقول، تقريبًا ما بين نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات.

لنأخذ مثالًا اعتباطيا: هناك شركة في بادن فورتمبيرغ تقدم لك طلبا. هل يذهب هذا الطلب إلى جميع وكالات التشغيل في الخارج، أم أنك كنت تنتقي الدول التي ترسل لها هذه الطلبات؟

بيتر هاوسفالد: لا. كان يتم ذلك بالتنسيق المسبق مع مكتب وزارة التشغيل المعني بالأمر على مستوى المدن لتحديد أفضل الإمكانيات ونوعية العمال المحتاجين إليهم. وفقا لذلك نختار نحن البلد الذي يتناسب مع نوعية الطلب. كانت هناك بطاقات بيانات وعقود عمل منفصلة خاصة بكل بلد. وقد تم تحديد كل دولة على حدا وطبيعة اليد العاملة المتوفرة لديها.

ما هي المعايير المعتمدة آنذاك؟ وما هي الدول التي كانت مؤهلة للبحث فيها؟

بيتر هاوسفالد: في البدايات؛ كانت الشركة تقرر الجنسية التي سيتم النظر فيها؛ كانت هناك أقسام كاملة بها موظفين أتراك فقط؛ معيارنا الأول كان العقلية و بعده الثقافة؛ بالإضافة إلى معيار آخر أحيانا كان الأهم و تمثل في السرعة التي يمكن بها الحصول على اليد العاملة.

وبالطبع كانت لديك خبرة من خلال التجربة حول من يمكنه تلبية متطلبات العمل بشكل أسرع؟

بيتر هاوسفالد: نعم، صحيح
ما هي الدول التي كانت سريعة وحيوية على نحو خاص؟
بيتر هوسفالد: صعب. هذا يعتمد أيضًا على نوع العامل المناسب؛ لا أستطيع أن أقول أن هذا كان أسرع أو أفضل.

هل ما زلت تتذكر "المهارات" التي كانت مطلوبة بشكل خاص بين العمال الأجانب؟

تصوير: بيتر هاوسفالد ـ مكتب جلب اليد العاملة في الدار البيضاء

بيتر هوسفالد: عموما؛ وبصراحة؛ هناك العديد من المجالات التي كان من الصعب العثور فيها على عمال ألمان، كما هي الحال مع صناعة المعادن وصناعة السيارات بمختلف مجالاتها. ثم مجالات تدبير النفايات وجمع القمامة.
أعلم أنه بالكاد كنت ترى ألمانيًا في شتوتغارت يعمل في هذه المجالات. كانوا جميعًا عمالا أجانب قاموا بذلك العمل بفرح كبير، وكسبوا من خلاله الكثير من المال. هذا بالإضافة إلى مجال الفندقة والمطاعم، حيث كان الخصاص فيه كبيرا. كانت في الأساس عمالة غير مؤهلة إلى حد ما تعتمد على سواعدها.

هل كانت المهارات اللغوية مهمة في هذه الأنشطة؟

بيتر هاوسفالد: في الواقع لا. جميعهم جاؤوا في ذلك الوقت دون أي معرفة باللغة. لم تكن اللغة ضرورية لهذا النوع من العمل الذي كانوا مضطرين للقيام به؛ ولم تكن اللغة الألمانية مهمة جدًا. لكنهم تعلموها في مكان العمل، إذا جاز التعبير.

على سبيل المثال، من أين حصلتم على عمال القطاع الصناعي والمعدني وقطاع السيارات؟ هل كانت هناك دول مناسبة على نحو خاص؟

بيتر هاوسفالد: الإيطاليون هم أول من تم اعتمادهم في هذا المجال؛ ثم الأتراك الذين بقي الكثير منهم وتلقى بعضهم تدريباً إضافياً.
لم يبق الجميع كعمال مساعدين، عوض ذلك تم تدريبهم داخل الشركات ليصبحوا عمالا مؤهلين أو حتى "مْعَلمْ" داخل الشركة.

وماذا عن مجال الفندقة والمطاعم؟
بيتر هاوسفالد: في هذا المجال كان الإيطاليون بالدرجة الأولى، يليهم المغاربة والإسبان والبرتغاليون والتونسيون أيضًا.
أليست اللغة مهمة أيضًا في مجال الفندقة والمطاعم، على سبيل المثال بالنسبة للنادلين؟

بيتر هاوسفالد: بشكل أقل. كان العمل أكثر في المطبخ ، على سبيل المثال كعمال مساعدين.

شكرا لك على هذه المعلومات حول عملك في شتوتغارت. لنتحدث عن إقامتك في المغرب. ما هو انطباعك عندما توليت هذا المنصب في المغرب لأول مرة؟
بيتر هاوسفالد: يجب أن أذكر أنه لم يكن لنا تقريبا عمال من المغرب

تصوير: بيتر هاوسفالد في المدينة القديمة

في ولاية بادن فورتمبيرغ. لم تكن لدي أي دراية بالأمر، إلى أن فوجئت عندما بدأت عملي في الدار البيضاء بعدد الأشخاص الذين أتوا إلى هذا المكتب. كانوا بالمئات يريدون جميعا السفر إلى ألمانيا. شعرت بالذهول بسبب العدد الكبير من الأشخاص الذين يرغبون في مغادرة البلاد، أغلبهم رجال. ولكن كان هناك نساء بالطبع. كانت هذه هي انطباعاتي الأولى التي كانت مفاجئة إلى حد ما.
ما هي المهام التي تم تكليفك بها في عين المكان؟
بيتر هاوسفالد: تلقينا طلبات من ألمانيا وعلينا البحث عن الأشخاص المناسبين. تمت دعوة البعض الذين كانوا قد سجلوا أسماءهم. والبعض الأخر جاء بطريقة تلقائية. في البداية أجرينا لهم فحصًا طبيًا. كان علينا البحث عن أشخاص أصحاء، بسبب الأمراض المعدية وما إلى ذلك . كان لدي طبيب ألماني متخصص. وقام بإجراء الفحوصات والتأكد من مدى ملاءمة ذلك مع الإجراءات الصحية. أولاً الحالة الصحية، ثم البنية الجسدية أيضا، ما إذا كان المرشحون مناسبون للعمل الشاق. كانت هذه هي مهامنا التي كان علينا توضيحها أولاً. ثم كان عليهم الحصول على جواز سفر وتصريح خروج. بعد إنجاز هذه المهام، عادوا إلينا. ثم كنا ننظر في اتخاذ كل ما هو مناسب. وبعدها كنا ننظم السفر بالتنسيق مع وكالة أسفار مغربية. وكان السفر يتم أيام الجمعة عبر السفن انطلاقا من ميناء الدار البيضاء. وكانت هناك طريقة أخرى، هي أن شركات التعدين تشرف بنفسها على اختيار العمال في عين المكان. وتجري مقابلات مباشرة مع المرشحين لمعرفة ما إذا كانوا مناسبين لها.

تصوير: بيتر هاوسفالد شاطئ البحر بالدار البيضاء

كم كان عدد الأشخاص في الأسبوع؟
بيتر هاوسفالد: نحو خمسين في الأسبوع كانوا يغادرون الدار البيضاء بحرا. هذا بالإضافة إلى أولئك الذين يتم جلبهم مباشرة من قبل الشركات الألمانية. وكانت أعدادهم كبيرة بكل تأكيد.
هل سبق لك أن حضرت عملية اختيار لإحدى الشركات؟

بيتر هاوسفالد: نعم، في أحد المناجم على الحدود الجزائرية. كان صاحب الطلب شركة تعدين من بلدة "فانه أيكل" بمنطقة الرور غرب ألمانيا، وكان لا يريد عمالا بدون شعر الرأس. ربما خوفا من خطر الحوادث المهنية، وما إلى ذلك. وكانت مهمتي أن أحرص على أن أي مترشح يعتمر عمامة عليه أن يخلعها كي نرى رأسه بالكامل. كان ذلك غريبا جدا بالنسبة لنا في ذلك الوقت.

الآن، عندما تنظر إلى الوراء وتعود بك الذاكرة إلى تلك الفترة التي قضيتها في المغرب، هل تتذكر أي حدث معين مرتبط بهذه القضية؟

بيتر هاوسفالد: أخبرتك أنه يتعين على المترشحين الحصول على جواز سفر من السلطات. وكان ذلك مكلفًا للغاية، لأن صاحب الطلب كان عليه أن يدفع شيئًا تحت الطاولة بالإضافة إلى الرسوم الرسمية. ومن دفع أكثر، من الواضح أنه أمامه فرصة أكبر للحصول على جواز السفر في أسرع وقت. وعندما يقدمه لنا، قد أضطر إلى إخبار المعني بالأمر أنه لا يسمح له لأسباب صحية بمغادرة البلاد في الوقت الحالي، لأنه مصاب بأمراض معدية، وما إلى ذلك.
فيجلس هذا الشخص ويبكي بمرارة. لقد جمع كل الأموال من الأسرة حتى يتمكن من الحصول على تصريح بالسفر. والآن علي أن أخبره بأنه غير مسموح له بمغادرة البلاد. لسوء الحظ، حدث ذلك كثيرًا. تلك المشاهد كانت تلاحقني حتى بعدما أغادر المكتب. إذ كان الناس يركضون خلفي ويتوسلون لي قائلين" العمل في ألمانيا" حسنًا، دعني أقول لك أن الرغبة والضغط الأسري للعمل في ألمانيا لدعم الأسرة في المنزل، كان كبيرا بشكل لا يصدق.

هل ما زلت تتذكر أي الأمراض المعدية كانت شائعة وقتها؟
بيتر هوسفالد: الأمراض الجنسية لدى الرجال وكان ذلك مفاجئا للغاية.
ذكرت أن هناك نساء غادرن البلاد أيضا؟
بيتر هاوسفالد: نعم، كان هناك أيضًا عدد قليل من النساء. أرسلناهن أساسًا لقطاع الفندقة والمطاعم، كمدبرات غرف الفنادق أو كمساعدات في المطبخ وما إلى ذلك.

هل يمكنك التحدث عن امرأة توسطت لها؟ هل جاءت بمفردها أم رفقة والديها، كيف سارت الأمور؟
بيتر هوسفالد: جميع الحالات كانت موجودة سيدات بمفردهن وأخريات رفقة أسرتهن. حالات مختلفة.
ما هو الانطباع الذي تركنه لديك؟ هل كن مستقلات بأنفسهن؟

بيتر هوسفالد: خائفات ومترددات للغاية.
برأيك، أي من الشركات الكبرى كانت نشطة في المغرب؟

بيتر هاوسفالد: يمكنني القول شركات البناء وتعدين الفحم ، وصناعة الفنادق والمطاعم. وكمؤسسات فردية ، ربما حديقة حيوانات هاغنبيك بهامبورغ شمال ألمانيا.

هل كان المتقدمون الذين قدموا إليك يريدون حقًا الذهاب إلى ألمانيا؟ أم أن كانوا يريدون مغادرة البلاد فقط ولا يهمهم مكان العمل؟

بيتر هاوسفالد: أميل إلى الاعتقاد بأنهم لم يكونوا مهتمين بالوجهة التي سيذهبون إليها، الشيء الأساسي لديهم كان العمل حيث يمكنهم كسب المال وإعالة أسرهم في المغرب. هذا ما بدى لي وقتها.

إذا نظرنا إلى الوراء: ما الذي كان يمكن فعله بشكل أفضل في عملية جلب اليد العاملة؟

بيتر هاوسفالد: الاستعداد بشكل فيما يخص اللغة الألمانية. كان من الممكن تعزيز ثقافة الترحيب بشكل أفضل، بدل ترك العمال الأجانب لأنفسهم إلى حد كبير، معزولين في البداية. كان من المهم جدًا توضيح الأمر: إما أنني أستطيع البقاء هنا بشكل دائم بعد عام أو أن أقول للناس، كما هي الحال في سويسرا: إنه بعد عامين أو ثلاثة ، يا عزيزي، شكرا وعليك أن تذهب إلى حال سبيلك. بدل القيام بذلك، كنا نماطل لأننا بحاجة إليهم. كان هذا أحد أسباب عدم جلب الكثيرين لعائلاتهم لأن لا أحد يعرف: هل يمكنني البقاء إلى الأبد؟ كان ينبغي تنظيم ذلك بشكل أفضل. كل شيء قد تحسن على مر السنين. كانت هناك لجان اندماج في المدن والبلديات ، واتحادات للعمال الأجانب التي تأسست بدعم ألماني.

هل كانت هناك أيضًا توصيات قانونية أو اجراءات قانونية يعمل وفقها الوسطاء الألمان وينبغي الالتزام بها؟

بيتر هاوسفالد: طبعا. كان من الواضح أنه يجب توفير الحد الأدنى من الأجور وتوفير مكان إقامة. وكان لابد من تمتيعهم بانتظام بعقود عمل رسمية وتوفير التأمين لهم. وكان لابد من معاملتهم على قدم المساواة مع العمال الألمان فيما يتعلق بقانون العمل. كان ذلك محددا مسبقا وبشكل صارم.
هل تتذكر اسم هذا القانون؟

بيتر هاوسفالد: اتفاقيات العمل. كان هذا اسمها وكانت تضم الفقرات السالفة الذكر.

هل كانت هناك أسباب معنية تدفع شركة ما لطلب يدا عاملة مغربية بدلا من الإيطاليين أو الإسبان؟

بيتر هاوسفالد: أستطيع أن أقول بكل بساطة. لم يكن هناك عمال مناجم من أي دولة أخرى. لهذا السبب تم التوجه بشكل متزايد إلى المغرب. وما ساعد كثيرا هو أن بعضهم كان موجودا في عين المكان. وهو ما أدى إلى طلب المزيد من العمال المغاربة العاملين في مجال المناجم. فما الذي سيفعله مساعد مطبخ مفرده في قرية تيتي سي بنويشتادت في جنوب البلاد مثلا. سيكون معزولا. لذا كان مهما أن يتوجه إلى الأماكن التي يجد فيها أبناء بلدته. كان هذا هدفا أيضا.

بعد عودتك من الدار البيضاء، هل ساهمت بتجربتك في مجموعات العمل ، على سبيل المثال ، من أجل معالجة أوجه القصور، وما إلى ذلك؟

بيتر هاوسفالد: نعم. السؤال الملح كان : ما العمل لتحسين الأمور؟ وما الذي ينبغي الانتباه إليه؟

هل ما زلت تتذكر أحد الموضوعات التي حظيت باهتمام كبير؟

بيتر هاوسفالد: سكن العمال؛ كان أول اهتماماتنا؛ كما سبق أن ذكرت، لم نحضر عمالا أو عمالا ضيوفا فحسب ، بل جلبنا بشرا. كان هذا الموضوع مهمًا للغاية. تم اتخاذ تدابير الرعاية ، إلخ. وأصبح ذلك، قضية سياسية أيضا. كان من المهم جدًا أنه عندما أحضر عمالا ضيوفا إلى هنا ، يجب العناية بهم ، ودعمهم ، ومرافقتهم وتقديم الدعم لهم على مستوى اللغة وهكذا.

هل يحضرك موضوع ما كان محط نقاش داخل مندوبية التشغيل؟

بيتر هاوسفالد: تمت مناقشة أخلاقيات العمل. وطبعا لا يمكن وضع الجميع في سلة واحدة. غير أنه على سبيل المثال ، طرح السؤال حول كيفية التعامل مع شخص ما ، متكاسل مثلا أو غير محترم للمواعيد. كان هذا النوع من النقاش حاضرا أيضا.

السيد هاوسفالد. شكرا لكم.

تصوير: بيتر هاوسفالد في المتحف

جواز السفر

أم كلثوم بوكْرين

- من مواليد 1945 في وزان
- عاملة
- في ألمانيا منذ 1968

"أحب الخير للجميع وأشعر بالحزن عندما أرى العنف والظلم."

كانت أم كلثوم بوكْرين واحدة من النساء اللواتي هاجرن إلى ألمانيا الغربية في فترة مبكرة. وهي رائدة بالمعنى الحقيقي للكلمة في مجال الهجرة. كان عليها أن تجد طريقها في بلد أجنبي وفي ظل لغة أجنبية وثقافة أجنبية وعادات أجنبية. قامت بتلقائية بتقديم المساعدة لمن تصادفه في طريقها وعاشت تحولات الهجرة المغربية في ألمانيا من الجيل الأول إلى يومنا هذا بكل مراحلها وتحدياتها.

عن الحياة في المغرب

كان عمري ستة أشهر، عندما توفي والدي ومرضت والدتي من جراء الصدمة. كنا ستة أشخاص: بنتان وأربعة أشقاء. أحد أخوتي كان يقيم في الرباط ، وأختي الكبرى متزوجة، وهي التي أشرفت على تربيتي ورعتني وأنا رضيعة. لم أتمكن من مواصلة التمدرس، إذ انقطعت عنها في الصف الثاني. ويرجع السبب إلى أن المدرسة كانت بعيدة عنا بعدما رحلنا من مسكننا إلى منزل آخر. فبسبب البعد وخوف أختي علي غادرت المدرسة. بعد ذلك تعلمت مهنة الخياطة لمدة ثلاث سنوات، كانت فترة جميلة، قضيت وقتا جميلا رفقة مجموعة التأهيل من البنات، كنا نذهب إلى السباحة والنزهة ونطبخ معا. عندما بلغت سن الخامسة عشرة من عمري، تم تزويجي، غير أن هذا الزواج لم يستمر إلا سنتين وتطلقت. وفي سنة 1967 تزوجت مرة أخرى من زوجي الذي كان يعيش في ألمانيا منذ 1961، والتحقت به سنة بعد ذلك، و عمري 23 سنة. كان ذلك في عام 1968، وعندما زرنا المغرب في صيف هذه السنة، طلب مني زوجي أن أبقى في المغرب على أساس أن يعود هو إلى ألمانيا وتدبير المال الكافي ويعود للاستقرار في المغرب. كنت وقتها قد

تصوير: أم كلثوم بوكثرين - بوزريعة

أنجبت إبني البكر، فرفضت عرضه، بعدما أقنعته بالعودة إلى ألمانيا لمساعدته على ظروف الحياة. وهكذا كان حملت نفسي وإبني وعدت إلى ألمانيا.

عن الحياة في ألمانيا

عندما وصلت إلى ألمانيا، كنت أعيش في غرفة بفندق اكتراها لي زوجي، لأنه لم يكن لديه منزل خاص به. إذ كان يعيش في مسكن مشترك رفقة زملاء له من العمال الرجال. وكنت أزوره في هذا المسكن الجماعي نهاية الأسبوع، بعدما يغادره بقية زملائه. نقضي نهاية الأسبوع معا وأعود يوم الإثنين إلى الفندق رفقة إبني. وقتها كان صعبا للغاية العثور على شقة للسكن. تعرفت على سيدة صاحبة كشك لبيع الجرائد والسجائر، كنت أتواصل معها بالفرنسية. وهي التي ساعدتني عن طريق أحد معارفها في العثور على مسكن يضم غرفتين. لم نكن ندفع الايجار، وبالمقابل كنت مثل بواب العمارة، أنظف السلالم مرة واحدة كل أسبوعين، وعندما يسقط الثلج أقوم بتنظيف مدخل العمارة. كنت سعيدة بهذه الشقة التي قطنتها رفقة إبني في فرانكفورت.

بداية العمل

كان زوجي يرفض تماما أن أشتغل. بالنسبة له مكان المرأة الطبيعي هو البيت وتربية الأطفال. غير أنني كنت أصر على العمل بدعوى مساعدته، خاصة أن ما كان يحصل عليه قليل جدا. وقتها كان يتقاضى مبلغ 150 مارك في الأسبوع، يحصل عليه كل جمعة مساء في ظرف بريدي، وهو ما لم يكن كافيا بالمرة. كنت ملحاحة وأصررت على طلبي ورجوته أن يسمح لي بالعمل لمساعدته على

تصوير: أم كلثوم بوكْرين - رفقة زميلات لها أثناء تكوين في الخياطة

تصوير: أم كلثوم بوكْرين - قبل الهجرة إلى ألمانيا

مصاريف الحياة على أمل الانتقال إلى مسكن أكبر. لم أستسلم إلى أن وافق بشرط ألا يتعدى ذلك ساعتين فقط. بدأت العمل في مصرف شباركاسه، كنت أنظف المكاتب من الساعة الخامسة إلى السابعة صباحا. كان يعمل هناك أناس أخرون في النظافة أيضا وساعدوني في تعلم تقنيات التنظيف واستعمال الآلات المخصصة لذلك، اشتريت بعضها وحملته معي إلى المغرب. أخذوا بيدي وكانوا يتكلمون معي بإيقاع بطيء لأن ألمانيتي كانت ضعيفة للغاية. كان كل منا يجلب فطوره معه، نجلس معا على طاولة الافطار، نتناول الوجبة معا ونتبادل أطراف الحديث. كانت سيدة تعمل هي الأخرى معي بمثابة والدة لي، كانت تزورني في نهاية الأسبوع وإبني يرافق أبنها للعلب في الحديقة.

مركز إعادة التأهيل

طلبت من مسؤولي البنك أن اشتغل ثمان ساعات فوافقوا لأنه كان هناك خصاص في مطعم البنك. بالرغم من الصعوبة التي واجهتني

تصوير: أم كلثوم بوكْرين ـ حفل الزواج

تصوير: أم كلثوم بوكْرين ـ زوجها البشير

في التوفيق بين ساعات العمل من الثامنة صباحا إلى الخامسة وتربية الطفل، إلا أنني وافقت. غير أنه بسبب بعد البنك عن مسكني الذي كان يتطلب مني وقتا طويلا في التنقل من المنزل إلى مقر العمل ذهابا وإيابا، اضطررت للبحث عن عمل آخر. كانت لي صديقة تعرفت عليها في أحد المتاجر وتنحدر من الدار البيضاء، كانت تعمل في مستشفى للأطفال تابع للبلدية. أقنعتني بضرورة البحث عن عمل في منشأة تابعة للقطاع العمومي. أخذت بيدي وذهبنا إلى مكتب العمل الذي وجد لي عملا في مركز لإعادة تأهيل المرضى النفسيين تابع للبلدية. كان رئيس المركز يعمل كأخصائي اجتماعي، قام معي بجولة داخل المركز وداخل المطبخ وأراني كل شيء. وفي اليوم الموالي تعرفت على رئيسة المطبخ التي ساعدتني في فهم نظام العمل. هكذا بدأت العمل في هذا المركز الذي ظللت فيه إلى أن أُحلتُ على التقاعد. كان نظام العمل يبدأ في الساعة 6 صباحا إلى الساعة الواحدة. وأعود على الساعة الثالثة بعد الظهر لإعداد العشاء. كنا نقوم بذهن قطع الخبز واعداد الشاي. كان العمل سهلا بالنسبة لي، لأن هذا ما كنا نقوم به في المغرب أيضا. كنت سعيدة بعملي، وتعرفت على أناس طيبين وكان لدي رئيسة لطيفة ساعدتني كثيرا. وهي الوظيفة التي قضيت فيها خمسة وثلاثون عاما. كما ساعدني المركز في الحصول على شقة من المساكن الاجتماعية تتكون من ثلاثة غرف، وتمكنت من الذهاب في إجازة إلى المغرب لمدة شهر في السنة. كانت أجواء العمل عائلية للغاية. بعدما أصبحت أعرف نظام العمل واستأنست على الأجواء بدأت أساعد مغاربة أخرين في الالتحاق بنا كلما كان ذلك سانحا، طبعا بموافقة رئيسة المطبخ ورئيس المركز. كانت علاقتي بنزلاء المركز جيدة وكنت أحظى بثقتهم. كان بعض المرضى عدوانيين، وأحيانا يضطر المركز إلى نقلهم للمستشفى عن طريق الشرطة. نظرا لعلاقة الثقة التي كانت تربطني بهم كنت أتدخل وأساعدهم في نقل بعض المرضى إلى سيارة الاسعاف دون تدخل الشرطة. وأحيانا هم من كانوا يطلبون تدخلي، لأنني كنت أجيد الإنصات إليهم وأشاركهم همومهم وقلقهم وأستمع لهم. أحيانا كان

تصوير: أم كلثوم بوكْرين - رفقة زوجها وابنهما البكر في فرانكفورت

تصوير: أم كلثوم بوكْرين - بمنزلها في تسعينيات القرن الماضي

الأخصائيون يسألونني من أين تعلمت هذه التقنيات، فكنت أجيبهم بأن مصدر ذلك هو حبي للناس وأنني انزعج كثيرا عندما أرى العنف أو أشياء من هذا القبيل. كنت أحيانا أُحضر يومي السبت والأحد وجبات مغربية وأخذها معي للنزلاء. فأنا عندما جئت إلى ألمانيا وجدت ما كنت أحتاجه، وهذا ما كنت أتمناه أيضا. كان المركز يأوي أطفالا أيضا. وعندما كان الآباء يأتون بالهدايا في أعياد عيد الميلاد، يقوم الأطفال برميها. كانوا يقولون إنهم ليسوا بحاجة إلى الهدايا بل إلى الحب. كان المركز يأوي أربعين شخصا قارا يقيمون فيه بشكل دائم. أما وِرَشُ العمل المختلفة فكان يزورها حوالي 150 شخصًا يوميا. يقضون النهار هناك ويتناولون الغذاء، ويغادرون المركز في المساء. أما النزلاء القارين فكنا نحضر لهم العشاء ونشرف على رعايتهم ونحرص على تناولهم للأدوية. كان بعضهم يرفض تناول الأدوية بدعوى أنها تجعلهم يشعرون بالتعب، فأسايرهم بكل لباقة إلى أن يتناولونها. بالرغم من أن رئيستي كانت دائما تنبهني أنه إذا تأخر نزيل منهم ولم يأت في الوقت المحدد للعشاء، لا ينبغي اعطاؤه وجبة العشاء، مع ذلك لم التزم بهذا الأمر. كنت أسايرهم وأناولهم الوجبة وإذا لم أجد شيئا أحضر ما تيسر بسرعة وأضعه رهن إشارتهم. كنت ألاحظ أنهم جميعا لطفاء ويتكلمون بأدب غير أنهم يعانون من الاكتئاب وما إلى ذلك. ولا يعرفون ما يقومون به، أحيانا يسقطون الكراسي أرضا، ولكن لم يسبق لأحد منهم أن لجأ إلى العنف. كنت أحيانا أرافقهم في جولات إلى مركز المدينة للتسوق معا أو شراء بعض الأغراض. بسبب الخصاص الذي كانت تعرفه دارا للمسنين، انتقلت بشكل مؤقت للعمل هناك، ولكنني رفضت الاستمرار في العمل هناك، نظرا لبعده على منزلي، فرجعت إلى مقر عملي الأصلي.

العمل التطوعي

كان مبعث سعادتي عندما أقدم مساعدة لأحد ما، كأن أرافقه إلى مكتب العمل أو مكتب الرعاية الاجتماعية أو أي هيئة إدارية لقضاء أغراضه الإدارية. كنت أستمتع بذلك وأقول إن الله يحبني بأنه يضعني دائما في طريق أناس هم بحاجة إلى المساعدة. هكذا كان الحال مع مينة، وهي امرأة مغربية مات زوجها ولا تعرف أي

تصوير: أم كلثوم بوكْرين ـ رفقة زوجها وأطفالهما

تصوير: أم كلثوم بوكْرين ـ رفقة أطفالها

كلمة بالألمانية. صادفتها في طريقي إلى العمل وهي برفقة سيدة ألمانية، كانت تلبس "حق الله" فعرفت أنها مغربية. أخبرتني السيدة الألمانية أن زوجها توفي إثر حادثة سير بالقرب من مالقا بإسبانيا. وعادت إلى ألمانيا لتأمين حقوقها. قلت للسيدة أنني في طريقي إلى العمل وبعد انتهاء عملي سأذهب عندها لأرى كيف لي أن أساعدها. ارتمت علي السيدة وبدأت في البكاء. بعدما أنهيت عملي ذهبت إليها وشرحت لي ماذا وقع في مالقا. كان زوجها يعمل في شركة المرافق العامة بفرانكفورت، رافقتها إلى هناك فتدبروا لها تذكرة للتنقل في المواصلات العمومية وصرفوا لها تعويضا مؤقتا إلى أن تم تسوية ملف التقاعد. هناك شخص آخر ويتعلق برجل أصيب بجلطة دماغية ولم يعد يقوى على الخروج، كان يسكن في الطابق الثالث وهو ما زاد من أزمته. لذا ساعدته إلى أن حصل على شقة في الطابق الأرضي. وهناك سيدة أخرى كان لها أطفال ولم تكن تعرف كيف تعد ملف التعويضات العائلية، فساعدتها إلى أن سوت وضعيتها. كنت أساعد قدر الإمكان، وعندما اعجز كنت ألجأ إلى رئيس المركز الذي كنت أشتغل فيه. كان يوجهني ويقوم بتعبئة الاستمارات وكتابة الطلبات. كان هو الآخر شخصا يمد يد المساعدة.

بعد ما قضيت 25 عامًا من العمل، حصلت على وسام وجائزة مالية وتم تنظيم حفل كبير، قمت بتحضير حلويات مغربية، وتلقيت التهاني والورود. حصلت على جائزة ثانية من منظمة أفو AWO للرعاية الاجتماعية التي كنت أشتغل فيها كمتطوعة. كنا نقدم المساعدة فيما يخص الاستشارات أو جمع التبرعات العينية والنقدية وارسالها للأشخاص المحتاجين في عدد من الدول الإفريقية. كانت الجائزة الثالثة من طرف منظمة أفو أيضا، بعدما قضيت فيها خمسة وثلاثين عاما كمتطوعة. وهذه الاحتفالية حضرها عمدة فرانكفورت الذي منحني درع المنظمة. كان عملي هناك يجلب لي السعادة، خاصة تقديم المساعدة للناس المحتاجين، خاصة وأن منطقة فرانكفورت ونواحيها تعرف تمركزا لابأس به للمهاجرين المغاربة. كنت أحرص على حضور أنشطة المنظمة والمشاركة في فعالياتها. في كثير من الأحيان كنت أحضر

تصوير: أم كلثوم بوكْرين - أثناء العمل

وجبات مغربية من أكل وحلويات لبيعها والتبرع بما تحصلت عليه لصالح صندوق المنظمة.

الأسرة والأطفال

لدي ثلاثة أطفال، وقد حرصت على حضور اجتماعات أولياء التلاميذ في المدرسة، لمناقشة أوضاع التلاميذ ومشاكل المدرسة. كان أبنائي يأتون بعدما يغادرون المدرسة إلى المركز، وهناك كانوا يراجعون دروسهم بمساعدة رئيستي في العمل. كانت هذه السيدة تساعدهم كثيرا ونفس الشيء بالنسبة لرئيس المركز أيضا. هو الآخر كان يحرص على أن يكونوا مجتهدين في دراستهم. وبعدما حصلت على شقتي الجديدة بجوار مكان عملي، كان يقطنه رئيس المركز الذي غادره بعدما اشترى منزلا جديدا. وأصبح الأمر عمليا لي ولأولادي. كان الأولاد سندا كبيرا لي. فبعدما كبروا وحصلوا على رخصة السواقة، أصبحوا يساعدوننا في قيادة السيارة خاصة أثناء عطلة الصيف عندما كنا نسافر برا إلى المغرب. كما قلت سابقا كان رئيس المركز دعامة لي ولأولادي أيضا. هو من ساعدهم أيضا في اختياراتهم المهنية ومسارهم الدراسي. فعندما اختار ابني البكر القيام بتأهيل مهني في مجال الفندقة اقترح عليه أن يبدأ بتأهيل مهني في مطبخ بالمركز. وهو ما عمل به إلى أن أنهى تأهيله المهني كمدير فندق. بينما اختارت إحدى بناتي الدراسة في مجال الهندسة المعمارية في جامعة كاسل، وبعدما أنهت دراستها عادت إلى فرانكفورت وعملت لفترة ليست بالقصيرة في أحد مكاتب الهندسة هناك. وتقيم الآن في سويسرا، حيث تشغل في هيئة للبناء. تزوجت وأنجبت طفلا. أما البنت الصغرى فدرست الاقتصاد واللغات، وتتحدث الإنجليزية والفرنسية أيضا. بالرغم من أنها كانت شابة نشيطة ورياضية وسبق لها أن حصلت على جوائز في السباحة، هي الآن مريضة وتستعين بكرسي متحرك، بعد إصابتها بمرض التصلب المتعدد.

التقاعد

أنا الان متقاعدة بعدما قضيت خمسة وثلاثين سنة في العمل بهذا المركز. أعيش حياتي وأحاول أن أساعد الناس، سواء تعلق الأمر

بالبالغين أو بالأطفال. أساعد حيث ما بدا لي ذلك ضروريا. أرافق من هم بحاجة لذلك إلى طبيب ما أو هيئة إدارية. وأحيانا أقول لهم الآن أنا متعبة ربما في وقت لاحق.

وفاة الزوج

توفي زوجي في أكتوبر 2016. أصر أن يدفن هنا في ألمانيا بسبب ابنتنا المريضة، كي تتمكن من زيارة قبره. دفن في مكان مخصص لدفن المسلمين بأحد مقابر فرانكفورت. وهو الذي كان يقول:" الروح تذهب إلى الله أم الجثة فلا يهم أين ستدفن". لذا أصر على دفنه هنا وكان يقول لا أريد أن ألحق التعب لشخص ما. يوم دفنه حضر العديد من الأقارب والمعارف والأصدقاء، كما لو أن ذلك تم في المغرب، لا فرق. ونذهب كل جمعة لزيارة قبره أنا وابنتي، نصلي من أجله وندعو له. تستغل هي فرصة ذهابها لمركز الترويض وتزور قبر والدها.

نعم، عندما تعود بي الذكريات إلى الأيام الأولى التي وصلت فيها إلى ألمانيا، أقول أن كل ما عشته جيد. لم أكن حزينة أنني غادرت المغرب، بالرغم من الخوف الذي اعتراني عند مغادرة المغرب أول مرة. غير أنني عندما وصلت إلى ألمانيا تعودت بسرعة على نظام الحياة، لأنني تلقيت مساعدات كثيرة في بداية الأمر. لذا شاركت الأخرين همومهم وقدمت لهم يد المساعدة. وهذا كان مبعث سعادتي.

رسالتي

هناك دائمًا أشخاص مختلفون، وعلى المرء التعايش مع الجميع. ينبغي أن تكون نية الانسان خالصة وأن تكون علاقاته جيدة. ينبغي أن يكافح في الحياة من أجل الأشياء التي يؤمن بها. ويجب على المرء أن يقول رأيه حتى لو كان قاسيا أحيانا. قد يكون المرء أحيانا غاضبا ولكن عليه أن يعبر على مواقفه بطريقة تجعل كل شيء على ما يرام. فهناك أوقات سيئة وهناك أوقات جيدة. ينبغي على المرء أن يكون ملحاحا وألا يستسلم. وعليه اتباع أسلوب الحوار مع الأطفال بعيدا عن أساليب العنف. قد تصادف المرء أيام سيئة وعليه أن يواجهها بثبات لأن هناك أيام جميلة أتية بدون شك.

تصوير: أم كلثوم بوكْرين ـ رفقة ابنتها وحفيدها

تصوير: أم كلثوم بوكْرين ـ بورتريه حديث

جواز السفر

زينب الداودي

- من مواليد مولاي ادريس زرهون
- مرشدة اجتماعية
- آفو للرعاية الاجتماعية

"بدلا من التحرر، تعرفت على الجنون المعاصر."

"لا أريد أن أراكن مستعبدات" هذا ما قاله والد زينب لها وهي تستعد للهجرة إلى ألمانيا. وأخبرها أن النساء الألمانيات متعلمات ومتحررات، ويقدن السيارات والطائرات. كانت النساء قدوة بالنسبة له. لذا أقنعها بالهجرة إلى ألمانيا للتعلم منهن، عام 1972. عندما وصلت إلى ألمانيا، التقت عاملات في المصانع كن بعيدات عن التحرر الذي سمعت عنه. وهكذا وجدت نفسها في إيقاع من الجنون بعينه عبارة عن تصاريح للعمل والعمل بنظام الورديات ومصطلحات غريبة عليها كالدخل الإجمالي والدخل الصافي. نجحت في التمرد على العبودية الحديثة وحولت مسارها إلى مرشدة اجتماعية تساعد النساء المهاجرات على فهم بلد الإقامة الجديد.

كيف جئت إلى ألمانيا؟

كان ذلك قبل أربعة وأربعين عاما؛ لم أكن أتوقع ولو من باب الحلم أنني سأنتقل للعيش خارج المغرب. كانت الهجرة فكرة والدي، فوالداي كانا مصران على ضرورة أن أواصل التكوين، وأنا وافقتهما الرأي، لأنه لم يكن أمامي خيار آخر.

كنت وقتها قد تركت المدرسة بسبب الهجرة إلى ألمانيا في عام 1970، غير أنه وبسبب بعض الأحداث، تأجل السفر إلى عام 1972. هدفنا الأساسي كان الحصول على تأهيل مهني في ألمانيا خلال ثلاث سنوات والعودة إلى المغرب، في ظل انتشار أفكار أن ألمانيا كانت تسعى وقتها للمساهمة في بناء صناعة في المغرب، لذا فإن الحاجة ستكون ماسة إلى عمال مهرة وأشخاص مؤهلين. أتذكر جيدا أنني كنت أحاول التهرب من الأمر عندما حضرت في اجتماع اللجنة التي كانت تضم أبي وعمي وآخرون منهم من يؤيد فكرة الهجرة ومنهم من يرفضها، خلالها كنت أتساءل "لماذا علي السفر إلى ألمانيا وأوروبا". فالأوروبيون قوة استعمارية، وأنا ابنة أحد مناضلي المقاومة، لذا لم يكن الأمر مقبول بالنسبة لي. كان أبي حريصا على ذلك، وشرح لي أن التنمية تقتضي الذهاب إلى هناك، وأن على النساء معرفة كيف تسير الحياة، والتعلم من النساء الألمانيات المتطورات. كان يرد على مسمعي "اذهبي إلى هناك وتعلمي من النساء الألمانيات كيف تقدمن في الحياة." وهو ما شكل تحديا كبيرًا بالنسبة لي، وأشعرني بالفخر، وبناء على هذا وافقت. كنت مترددة إلى حد ما، إذ ظل عدد من الأسئلة العالقة يدور في ذهني

تصوير: زينب الداودي في شركة لندينت للشكولاته

تصوير: زينب الداودي بورتريه

من قبيل كيف وأين وماذا سأفعل هناك؟ وأسئلة أخرى لم أجد لها جوابا.

لفترة من الوقت، لم نكن نعرف أبي وأنا، هل يتعلق الأمر بتدريب مهني، أم بالعمل في مصنع أم شيئا آخر. وفي النهاية تبين أن الأمر يتعلق بعقد عمل، وهو ما فاجأ كلانا. عرفنا ذلك في مطار الدار البيضاء الذي انتقلنا إليه عبر الحافلة. هناك استلمنا جواز سفري وتأشيرتي وعقد العمل. فقلت لأبي: "انظر، هذا عقد عمل". فكر في الأمر وقال جملته الحاسمة: "وليكن استفيدي من هذه الفرصة قدر الإمكان، أنا أثق بك". منحتني الثقة التي وضعها فيّ، والمسؤولية التي حملني إياها الكثير من الطاقة. فهو لم يوجه لي كلام نصح على غرار ما يقوم به الآباء في مثل هذه المواقف، بل حملني المسؤولية ووضع ثقته بي.

المنظمة

تم كل شيء تحت إشراف الاتحاد الوطني للمرأة المغربية وبرعاية لالة فاطمة الزهراء نجلة السلطان محمد الخامس. وهذا الأمر لم يكن يعلم به إلا المقربون جدا. كنا قد اكتشفنا الأمر عن طريق باشا بلدتنا الصغيرة، مولاي عبد السلام العلوي، ابن عم لالة فاطمة الزهراء الذي كان يشتغل عمي بمعيته: حين وجه كلامه إليه قائلا: " أخبر أخاك الكبير بضرورة تسجيل ابنته." وقتها دارت أحاديث كثيرة في المغرب عن تحرير المرأة، والبلد كان يخطو خطواته الأولى نحو النمو. كما أن المغرب فجر الاستقلال، ظهرت أحزاب جديدة وكان أبي ناشطا حزبيا أيضا. كان والدي يرى أننا استُعمرنا بسرعة لأن المرأة كانت غائبة عن المجال السياسي، وأنها لم تكن تشارك في صنع القرار. لذا علينا الان أن نتصرف بطريقة مغايرة على حد قوله. وأضاف أنه حان الدور علينا كنساء. كنت ولا زلت أتساءل عن سبب تحرر أبي إلى حد ما، ربما ليعود الأمر لإنجابه البنات فقط، الأمر الذي ظل يعتبره ممتعا إلى حد ما. كان والدي يقرأ كثيرا، لنفسه لا لشيء آخر. وهو ما جعل العدوى تنتقل إلينا نحن أيضا. ربانا على المساواة التي كانت أمرا مسلما به في نظره. غير أنني تفاجأت كثيرا في وقت لاحق عندما بدأت العمل في الاستشارات الاجتماعية في ألمانيا، بكيفية طريقة تفكير الناس هنا وكيف يفكر المتعلمون في ألمانيا فينا نحن المغاربة، أو في النساء المسلمات. ما زلت إلى يومنا هذا مهتمة بمعرفة أسباب ذلك.

الوصول إلى ألمانيا

اتسمت أجواء الوداع في الدار البيضاء بالتأثر الكبير، كنا أول مجموعة من النساء ستسافر إلى ألمانيا، والمغرب وقتها يعيش حالة من الاضطراب السياسي والطلابي. لذا كان كثيرون ضد هجرة الشابات بمفردهن للعمل، وكانوا يبررون كل شيء بطريقة سياسية. كنت أتابع كل ما يجري، وأستأنس برأي الأقارب الذين كانوا يدرسون في الجامعة. الأمر الذي ساعدني على الالمام والاطلاع بعدد من القضايا والتي جعلت وجهة نظري مختلفة تماما باقي نساء المجموعة التي سافرت معها.

كان يوم أربعاء، حين وصلنا من الرحلة متعبات ومنهكات إلى مسكن جماعي، لم أكن أعرف أيًا من النساء الأخريات. ففي جو من التدافع والازدحام تم توزيعنا على الغرف، كنا أربع شابات في غرفة واحدة. لم أتناول أي شيء طيلة الرحلة. رغم الترحيب الجيد، وتوفر الخبز والزبدة وأشياء أخرى للشرب والأكل، إلا أنني لم آكل أو أشرب أي شيء منها لا لشيء سوى أنني أجهل ماهيتها. قناني من مشروب كوكا كولا والعصير، لفائف الخبز مع الجبن، وأنا لا أحب الجبن. لحم أبيض أيضا، قالت النسوة إنه لحم خنزير وحذرن من أكله. ظل الكيس البلاستيكي الذي يحتوي الأكل مغلقا ولم أجرؤ على فتحه. حصلنا أيضًا على سكر وقهوة على شكل حبوب. على أي حال، ذهبت إلى النوم ومعدتي فارغة دون أن أتناول أي شيء. في اليوم الموالي، جاء الطعام من المصنع إلى المسكن الجماعي في طناجر كبيرة للغاية بها لحم داكن مع البطاطس، وعلب كبيرة من صلصة التفاح. بينما تناول الجميع ما كان موجودا، توجهت أنا إلى

المترجمة، أسألها عن الخبز. فكيف لي أن أتناول وجبتي دون خبز؟ فأنا لم أتناول شيئا طيلة يوم أمس. اللحم الداكن لم يكن سوى مخلل الملفوف البنفسجي لم نعرف ما هو. وهذا دفع بالبعض للتعليق على أنه قد يكون لحما مخصصا للجنود. كانت النساء تمزح، بينما أنا أبكي مثل طفل. أكلت البطاطس دون أي سلطة، وبعد تناول الوجبة، طلب منا الذهاب إلى المصور. إذ كنا بحاجة إلى صور لصالح سلطات الهجرة من أجل إجراءات التسجيل. حصلنا على سبعين مارك ألمان من أجل التسوق، فاشتريت شيئًا لأكله، كان كل شيء يثير اهتمامي وفضولي. الجمعة صباحا تم نقلنا بالحافلة إلى مصنع الشوكولاته. أدخلونا إلى صالات كبيرة وتم شرحوا لنا الكثير من التفاصيل، كانت هذه هي البداية. لم يكن الأمر سهلاً لا علينا ولا على رئيسة العمال التي كان عليها تدريب مجموعتنا في وقت قصير. اقتصر الأمر في الأسبوع الأول على عبارة: "شغل شريط الانتاج، أوقف الشريط". طبعا بين هذا وذاك سلع كثيرة تعرضت للتلف.

التعود

حدث أنني في سنة ما، قاطعت كل شيء، بسبب خيبة الأمل. فالمصنع يعني العمل العضلي، ولم يكن الأمر سهلا. إذ كنت أعود بعد فترة الدوام إلى المسكن منهوكة. كما أن أجواء السكن الجماعي، لم تكن مناسبة لي. لذا قاطعت كل شيء بما في ذلك اللغة الألمانية. لم يعد يهمني أي شيء. التزمت غرفتي، واكتفيت بكتابة الرسائل وقراءتها لمدة عام كامل. ربما لم أكن ناضجة بما يكفي لاقتنع بما قاله أبي عن المرأة الألمانية أو شيئا من هذا القبيل. لم يكن لي أي تواصل مع الألمان على الإطلاق. حاولنا على سبيل المثال، خلق علاقات عبر العمل، لكننا فشلنا في ذلك. كانت النظرة النمطية هي المسيطرة: "نحن الألمان وأنت الأجنبية التي أتيت إلى

تصوير: زينب الداودي نزهة في الحديقة

تصوير: زينب الداودي مسكن النساء الجماعي

هنا للعمل". ذات مرة وأنا أستغل فرصة الاستراحة في قراءة كتاب بالفرنسية، تقدمت سيدة نحوي وسألتني هل فعلا أعرف القراءة أم أنني أتهجى الحروف فقط. اكتفيت بالنظر إليها وتحريك رأسي يمينا ويسارا استنكارا لهذا الموقف، ماذا عساي أن أقول لها. كان الأمر بالنسبة لي اضافة أخرى لتأكيد الصور النمطية. كان بإمكاني أن أتعلم بسرعة كبيرة، لكنني لم أرغب في ذلك. قد يكون لهذا علاقة بالمسؤولية التي ألقاها أبي على عاتقي، حين قال لي ستنجحين في مهامك. لماذا يطلب مني دائما النجاح؟ ربما لأنني كنت الأكبر سنا بين أخواتي. أنا إنسانة حساسة للغاية، عندما أرى موقفا ينطوي على تمييز ما، أصاب بحالة من "البلوكاج" أو أنني انفجر غضبا. هنا اخترت الموقف الأول. قاطعت كل شيء بما فيها الأنشطة التي تعودت القيام بها في أوقات فراغي. كان ذلك قرارا جيدا، خلدت للراحة طيلة عام. إذ كنت في حاجة إلى الراحة بعيدا عن أي ضغط كيف ما كان نوعه. كنت شغوفة بمعرفة أشياء كثيرة، غالبا ما أتناول حقيبتي اليدوية وأتجول في المدينة. أنظر إلى المنازل وإلى الشوارع وألقي نظرة على الحدائق الأمامية للمنازل التي كانت مرتبة بشكل أنيق للغاية. كنت أسأل نفسي، لماذا الناس هنا منظمون جدا؟ زرت المعالم الأثرية، وأثارني شكلها، وكنت أتساءل عن ماهيتها. هل هي دينية أم أنها أنصب تذكارية عن الحرب. كنت فضولية جدًا. عندما تصالحت مع ذاتي، بدأت تعلم اللغة الألمانية بشكل مكثف. وضعوا لنا في دار النزيلات مدرسا للغة الألمانية، ولم يكن يفوتني أي درس، غير أنني حاولت أن أتعلم بمفردي أيضا، معتمدة على الترجمة الفرنسية الألمانية والانجليزية أحيانا. في البداية كان الاعتماد على القاموس قليلا، ولكنه زاد مع الوقت. ثم جاءت باربرا التي كانت تشجعني كثيرا. كانت ترافقني إلى المدرسة وتجلبني منها أيضا، وأحيانا في وقت متأخر من المساء. سيدة لطيفة للغاية وتمد يد المساعدة. ساعدتني لأكون مترجمة. إذ كنت أرغب في أن أصبح مترجمة في ذلك الوقت أو أن أقوم بأي شيء آخر، عدا العمل في المصنع. كانت وظيفتي الأولى كمترجمة في شركة ديتمولد التي كانت وقتها تعمل في مشاريع مشتركة مع ليبيا. وكانت الإدارة العامة مكونة من ألماني وليبي، كان ذلك في صيف عام 1978. غير أن هذه الوظيفة لم تستمر سوى أربعة شهور، وأخبروني أن تحمل مصاريف وظيفة إضافية كمترجمة مكلف لهم. كنت الشخص الوحيد الذي يقوم بهذه المهمة داخل هذه الشركة، وترجمت وثائق مهمة. تطلب مني العمل هناك جهدا كبيرا، غير أنني جنيت من ورائها أموالا كثيرة، تدربت بها عددا من الأشياء. تلقيت هدايا كثيرة من رئيس الشركة، ومع ذلك كنت مسرورة بتوقف هذا العمل، لأن الشركة صغيرة. منحوني راتبي الشهري وتكلفوا بنقل أغراضي ومصاريف النقل إلى سكن خاص بي. كان كل شيء على ما يرام. في البداية استأجرت غرفة علوية في حي بيلك الشهير بدوسلدورف، وبعدها عشت رفقة عائلة ألمانية. عدت إلى المدرسة وكنت أتحمل مصاريف عيشي بالعمل في شركة للتعليب اشتغلت بها لستة اسابيع أو ثمانية. وبعد مرض موظفة في قسم المحاسبة، قمت بتعويضها وانتقلت للعمل الإداري. مكثت ست سنوات في قسم المحاسبة بهذه الشركة التي

تصوير: زينب الداودي اجتماع عمل مع رؤسائها في العمل

تسمى هورتن، وكانت تجربة جيدة جدا. ففي هذه الفترة انفتحت على المجتمع الألماني، على عكس الوضع في السابق. فقبل ذلك، كنت بمسكن بمثابة دار للنزيلات رفقة نساء مهاجرات، يلتحق المرء بالشركة للعمل، يكسب مالا ولم تكن أمامه أي فرصة للاندماج في المجتمع. بخلاف الوضع في هذه الشركة، حيث كنت على تواصل مع الألمان، وهو ما أفادني كثيرا. تعلمت الشيء الكثير عن النساء الألمانيات منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي، عن استغلال النساء في مثل هذه الشركات. صحيح أنني كنت في دور المراقب، لكنني كنت أنا أيضا معنية بهذا الأمر. إذ كان علي أن أعمل أكثر من الأخرين، أشتغل في ثلاثة أقسام. طيلة ست سنوات وأنا أكدح ليكونوا راضين عني وعن عملي. غير أنني بين عشية وضحاها، قلت لهم إلى اللقاء. لم أستقل من وظيفتي، وظبت حقائبي وركبت أول طائرة متجهة إلى المغرب. انتظروني في الشركة لمدة شهرين، فالجهد الذي كنت أبذله في الشركة سواء في قسم المحاسبة ومراجعة الفواتير وجميع الأمور التجارية، أنهكني كثيرا. بالرغم من كل هذه الأجواء الايجابية إلى حد ما، إلا أنه كانت هناك بعض الإهانات العنصرية التي تتناهى إلى علمي مثل "بائعة الجمال". إهانات كانت تجعلني أطرح أسئلة كثيرة عني وعن بلادي ووضعيتي. طبعا رفضت كل ذلك، وعدت إلى حيث أنا، إلى مكاني الطبيعي، إلى بلدي. هناك أفضل ألف مرة من الحياة على هذا النحو هنا. كنت وقتها بدأت أتعرض لاضطرابات في النوم، واضطرابات في الأكل، وأشياء أخرى لا أعرفها. كما أن وضع المرأة الألمانية لم يكن أحسن حالا كما تخيلت. كان يتعين عليها أن تبدل جهدا مضاعفا وأن تكد في مجالات كثيرة، أن تثبت نفسها وأن تكون مردوديتها جيدة للغاية. كل شيء يجب أن يكون رائعا. طال غيابي في المغرب، فتم فصلي من العمل. فكرت في مقاضاة الشركة إثر تسريحي، ولكن لم أكن أرغب في العودة إليها على الإطلاق. وفي خضم ذلك تعرفت على جمعية آفو للرعاية الاجتماعية.

جمعية آفو للرعاية الاجتماعية.

بدلاً من معالجة شكواي، أخبروني أنهم بحاجة إلي. هكذا بدأت علاقتي بمنظمة آفو للرعاية الاجتماعية في سنة 1984. ففي هذه الفترة عرفت قضية لم شمل الأسرة دينامية كبيرة. لذا كانت المنظمة ترعى هذا الشمل بعروض كثيرة، كرعاية الأطفال ودروس الدعم والتقوية ومحو الأمية بالنسبة للنساء، ودورات للحرف اليدوية. كان ذلك بهدف فك العزلة المجتمعية على النساء. هكذا وجدتني منخرطة في هذه البرامج. أشرفت على دورة للخياطة طيلة عام. وفي سنة 1985 أصبحت موظفة رسمية لدى المنظمة، بعدما تلقيت دورات تدريبية في مجال الرعاية الاجتماعية. في الواقع كان التكوين والتعليم سبب مجيئي إلى ألمانيا، كنت أرغب في تكوين نفسي. فبفضل الشهادات والمعرفة المدرسية التي حصلت عليها في المغرب، تمكنت بسرعة من الحصول على شهادة الباكالوريا المهنية في ألمانيا. وقد تطلب مني ذلك سنتين من الجد والمثابرة، بدل سنة بسبب مكوثي في المغرب. كان والدي يسألني في أي رسالة يرسلها لي، عما حققته. في البداية كانت المراسلة هي وسيلة الاتصال الوحيدة تقريبا، وحتى عندما يحدث ونتواصل هاتفيا، يتكرر السؤال نفسه. فالتكوين كان يحظى بأهمية كبيرة لديه. اعتقدت أن هذا هو أقل ما يمكنني تحقيقه. فإلى جانب عملي في الشركة،

تصوير: زينب الداودي زيارة لإحدى زميلاتها من المجموعة في هولندا

تصوير: زينب الداودي 2000 أثناء العمل

تمكنت من الحصول على شهادة الباكالوريا المهنية، فيما يعرف في ألمانيا بالمدرسة الموازية التي تحتضنها فترة المساء. كان الأمر متعبا للغاية، كنت أصل إلى شقتي في العاشرة والنصف ليلا. أما إذا كانت ورديات دوامي في الصباح الباكر، فأستيقظ في الخامسة صباحا. كانت باربرا التي التقيتها مرة أخرى، عاملا مساعدا لي بشكل كبير، شكلت بالنسبة لي نموذجًا آت من الحركة الطلابية يحتذى به. ساندتني لأنها رأت أنني أريد تحقيق شيء ما. إذ كنت بحاجة إلى الحماية في هذه الفترة، وهو ما وفرته لي باربارا.

باربارا مرة أخرى

كان للصدفة دورا كبيرا في ذلك، فعن طريق صديقة لها علمت بالتحاقي بالمنظمة من خلال برنامج تلفزيوني في قناة "في دي ار". حاولنا نحن الاثنان البحث عن بعضنا البعض، وباءت كل المحاولات بالفشل. والغريب أننا كنا معا في مدينة دوسلدورف وترددنا معا على مقر البلدية، كنا نتردد على نفس الأمكنة. كنت عضوًا في لجنة المرأة في الحزب الاشتراكي الديمقراطي، بينما هي عضوا في اللجنة التابعة لحزب الخضر، ولجان أخرى أيضا. كنت اعتقد أنها هاجرت إلى أمريكا الجنوبية في إطار دفاعها عن قضايا حقوق المرأة هناك. وكانت هي تظن أنني عدت إلى المغرب، وتزوجت هناك وأصبح لي دستة من الأطفال. عندما التقينا تدفقت الدموع من أعيننا. تعانقنا بحرارة، وضحكنا كثيرا حول طريقة تفكير بعضنا البعض. فقالت لي" لا، أنا متوجسة، ليس لدي الشجاعة للذهاب إلى مكان بعيد والعيش هناك."

مجال الاستشارات الاجتماعية

كان عملي عبارة عن النموذج الكلاسيكي للاستشارات الاجتماعية. إذ كنت أقوم بتوجيه الأشخاص إلى الهيئات المختصة وأقوم بإجراء التدابير اللازمة، سواء تعلق الأمر بالمسائل القانونية أو بقضايا الطفولة والشباب. في البداية كنت من أنصار البحث عن الخطأ لدى الطرف الآخر. فغالبا ما كان يثير غضبي، عندما يأتي إلي رجل ويخبرني أن زوجته تعرضت للدفع من على السلالم، فقط لأنها صادفت شخصا ولم يعجبه منظرها. كنت أصدق هذه الحكايات وأغضب كثيرا. كنت أعتبر أن ذلك قضيتي أيضا، غير أن أنني في التدريب الأساسي، تعلمت الفرق بين الاستشارة والرعاية الاجتماعية، أي كل ما يتعلق بالتوجيه والمرافقة وإجراء المحادثات وما إلى ذلك. شاركت في جميع عروض التأهيل المقدمة، إنها مسارات حددت طبيعة عملي. ما بين عامي 1985 و 1990، أشرفت على أول مشروع يتعلق بالإدماج الاجتماعي والمهني للنساء والفتيات المغربيات. فأغلب اللواتي يترددن على مكتبي، كن ينحدرن من شمال إفريقيا. في البداية، سمحت لنفسي بالاتصال بالمحامين وتوجيه السؤال لهم، "كيف يمكن لكم الدفاع عن شخص في مسألة غير عادلة؟". كثيرا ما أجريت اتصالات من هذا النوع. فالأمر كان بالنسبة لي غاية في الجد. كنت أتصل وأسأل: "أنت سيد فلان أو دكتور كذا وكذا إنك تترافع في قضية لا أساس لها من الصحة." في ذلك الوقت، كانت المجموعة النسائية التي أشرف عليها، تحظى بأهمية كبيرة في عملي. أردت أن أظهر للنساء أو العائلات أين يعشن، وكيف يتحدث الناس عنهن، ليتعلمن مواجهة الأمور بأنفسهن. غالبًا ما كان لدي شعور بأنني لم أكن أُفهم على نحو جيد. لذا قمت بترجمة نصوص ووزعتها على الأمهات، وشرحت لهن كيف يتحدث الناس عنهن وعن أطفالهن الذين يُزعم أنهم يعيشون في الشارع ولا يأكلون الخضار وأنهم مُهملون. وكنت أسألهن هل توافقن على هذا؟ ألا تردن تغيير الصورة؟ من المهم جدًا بالنسبة لي أن يعرف الناس مكانتهم وكيف يراهم الآخرون. فهذا العمل التوعوي كان خطوة نحو الاندماج. أما الرجال فلا أحد منهم كان يأخذ امرأة شابة على محمل الجد، بخلاف الأمر مع النساء حيث كان باستطاعتي التحدث بصوت عالٍ وتوضيح الأمور. ومع ذلك، سارت الأمور ببطء شديد للغاية وبصعوبة أيضا. فعلى سبيل المثال، كان لدينا أوقات معنية مخصصة للاستقبالات، كانت تتفادها النساء وتأتين خارجها حتى لا يراهن الرجال. أو أنني لم أكن أعلم بمشاكلهن إلا بعد ذهابهن إلى ملجأ النساء أو إلى المستشفيات ويكون الأطفال قد انزلقوا إلى طريق ليس على ما يرام. واجهتني صعوبة كبيرة تمثلت في عدم ترحيب رجال الجيل الأول بعملي. شعروا وكأن الاستشارة التي أقدمها للنساء تحريض ضدهم. وإذا حدث وأن غادرت الفتيات اللواتي يبلغن من العمر 13 أو 14 منزل العائلة، فإنهم يحملوننا المسؤولية. ونفس الأمر عندما تذهب النساء إلى الملجأ أو إلى المستشفى، فإنهم يلومونا بدلا من البحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك. هناك حالة أخرى، ويتعلق الأمر بتلميذة كانت تدرس في المدرسة إلى أن

غادرت رفقة عائلتها المغرب إلى ألمانيا. وهي تبلغ من العمر خمسة عشرة سنة. كانت شابة واثقة من نفسها وهي في مرحلة التطور وإثبات الذات. ربما أنها كانت تعيش وسط أسرة كبيرة العدد وأن لا أحد كان يعارضها. وعندما التحقت هنا بالمدرسة لم تستطع تحمل النقد، مما أدى إلى حدوث سوء فهم بينها وبين المعلمة فقامت بتعنيف المعلمة. هنا كان علينا التوسط أيضا، فأحدثنا مجموعة خاصة بالفتيات للتعامل مع هذا النوع من القضايا وحل المشاكل في إطار من الاحترام. كما وجدنا أنفسنا أمام نساء شابات رفقة أطفال تخلى عنهن أزواجهن. إذ كان الرجال يعيشون علاقات أخرى موازية. وهو ما أدى إلى هذا الوضع. فلم يكن أمامهن إلا اللجوء إلينا كمنظمة، لأنهن لا يعرفن الكتابة والقراءة. وهكذا اضطررنا إلى تنظيم دورات لمحو الأمية وللغة الألمانية وحصص للتواصل. مرارا كنا نتلقى مكالمات هاتفية للطوارئ، حيث نساء تركن لوحدهن رفقة أطفالهن الصغار من بينهم رضع وليس لديهم طعام. ففي إحدى المرات وجدت سيدة كانت عاجزة عن التواصل لا بالعربية ولا بالألمانية ومعها أطفال صغار ورضيع لديه رضاعة بها شيء من العصير، والمطبخ فارغ تماما. في كثير من المرات كنا نستجيب لمكالمات الطوارئ هذه ونضطر إلى التدخل ومساعدتهن على تقديم طلبات إلى مكتب الرعاية الاجتماعية لتغطية نفقات المعيشة. ومرارا كنا نضطر إلى اللجوء إلى صندوق المنظمة لتوفير ما يحتاجه الأطفال من حليب وزبدة وخبز كامل وبطاطس وغيرها من الضروريات. كانت هناك حالات تقدمنا فيها بطلب مستعجل لمكتب الرعاية الاجتماعية لتحويل مصاريف الإيجار والكهرباء. مجال آخر لعملنا كان يتعلق بمساعدة النساء المهاجرات للحصول على تأهيل أو تدريب. فكثير من النساء مثلا من يوغوسلافيا السابقة كن متعلمات ولهن مستوى تعليمي جيد، وكن بحاجة إلى تأهيل معين، وهو الأمر نفسه مع عدد ليس بالقليل من النساء المغربيات اللواتي كان لهن مستوى تعليمي جيد، لكنهن بحاجة للتوجيه. كنا ننظم أيضا تأهيلا وتدريبا بعد حصولنا على دعم مادي لمدة أربع سنوات، أصبحت خلالها وسيطة ومدربة.

التقاعد

الآن أنا متقاعدة وأواصل العمل على أساس تطوعي، لرد الجميل لمن هم بحاجة للمساعدة، فرؤيتهم سعداء أمر مهم جدا بالنسبة لي. وهذا ساعدني كثيرا، خاصة وأن أبناء بلدي بحاجة إلي وبإمكاني منحهم أشياء كثيرة، أولها مكانا يمكنهم التحدث عن مشاكلهم وتبادل الأفكار والحصول على إمكانية لتطوير أنفسهم. على أي حال، لقد تعلمت شيئًا واحدًا على مر السنين: يجب على المرء التحدث إلى الناس باللغة التي يفهمونها، وأن يمنحهم الشعور بالثقة وان ينفتح عليهم.

تصوير: زينب الداودي أثناء العمل

جواز السفر

محمد عسيلة

- من مواليد الرباط
- أستاذ
- في ألمانيا منذ 1986

"سيرتي المختصرة"

يتأمل محمد عسيلة في مساهمته هذه، موضوع التعبير عن الذات وتاريخه الشخصي. وبذلك يتخذ من نفسه مكانة الغريب، مثلما قام بها ألفريد شوتز الذي ينظر إلى نفسه من الخارج في محاولة للتعبير الموضوعي عن الذات. بهذه الطريقة تصبح السيرة الذاتية موضوع عملية مفاوضات داخلية وتتحول إلى مقدمة مثيرة للتعبير عن الذات.

ليس من السهل الكتابة على الذات. أن يكتب الإنسان عن ذاته، يعني أن يصفها ويكون مرآتها. وهذه المهمة تقتضي من صاحبها أن يكون عارفا بذاته، وجريئا بما يكفي لخوض تجربة البوح الصادق والواعي لكشفها عبر السفر إلى الماضي. سبر أغوار النفس مسار يقود بشكل طبيعي إلى التطهير والطمأنينة أيضا. بعد أن أترك جزء من عبء روحي على الورق سأسمح لك عزيزي القارئ، بالولوج إلى وجداني وعوالمي التي ظلت مغلقة حتى هذه اللحظة. لكن قبل ان اضع ذاتي بين يديك، أتساءل إن كنت حقا، صادقا مع نفسي ومع الآخرين؟ أم انني أخفيت عنك الحقائق واحتفظت بها لنفسي؟

اسمي محمد عسيلة. ولدت بالرباط في 27 مايو 1963. نشأت في أسرة مكونة من ستة أشقاء. ولأنني الابن الأكبر، وجدت نفسي أتحمل المسؤولية في سن مبكرة. ساعدت والداي في تربية إخوتي. وكنت مستمتعا بهذه المهمة، حتى أنني وسعت نطاقها إلى مساعدة أطفال جيراننا لإنجاز تمارينهم المدرسية. حصلت على الثقة والبركة من آبائهم وعلى الفخر والاعتزاز من والدتي. وبدا والدي منتشيا بنجاح تربيته. ذات صباح وجدتني ارتدي بدلتي واستعد للرحيل. وقف والدي بجانبي وهو يحاول إخفاء دموعه. كانت تلك أول مرة أراه فيها يبكي. وبينما كانت والدتي تغلف معجناتي المفضلة في كيس بلاستيكي، أخرج سبحة ودسها في جيبي بلطف. فالسبحة لتغذية الروح والمعجنات لتقوية الجسم، قالت أختي ممازحة لتلطف أجواء هذا الموكب الوداعي المؤثر. بعد عناق حار ودعت أسرتي في ذلك اليوم الصيفي من عام 1986.

في السادس عشرة من أغسطس 1986 هبطت الطائرة بسلام في مطار دوسلدورف غرب ألمانيا. انتعشت خلالها ذاكرتي على نحو غير مسبوق. كلما علت الطائرة في الجو، عادت بي الذاكرة إلى الوراء، إلى مرحلة الطفولة والشباب، حاولت التخلص منها برفق بالخوف من الطيران. يومها أدركت مدى أهمية اللغة الألمانية. وقد تعلمت أساسياتها في معهد غوته بالمغرب، قبل مغادرتي للبلاد. فباستخدام ما تيسر لي من كلمات، استفسرت حارس الأمن عن أمتعتي المفقودة. وحين عثرت عليها، كنت فخوراً بنفسي، مثل افتخار والدي بي، عانقت حقيبتي وركبت سيارة أجرة نقلتني إلى الفندق.

في السنوات الثلاثة التي عملت فيها في القنصلية العامة المغربية بدسلدورف، اشتغلت في أقسام مختلفة. خلال هذه الفترة اخذت فكرة عن طبيعة المشاكل التي يواجهها ابناء بلدي في الاندماج. الخبرة التي جمعتها رافقتني طوال فترة اقامتي. في أغسطس عام 1989 بدأت العمل في مدرسة ابتدائية في منطقة مهمشة. كنت سعيدًا جدا بذلك. إذ تمكنت أخيرًا من ممارسة مهنتي. اعتقدت

تصوير: محمد عسيلة ـ طنجة

أن مهمتي ستكون سهلة. وكان علي تعليم الأطفال اللغة العربية. لقد أخذت على عاتقي حقيقة أنه من اللامبالاة تعزيز فانتازيا عالم اللغة العربي والمغربي لهؤلاء الأطفال، الذين يطلق عليهم أطفال من أصول مهاجرة، دون أخذ واقعهم المعيشي بعين الاعتبار. وقفت على قدرة وكفاءة اللغة الأم للأطفال كتحديد محتمل لأصلهم وثقافتهم بالإضافة إلى كونها أساسا لتعلم اللغة الألمانية.

منذ البداية اضطلعت بأدوار مختلفة: كنت مدرسا ومعلما وصديقا وقدوة وزميلا ومرشدا ومشاركا في تنظيم الحياة المدرسية. حفزني هذا التنوع في الأدوار وما حققه من نتائج ومنحني طاقة أكبر للعمل. خلال أسابيع التدريس الأولى، تمكنت من تنظيم أمسيات مختلفة للوالدين. اشركت عائلات كثيرة في هذه الفعاليات لأنني كنت مقتنعا انهم عنصر مهم في أي عمل تربوي مهني. على هامش إحدى اللقاءات كانت الكلمات التي وجهها لي مدير المدرسة مؤثرة جدا: "أنت مصدر قوة لمدرستنا ولجاليتنا". شارك في تلك الأمسية أكثر من ثلاثين شخصا من أولياء أمور التلاميذ. تناول المدير الشاي معنا وأشاد بي. وفي العام الدراسي نفسه، نظمت مدرستنا حفلا صيفيا تمكنا خلاله، الى حد ما، من تغيير الصورة النمطية والفلكلورية التي كانت راسخة في أذهان العديد من الألمان عن المهاجرين وابنائهم. زرعنا شجرة تفاح وسط المدرسة كرمز للتعاون البناء بين أولياء الأمور المغاربة و"مدرسة زاندهايده" الابتدائية ومجلس المدينة. نمت الشجرة وجادت علينا بظلها في الأيام المشمسة والدافئة. وهي لا تزال هناك شاهدة على التعاون والصداقة.

كرمز للتعاون البناء بين أولياء الأمور المغاربة ومدرسة زاندهايده الابتدائية ومجلس المدينة، قمنا بزرع شجرة تفاح. فبتعاون مع تلامذتنا نمت هذه الشجرة وسط مدرستنا وجادت علينا بظلالها الوفيرة في الأيام المشمسة والدافئة. ولا تزال الشجرة باسقة فروعها اعترافًا بهذا التعاون وتذكيرًا بهذه الصداقة. كان من المؤلم أن أودع عمتي التي ربتني، في أحد أمسيات لقاءات الوالدين. كانت منارة لنا جميعًا بشجاعتها وحكمتها. حازمة ومتسامحة ومستقيمة. كانت تروي لنا قصصًا مذهلة في الشتاء هي تسعل دائمًا بسبب مشاكل في الحبال الصوتية. كنت أكره هذا السعال لأنه جعل عمتي تفقد استرسالها وقدرتها الابداعية في الحكي. اتصل بي خالي وعندما قال" إنا لله وإنا إليه راجعون، علمت على الفور أن الأمر يتعلق بعمتي التي كانت صحتها سيئة للغاية. أصبح التوتر بين حياتي هنا والوطن واضحًا وملموسًا مع فقدان عمتي. في تلك اللحظة، علمت أن هناك أنواعًا مختلفة من الحنين إلى الوطن تتغير بسبب السياقات المختلفة التي يخبرها المرء. كان الوطن بالنسبة لي، يعني بدايات جديدة وما يرافقها من مشاعر. وجدت العزاء في مسجد على أطراف المدينة. بكيت بهدوء وصليت بصوت عال.

جواز السفر

محمد أخرضيض

- من مواليد نكتافة
- في ألمانيا منذ 1970
- حاصل على دبلوم علوم العمل الاجتماعي
أخصائي اجتماعي معتمد من الدولة

"في الواقع، أردت فقط زيارة خالي"

أراد محمد أخرضيض زيارة خاله فقط، لكن هذا الأخير وجد له عملا على الفور في مصنع لتلفيف البيض كان يشتغل فيه آنذاك. فأصبح بين عشية وضحاها، عاملا بمصنع في هولندا حيث كان عليه أن يفرز البيض الفاسد بينما يجري الحزام الآلي بسرعة مذهلة. بعد بضع دقائق أدرك أنه رأى بيضًا أكثر مما أكل وسيأكله في حياته كلها. سرعان ما أدرك أنه لن يكون سعيدًا كعامل مصنع وانتقل إلى ألمانيا. هناك بدأ العمل كبائع في متجر خاص بالخضر والفواكه النادرة في الأسواق والمستوردة آنذاك. بعد ذلك درس علم الاجتماع بجامعة بون بعد استقراره بها.

أصولي الثقافية والاجتماعية

أنتمي إلى عائلة مزارعين صغيرة من أنامير، وهي قرية صغيرة تبعد حوالي 40 كيلومترًا جنوب مدينة الصويرة. فمسقط رأسي كان بوسط المنطقة التي اشتهرت بأشجار الأركان التي تعطينا ما يسمى بـ "الذهب السائل" المغربي. للأسف لا تنعكس الثروة والإزدهار على هذه المنطقة وعلى منطقة الأركان بشكل عام. فالمنطقة ذات مناظر طبيعية جميلة، لكنها فقيرة من الناحية الهيكلية وقطار التنمية فيها يسير بسرعة بطيئة. تعتبر ولاية الصويرة التي تنتمي إليها هذه المنطقة إدارياً، من أفقر الأقاليم في المغرب تطغى عليها الهجرة القروية.
في سن الثانية من عمري، أخذتني عمتي معها وهاجرت إلى الرباط رفقة زوجها، وترعرعت هناك في منزلها. ذهبت إلى المدرسة هناك، وسُمح لي بزيارة والديّ في القرية خلال الإجازات المدرسية. وبالتالي فإن التواصل مع الحياة الريفية في تلك المنطقة لا يزال قائما حتى يومنا هذا. وقد دفعني ارتباطي بالمنطقة إلى تحفيز شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا للقيام بعدد من المشاريع الصغيرة ما بين نوفمبر 2012 وأكتوبر 2016 في مجالات الصحة والشباب والتعليم وحماية البيئة. جزء من تنشئتي الاجتماعية تم في العاصمة الرباط، وهناك قضيت جزء من حياتي إلى حدود الثامنة عشرة من عمري، حيث حصلت على الباكالوريا. كما أن الهجرة من المغرب والاستقرار في ألمانيا ودراستي هنا بالإضافة إلى مسيرتي المهنية طبعت حياتي. فأنا راضٍ جدًا عن النتائج التي حققت وأشعر أنني بحالة جيدة في وطني الذي اخترته عن قناعة. ويظل المغرب موطني الأول، وكما هي الحال في ألمانيا، فلدي أشخاص هنا يعنون لي الكثير. وأشعر بارتياح كبير سواء هنا أو هناك، فقلبي يخفق لهما معا. أنا متزوج منذ ديسمبر 1985 ولدي ابنتان. عائلتي الصغيرة تنحدر من ثقافات متعددة، فلها أصول مغربية وألمانية وإيطالية.

صيف 1970: الهجرة من المغرب

عندما غادرت المغرب في يونيو 1970، لم تكن نيتي التوجه إلى

تصوير: محمد أخرضيض ـ بورتريه

تصوير: محمد أخرضيض ـ المصدر الوحيد لتتبع أخبار الوطن في فترة السبعينيات

ألمانيا. كنت أود زيارة هولندا للمشاركة في فعالية لخدمة الشباب الدولية للتطوع. كما كنت أنوي قضاء بضعة أيام عند خالي الذي كان يعيش ويعمل في إحدى ضواحي أمستردام منذ أوائل الستينيات. السبب الرئيسي لقراري بالسفر إلى دولة أوروبية أخرى هو أنني كنت مصرا بعد حصولي على الباكالوريا على دراسة علم الاجتماع. غير أن تحقيق هذه الأمنية في المغرب، كان وقتها صعبا إلى حد ما، خاصة بعد إغلاق معهد السوسيولوجيا في الرباط لأسباب سياسية. كما أن الجامعة المغربية كانت تعرف العديد من الاضطرابات. وهو ما دفعني للبحث عن إمكانية أخرى لتحقيق حلمي خارج المغرب. لذا وجدت في المشاركة في هذه الفعالية الشبابية، فرصة مواتية للبحث عن مقعد للدارسة أيضا. فألمانيا التي أصبحت لاحقا وطني الثاني، لم أفكر فيها إطلاقا. وهي البلد التي لم أكن أعرفها سوى من المقرر الدراسي، حتى أنني اخترت دون وعي أثناء إجراء امتحانات الباكالوريا مواضيع خاصة بألمانيا في مادتي التاريخ والجغرافيا.

هولندا: محطة الانطلاق

كان تسجيل المشاركة في خدمة الشباب الدولية للتطوع في إحدى دول أوروبا الغربية والتأكيد الكتابي من المنظمة قد مهد الطريق لي لمغادرة المغرب بشكل قانوني. فقمت بإجراءات لاستصدار جواز السفر، وكان وقتها يتطلب موافقة الوالدين بالنسبة للقاصرين، لأن سن الرشد كان وقتها محدد في عمر الواحد والعشرين عاما. أما مصاريف الإقامة والأكل فكانت على حساب المنظمة لمدة ثلاثة أسابيع، مقابل بعض ساعات من العمل التطوعي. وهكذا سافرت في بداية يونيو 1970 دون أي مشاكل تذكر، حيث كان نصيبي إحدى ضواحي مدينة أمستردام الكبرى. تعرفت في ورش التطوع هذا، على شباب وشابات من مختلف القارات تتراوح أعمارهم ما بين 17 و21 عامًا. وشكل ذلك بالنسبة لي فرصة إيجابية ومهمة للغاية لاكتشاف أوروبا، فهناك صقلت أولى خبراتي رفقة شباب من ثقافات مختلفة. إذ أحببت حقًا تنوع اللغات والأصول الاجتماعية للمشاركين. وقد

تصوير: محمد أخرضيض ـ خلال المدرسة الابتدائية، الرابع في الصف الأول جلوسا

ساعدني في ذلك، أنني أنا أيضا نشأت في بيئة متعددة اللغات واكتسبت مهارات لغوية جيدة في الفرنسية والإنجليزية خلال المرحلة المدرسية. تَركت هذه التجربة التي قضينا فيها ثلاثة أسابيع في المخيم، ذكريات جميلة نجمت عنها صداقات حقيقية. استمتعنا كثيرًا، سواء أثناء العمل التطوعي الذي أنجزناه معا، أو خلال أوقات الفراغ. إذ قمنا بإعادة تصميم أحد الحدائق العمومية تحت إشراف متخصصين في هذا المجال.

إقامة قصيرة في أمستردام

عندما انتهت فترة المخيم في أحد أيام الجمعة، توجهت لزيارة خالي الذي كان يعيش في سكن مشترك مع عمال آخرين في زاندام بضواحي امستردام. رحب بي الجميع، وكان استغرابي كبيرا بعدما سُمح لي بسرعة البرق العمل في مصنع البيض، حيث كان يعمل الخال ومعظم زملائه. إذ قاموا بترتيب هذا الأمر مع أصحاب الشركة، وقتها لم يكن لدي أي فكرة على الإطلاق عن عالم الشغل في أوروبا وكان مسموحا بالعمل للتلاميذ والطلبة خلال العطلة الصيفية. تم قبولي واعتبرتها فرصة للعمل خلال العطلة الصيفية وتوفير شيء من المال. غير أن الأولوية القصوى بالنسبة لي كانت هي الالتحاق بالجامعة في أقرب وقت ممكن والبدء بدراسة علم الاجتماع، حتى وإن لم يكن لدي أي فكرة في أي بلد سيكون ذلك. خلال تلك العطلة، خطرت لخالي فكرة زيارة شقيقه الذي يعيش في بون وأراد أن أرافقه في الرحلة. أخرجت حقيبتي الصغيرة وحزمت أغراضي بفرح كبير. فلدي ذكريات جميلة وأنا طفل عن هذا الخال الذي يعيش في بون، وكنت أحبه كثيرا، وكان قد أهداني أول حذاء رياضي باللونين الأزرق والأبيض. كان محبوبا جدا لنا كأطفال. إذ كان يعمل طاهيا في ثكنة أمريكية بالمغرب. غير أنه غادر المغرب في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي ولم يزر وطنه. كان بالنسبة لي شخصا ثريا. وهكذا كان ينظر لأي شخص في مغرب الخمسينات، لمجرد أنه يملك سيارة.

ودعا أمستردام ـ مرحبا بون

وصلنا إلى بون في يوم سبت، وكان الاستقبال من عائلة خالي حارا ومثيرا للإعجاب بالنسبة لي. كنا نعلم في المغرب أنه تزوج بامرأة ألمانية من أصول برازيلية وأنجب منها أربعة أطفال، وكان المولود الخامس طفلة قد جاء إلى هذا العالم، قبل يومين فقط من وصولنا إلى بون. أما فيما يخص مستقبلي، فتحدث خالاي فيما بينهما واتفقا على أن الأمر موكول لي، لاختار إن كنت سأبقى في بون أو أن أعود إلى أمستردام. كان الاختيار سهلاً بالنسبة لي، فقررت البقاء مع عائلة خالي في بون. وزاد من دعم الموقف علاقة الارتباط السريع التي جمعتني مع الأطفال. فأنا شخص يحب الأطفال وعلاقتي بهم كبيرة للغاية. وكما توقعت أصبحت العلاقة بيني وبين الأطفال جيدة للغاية، كنا نستمتع بالتجول معا في عطلات نهاية الأسبوع، أو عندما أرافقهم

تصوير: محمد أخرضيض ـ قرية نكنافة مسقط الرأس

إلى حدائق الألعاب. لا زلنا نتذكر ذلك إلى يومنا هذا عندما نلتقي من حين لآخر. كنت أتوقع أيضا أن يساعدني الأطفال في تعلم الألمانية بشكل سريع. فمن المعروف أن الأطفال هم أفضل المعلمين للكبار للتعلم الشفاهي للغة أجنبية. إذ يقومون بتصحيح الأخطاء على مستوى النطق وبناء الجملة دون سخرية.

الاستقرار في بون

بعد إقامة قصيرة في بون، عاد خالي إلى أمستردام من دوني. بعد ذلك مباشرة، بدأت في التخطيط لكيفية تمديد إقامتي في ألمانيا، بعد انقضاء الأشهر الثلاثة التي كان مسموح للمرء أن يبقى فيها دون تأشيرة. كانت الظروف مواتية للبقاء في ألمانيا، بسبب استمرار العمل باتفاقية جلب اليد العاملة بين ألمانيا والمغرب. بعد أيام قليلة وجد لي خالي عملا في محل بقالة يسمى "الحديقة الإسبانية". وبعد بضعة أسابيع من التدريب في هذا المتجر المتخصص في بيع الخضر والفواكه المستوردة من شتى أنحاء العالم، سلمني صاحبه عقد عمل، وعدت به إلى الرباط لاستكمال الإجراءات المتعلقة بطلب واستصدار تأشيرة العمل. وهو ما نجحت فيه، لأعود في فبراير 1971 إلى ألمانيا، ولكن هذه المرة بتصريح عمل وإقامة. خطوة جعلتني أنتمي بكل فخر للجيل الأول من المغاربة الذين هاجروا إلى ألمانيا للمساهمة في إعادة بناءها بعد الحرب، رفقة ألمان وغيرهم من "العمال الضيوف": من الإيطاليين والإسبان والبرتغاليين والتونسيين واليونانيين وآخرين.

بداية العمل في بون

بعد العودة إلى بون عملت بدوام كامل في محل البقالة " Spanischer Garten": أي الحديقة الإسبانية، وأتيحت لي الفرصة لتحسين مهاراتي في اللغة الألمانية أثناء خدمة الزبائن الألمان. كان المحل يوجد في حي باد غوديسبيرغ الدبلوماسي. وهو مقصد مثالي للذواقة سواء الألمان أو المقيمين الأجانب. هناك أيضًا، أتيحت لي فرص جيدة للتحدث بالعربية أو الفرنسية أو الإنجليزية مع أعضاء السلك الدبلوماسي الذين كانوا زبائن قارين للمحل. لم يكن متجراً للخدمة الذاتية، كما أن معظم البضائع المستوردة من الخارج مثل الفواكه والخضار لم تكن تعرض جاهزة أو معبأة في أكياس. وهو ما جعل طلبات الزبائن عالية فيما يخص جودة البضائع التي كانت أسعارها مرتفعة مقارنة مع الأماكن الأخرى. لذا كان الزبائن بحاجة إلى مشورة مفصلة للإجابة على أسئلتهم العديدة حول تحضير واستهلاك عدد من الأطعمة والبضائع التي كانت تبدو في ذلك الوقت غريبة على المجتمع الألماني كزيت الزيتون والباذنجان وخضر وفواكه أخرى قادمة من منطقة البحر الأبيض المتوسط. كان معظم الزبائن القارين من المشاهير والأثرياء والشخصيات المعروفة في عالم الأعمال والسياسة والرياضة أيضا. لذا أتيحت لي الفرصة، أو بالأحرى شرف تقديم خدماتي عن قرب عدة مرات عند التسوق للمستشار السابق فيلي برانت الذي كنت أقدره كثيرًا على المستوى السياسي والشخصي أيضا. زبائن أخرون معروفون أيضا كانوا يترددون على المحل، على سبيل المثال هربرت فينر وراينر بارزل. كان فينر أكثر شخصية فكاهية بسبب نكاته بلهجة منطقة الراين. ونشأت علاقة ود بيننا أزالت الكلفة بيننا. هذا بالإضافة إلى عدد من المشاهير الآخرين في مجال الغناء الشعبي الألماني مثل راينهاردت ماي وهاينو وروبيرتو بلانكو. ولا أنسى قصة زبون آخر كلما أتى إلى المحل يتسارع الجميع لخدمته نظرا لسخائه مع العاملين. إذ اعتاد أن يدس في جيب من يخدمه ورقة من عشرين مارك. ويتعلق الأمر بابن العرافة الشهيرة وقتها "بوخالا" من أقلية روما والسنتي. كان دائمًا يرتدي ملابس غالية ويتزين بالكثير من الذهب على رقبته وأصابعه.

بدء الدراسة في بون بتمويل ذاتي

في عام 1972 التحقت بجامعة فريدريش فيلهلم في بون وكان علي أولاً الالتحاق بالأقسام التحضيرية لمدة فصل كامل أي ستة شهور. هناك اجتزت امتحان القبول بالجامعة، ودرست علم الاجتماع والعلوم السياسية والإثنولوجيا إلى غاية عام 1978. فباستثناء المنحة التي منحتني إياها رابطة الطلاب الإنجيليين(ESG) في المرحلة النهائية

تصوير: محمد أخرضيض ـ في محل لبيع السلع الغذائية في الحي الديبلوماسي ببون

من دراستي، كان علي تمويل دراستي بإمكانياتي الذاتية. إذ كنت أعمل بدوام جزئي في المحل أو من خلال تعويضات رمزية عن أنشطتي التي كنت أقوم بها في مجال الاندماج أو حصص الدعم للواجبات المنزلية أو بعض الأنشطة في الترجمة. في عام 1979، قمت رفقة مجموعة من المعلمين بتأسيس جمعية حصلت على دعم من التمويل العمومي. كانت تهدف إلى تقديم عروض لإدماج العمال الأجانب، من خلال دورات مكثفة في اللغة الألمانية والتأهيل الحر للحصول على شهادة مدرسية. كما كانت جمعيتنا تستهدف أبناء الأسر الأجنبية من تركيا أو يوغوسلافيا السابقة وتونس والمغرب، بعد العمل على نطاق واسع بالتجمع العائلي. هناك دَرَسْت اللغة الألمانية والتاريخ إلى أبريل 1983.

الانتقال إلى فرانكفورت والعمل في عدة ميادين وتخصصات في العمل الاجتماعي

بعد ذلك انتقلت إلى فرانكفورت إثر حصولي على عمل بمنظمة أفو للرعاية الاجتماعية الذي كان يتردد عليها مواطنون مغاربة وتونسيين. هي مرحلة جديدة في حياتي المنهية من جهة والدراسية من جهة أخرى. اعتبرتها فرصة لتأمين دخل مالي قار ولتحضير شهادة الدكتوراه عن الهجرة المغربية في ألمانيا أيضا. غير أنه ولسوء الحظ، لم ينجح الأمر لسببين، أولا لكون المنطقة التي أغطيها من خلال عملي من المقر الرئيسي فرانكفورت، هي ولاية هيسن بكاملها، مما يجعلني انتقل مرة في الأسبوع إلى مدن أخرى ككاسل ودارمشتات وروسلسهايم. إلى جانب ذلك كنت أقدم الدعم لمواطنين من أصول مغاربية أو عربية عندما تواجههم مشاكل لدى الشرطة أو في المستشفيات والمحاكم. لم يكن دوري يتوقف على مهام كوسيط لغوي فقط، بل للمساعدة في إيجاد الحلول أيضا. وأمام كثرة تنقلات العمل اليومية والأسفار، وضعت المنظمة رهن إشارتي سيارة خدمة قطعت بها أكثر من ثلاثمئة ألف كيلومتر خلال تسع سنوات من الخدمة في هذه المنظمة. ففي ذلك الوقت، عهدت الحكومة الألمانية بالرعاية الاجتماعية للعمال الأجانب وأسرهم المنحدرين من يوغوسلافيا السابقة والمغرب وتونس إلى منظمة أفو للرعاية الاجتماعية، وهي منظمة مدنية، فيما كانت منظمة كاريتاس الكنسية تشرف على رعاية باقي العمال الأجانب وأسرهم المنحدرين من إيطاليا وإسبانيا والبرتغال واليونان. كان كل مرشد اجتماعي يشرف على حوالي 6000 مواطن لتعزيز جهود الاندماج الاجتماعي والثقافي للمهاجرين. ومع ذلك، وعند تعييني، لم يتم الالتزام بهذا المعيار الثابت على الأقل في السنوات الأربع الأولى من خدمتي في ولاية هيسن. فمنذ ماي 1983 كنت نقطة الاتصال الوحيدة لحوالي 20000 شخص ولعدد من المؤسسات والسلطات في بلديات مختلفة من ولاية

Arbeitsvertrag
Contrat de travail

تصوير: محمد أخرضيض ـ عقد العمل

هيسن. لحسن الحظ، فإن هذا الوضع الذي كان مرهقًا للغاية، قد خف إلى حد كبير عندما استدركت المنظمة ثقل المسؤولية وقامت في 1987، بتخصيص خدمة اجتماعية في الولاية خاصة بالمواطنين المنحدرين من المغرب وتونس. إذ تم تعزيز الطاقم بأربعة مكاتب جديدة للخدمات الاجتماعية، كان من بينهم أربعة مغاربة: سيدة وثلاثة رجال تم تعيينهم في فرانكفورت أم ماين وأوفنباخ وروسلسهايم، حيث يتواجد المغاربة والتونسيون بكثرة.

في فرانكفورت، بالإضافة إلى توفير الرعاية الاجتماعية للعمال وأسرهم المنحدرين من المغرب وتونس، أوكل مكتب رعاية الطفولة والشباب للمنظمة مهمة المساعدة القضائية للشباب. مهمة اضافية اكتست أهمية كبيرة منذ منتصف الثمانينيات، للأسف بسبب ارتفاع الجنح والنزوع نحو الجريمة بين شباب الأسر التونسية والمغربية. فبالإضافة إلى وظيفتي الرئيسية في مجال الخدمات الاجتماعية، كان لدي أيضًا مهمة مساعدة قضائية للشباب في فرانكفورت. ففي بداية عملي في مايو 1983، كان هناك ثلاثة إلى خمسة شبان فقط من أصول مغربية وتونسية ممن أقدم لهم الرعاية الخاصة بذوي الجنح. غير أن ذلك،

تصوير: محمد أخرضيض ـ رحلة دراسية لموقع وليلي

تغير بشكل كبير عندما أحضر الآباء المغاربة على وجه الخصوص أطفالهم وزوجاتهم للعيش معهم في فرانكفورت في إطار قانون التجمع العائلي منذ منتصف الثمانينيات. في جميع الحالات تقريبًا، تم جلب الأسر إلى فرانكفورت وأماكن أخرى في ألمانيا بقرار من الأب بمفرده، دون تفكير ودون تخطيط كافي أو معرفة مسبقة بالحياة الأسرية في ألمانيا والتشريعات ذات الصلة، خاصة قانون الأسرة ورعاية الأطفال والشباب أو قوانين التمدرس والتعليم وحقوق الأطفال والنساء والفتيات في ألمانيا. هم أنفسهم كانوا قد تُركوا لحال سبيلهم ولم تكن لديهم أي فرصة للتعرف من قبل، على تداعيات قرار من هذا النوع.

ويبدو أن لا أحد في المغرب كان مهتمًا بهذه الظاهرة. فالآباء ومعظمهم من الأشخاص البسطاء من سكان القرى المغربية ترعرعوا بدون أي تعليم أو بمستوى تعليمي محدود، وجدوا أنفسهم أمام

تصوير: محمد أخرضيض ـ شواهد تقدير

تصوير: محمد أخرضيض ـ رحلة دراسية

إجراءات بيروقراطية لتقديم إثباتات حول السكن والعمل من أجل استكمال إجراءات لم الأسر. أما السلطات المغربية فكانت تحصر دورها في استخراج جوازات السفر، فيما اكتفت السفارة الألمانية بمنح التأشيرات. الاشكالية هنا هو أن هذا القانون كان يشمل الزوجات والأطفال الذين تقل أعمارهم عن 16 عامًا دون غيرهم. إذ لم يُسمح للأشخاص المهمين في حياة هذه الأسر كالأجداد والأشقاء الأكبر سنًا وكل الذين كانوا يساعدون في دعم حياتهم الأسرية في المغرب وتولوا دور الأب بالنسبة للأطفال لم يسمح لهم بمرافقة الأسر إلى فرانكفورت أو دوسلدورف. وكانت التداعيات السلبية لهذا الأمر غير المدروس جيدا كبيرة للغاية. إذ تمثلت أولا في المشاكل الثقافية وتفريق الأسر فور وصول المعنيين بالأمر إلى ألمانيا. وهو ما اضطر مؤسسات مثل روض الأطفال والمدارس ومكاتب رعاية الطفولة والشباب ومحاكم الأحداث دق ناقوس الخطر. لسوء الحظ، لا أحد من الطرفين كان مستعدا لهذا الوضع، ما أدى إلى اصطدام عالمين مع بعضهما. بسبب الفارق الثقافي الكبير للأسر، التي تنحدر بشكل أساسي آنذاك من منطقة الريف بشمال المغرب، وجد الأطفال والشباب صعوبات هائلة في التكيف مع الوضع الجديد، سواء في المجال الثقافي أو في المجال الاجتماعي. فعاش هؤلاء تداعيات "الصدمة الثقافية" خاصة أولئك الذين لا خبرة لهم مع المدينة الكبيرة.

في إطار اتفاقية جلب اليد العاملة بين ألمانيا والمغرب إلى أن تم توقيفها في عام 1973، وصل ما مجموعه 25000 عامل إلى ألمانيا. كان الاستثناء الوحيد لجلب اليد العاملة النسائية المغربية، مصنع للشكولاتة الذي استفاد من خدمات حوالي 200 شابة إلى جانب عدد قليل من النساء اللواتي التحقن بقطاع الفندقة. فعن طريق قانون التجمع العائلي، عرفت الهجرة المغربية نموا بشكل مطرد مقارنة بالهجرة التركية والتونسية بالرغم من وقف اتفاقية جلب اليد العاملة. يشار إلى أن العمال التونسيين مثلا لم ينخرطوا بشكل حيوي مقارنة مع العمال المغاربة في جلب أطفالهم.

تصوير: محمد أخرضيض ـ بورتريه 1972

من سمات الهجرة المغربية إلى ألمانيا منذ بداية الستينيات إلى منتصف الثمانينيات، أنها كانت في البداية هجرة للعمال الذكور. إذ كان معظم هؤلاء الشباب يعملون في ألمانيا ويقضون الفترة من الشتاء إلى الربيع في المغرب رفقة عائلاتهم. كانوا يحصلون على إجازاتهم الجماعية دفعة واحدة بالإضافة إلى إجازة غير مدفوعة الأجر لبضعة أسابيع. ومع ذلك، فقد قامت الشركات - ويبقى أن نرى ما إذا كان بموافقتهم أو بدون موافقتهم –بتعليق تسجيلهم في التأمين الصحي وصندوق التقاعد إلى حين عودتهم من المغرب. كما أن أولئك الذين كانوا متزوجين ولديهم أطفال تلقوا التعويضات العائلية وما إلى ذلك، بالرغم من كونهم كانوا يعيشون في المغرب. غير أن هذا الوضع تغير في عام 1986 بعد الإصلاح الضريبي في ألمانيا. وهو ما انعكس سلبا على العمال الذين كانت تعيش أسرهم في بلد خارج الاتحاد الأوروبي. إذ تم حرمانهم من جميع التعويضات العائلية.

هذا التغيير في النظام الضريبي وتداعياته دفع غالبية الآباء المغاربة بشكل عفوي كما سبق ذكره، ودون تفكير أو أي تحضير جيد إلى جلب زوجاتهم وأطفالهم الذين كانوا يعيشون في المغرب، لاستمرار الاستفادة من هذه التعويضات. كان الآباء خائفين للغاية من نقص المدخول الشهري، ولم يفكروا أبدا في صعوبة تغطية العائلات لنفقاتها المالية، حتى وإن تلقوا هذه التعويضات وغيرها. إذ كان معظم الآباء من العمال غير مهرة وبالتالي لم يكونوا يكسبون الكثير من المال. كان لهذه الخطوة التي رأى الآباء في أطفالهم مجرد وسيلة للاستفادة المادية لا غير، عواقب وخيمة على الاندماج الاجتماعي في وقت لاحق. لقد نصحت بنفسي عددًا غير قليل من المواطنين بضرورة التفكير جيدا في هذا القرار ومراعاة التكلفة الحقيقية للمعيشة في المغرب وألمانيا. كما حذرتهم من النزاعات والصعوبات المحتملة التي قد تنشأ بعد انتقال الأسرة إلى ألمانيا فيما يتعلق بتغيير مكان الإقامة من القرية إلى المدينة الكبيرة والمحيط الثقافي. فالأمر ليس سهلا، خاصة للأطفال والشباب للانسجام مع هذه البيئة الجديدة. أما بالنسبة للمراهقين على وجه الخصوص، فكان من المتوقع أن ترك محيطهم المألوف لا يؤدي أبدا إلى مزيد من تطور وسائل التنشئة الاجتماعية (المدرسة، الأصدقاء، إلخ). كان من المتوقع أيضًا أن يكون لعواقب "الصدمة الثقافية" تأثيرا كبيرا على زعزعة استقرارهم. لذا كانت توصيتي للآباء في ذلك الوقت هي إحضار الزوجات والأطفال دون سن العاشرة إلى ألمانيا فقط. أما الشباب من الأفضل لهم إكمال مدارسهم بنجاح في وطنهم ويستحسن الحصول على الباكالوريا. بهذه الطريقة سيظل الباب مفتوحًا أمامهم للمجيء إلى ألمانيا كطلبة وهم ناضجين.

لسوء الحظ، لم ينفذ توصيتي سوى عدد قليل من الأشخاص الذين كانوا يترددون على مركز الاستشارة. فصعوبات التكيف مع البيئة الجديدة التي واجهتها العائلات دون استثناء فور وصولها،

تصوير: محمد أخرضيض ـ رفقة نادي اف سي ماروك بون 1971

سرعان ما طفت للوجود وتسببت في الكثير من المشاكل بالهيئات الاجتماعية في بعض البلديات. أمام الحالات الصعبة المتزايدة، كان على مكاتب رعاية الطفولة والشباب وكذلك المدارس والسلطات من شرطة ونيابة عامة ومحكمة الأحداث اتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهتها. وللتغلب على مشاكل الاندماج للأسر قامت منظمة أفو للرعاية الاجتماعية بكل من بون ودوسلدورف وفرانكفورت وأوفنباخ وروسلسهايم ومناطق أخرى من ولايتي هيسن وشمال الراين ـ ويستفاليا بتزويد أطقمها من المرشدين الاجتماعيين ما بين شخصين إلى عشرة. بسبب هذا التطور السلبي للأسف، أصبحت وسائل الإعلام الألمانية تسلط الضوء على أقلية مغربية لم تكن في صلب اهتمام الرأي العام من قبل. لسوء الحظ، كان الحديث فقط عن حالات زيادة الجنح والجريمة، لا سيما بين الشباب والمراهقين الذي كان يطلق عليهم "الملتحقين العرضيين".

ملاحظات حول بحوث الهجرة

آنذاك لم تهتم أبحاث الهجرة في ألمانيا بالجاليات الصغيرة كالمغاربة والتونسيين. فبالرغم من أن الأقليات الصغيرة تستحق الحماية وعادة ما يكون لها سمات خاصة يمكن أن تكون ذات أهمية كبيرة للبحث الاجتماعي الميداني، إلا أن علماء الاجتماع بالكاد تناولوا موضوع الهجرة المغربية. إذ لم يفرز ذلك سوى دراسات صغيرة الحجم معدودة على أصابع اليد، كما هي الحال بتلك التي أجرتها مؤسسة روبرت بوش وأخرى لمنظمة الرعاية الاجتماعية، حول الوضع الأسري للعمال المغاربة في فترة الثمانينيات. أطروحة الدكتوراه الوحيدة التي أعرفها تعود لباحث سوسيولوجي من ولاية بادن فورتمبيرغ، وتدور حول عودة العمال الضيوف إلى منطقة الريف بالشمال المغربي، واستغل الفرصة للبحث عن جذوره في المغرب. وهو واحد من الذين يطلق عليهم "أبناء الجنود"، الذين جاء آباؤهم من جبال الأطلس وتمركزوا في ألمانيا كجنود تحت العلم الفرنسي لفترة من الوقت خلال الحرب العالمية الثانية. تعرفت عليه شخصيًا في أوائل السبعينيات عندما كنا لا نزال طلابًا. وصادف أنني كنت على اتصال به مرة أخرى منذ صيف العام الماضي بعد أن قابلت حفيدته في حدث ثقافي بمهرجان كناوة بالصويرة. فبفضل الحفيدة وقنوات الاتصال السريعة تمكنت من إعادة الاتصال به من جديد. كان البحث عن جذوره ناجحًا. إذ تمكن من العثور على المكان الذي تعيش فيه عائلة والده والتعرف على والده البيولوجي قبل وفاته. غير أنه ومنذ منتصف الثمانينيات، أنجز عدد من الطلاب في قسم الخدمات الاجتماعية بجامعات العلوم التطبيقية أطروحات الدبلوم والبكالوريوس حول الهجرة من المغرب ووضع الجالية المغربية في ألمانيا. أما في المغرب نفسه، فلم تكن الهجرة إلى ألمانيا تهم علم الاجتماع أو البحث الاجتماعي الميداني. فعدد الجالية المغربية الآن وصل إلى 200000 شخص، من بينهم عدة آلاف من المتجنسين، ومع ذلك يتم تجاهلها من قبل أبحاث الهجرة في كل من البلد الأصل أو بلد الاستقبال. وهو

تصوير: محمد أخرضيض ـ رفقة تلاميذ التأهيل العرضي

تصوير: محمد أخرضيض - شهادة تقدير احتفالية 50 سنة على الهجرة المغربية في ألماني

ما يجعل المعرفة العلمية حول هذه الجالية وخصائصها غير متوفرة. واحدة من بين العديد من الخصائص غير المعروفة هي أن 50٪ من الجالية المغربية تعيش في شمال الراين- فستفاليا، و40٪ في ولاية هيسن و10٪ المتبقية تنتشر في عدد قليل من الولايات الألمانية. وتبقى مدينتي فرانكفورت ودوسلدورف معقلا لهذه الجالية.

إن التاريخ الرسمي للهجرة من المغرب إلى ألمانيا يتجاوز الآن نصف قرن ويستند إلى اتفاقية جلب اليد العاملة الموقعة بين ألمانيا والمغرب في ماي 1963. غير أنه وقبل وصول أوائل العمال من المغرب، جاءت مجموعة مؤلفة من 20 طالبا بمنح من الأكاديمية الألمانية للتبادل الثقافي DAAD للدراسة في بعض المدن الألمانية مثل هايدلبرغ وبون وآخن وكيل. كما أن هناك حديث عن تقليد طويل للغاية يعود إلى بداية القرن التاسع عشر. إذ اعتادت إحدى الشركات العائلية من عالم السيرك على تلبية احتياجاتها لليد العاملة من منطقة في جنوب المغرب. إذ كان يأتي هؤلاء العمال المهاجرون من هناك في بداية موسم السيرك بشهر مارس ويعودون إلى المغرب في الشتاء.

وتعلق الأمر بمجموعات بهلوانية وفولكلورية وكمتخصصين أيضا في تشييد وتفكيك خيام السيرك. ففي عام 1914، ذكرت الصحف الألمانية جنوح سفينة على الساحل البرازيلي وعلى متنها حيوانات وعمال سيرك سارازاني. وكان على متنها بهلوانيو سيرك من جنوب المغرب أطلقوا على أنفسهم اسم "أولاد سيدي أحمد أو موسى".

أما في الوقت الراهن فبالرغم من أن الألمان يعتبرون المغرب وجهة سياحية مفضلة، إلا أنهم يجهلون الكثيرة عن الهجرة المغربية في ألمانيا، بمن فيهم أولئك الذين قرروا طواعية قضاء حياتهم بعد التقاعد في المغرب للاستمتاع بأشعة الشمس.

من العمل فيAWO أفو إلى الوظيفة في بلدية فرانكفورت

خلال السنوات التسع التي أمضيتها في العمل بمنظمة أفو للخدمات الاجتماعية، كانت الفرصة كافية بالنسبة لي لاكتساب نظرة ثاقبة في مختلف المجالات العملية للعمل الاجتماعي. وتعززت خبرتي أكثر في هذا المجال من خلال التفاعل والتعاون مع الباحثين عن الاستشارات

تصوير: محمد أخرضيض ـ المشاركة في تظاهرة ضد حرب الفيتنام

الاجتماعية للمعنيين بالأمر، والمؤسسات والهيئات المختلفة أيضا. أحيانا كان ذلك، مرهقا للغاية وكنت في مرات عديدة، على وشك الانهيار. غير أنه بعد تعزيز مركز فرانكفورت بعناصر جديدة، شعرت على الفور بارتياح كبير في السنوات الثلاث الأخيرة من خدمتي في المنظمة. ولكن بعد تسجيل ارتفاع مهول في حالات الانحراف والجنوح وسط الشباب المنحدرين من أصول مغربية وتونسية بفرانكفورت في نهاية الثمانينات، تم الاعلان عن وظيفتين في مجال المساعدة القضائية. وعندما سُئلت عما إذا كنت أريد التركيز على عملي الاجتماعي فقط، أم أن أنتقل للمجال الثاني، أعربت على الفور عن اهتمامي بمجال المساعدة القضائية، وهو ما استجابت له المنظمة. كان سبب تولي هذه الوظيفة هو أنني رأيت في قدراتي إمكانيات وفرص أكثر لمواكبة الشباب ومساعدتهم على تجاوز مشاكلهم حتى يتمكنوا من العيش في ظروف مناسبة دون الجنوح إلى عالم الجريمة.

كرست نفسي لهذه المهمة الجديدة بحيوية والتزام كبيرين إلى أن انتقلت إلى العمل في سلك الوظيفة العمومية ببلدية فرانكفورت في يناير 1990. ففي هذه الأخيرة، واصلت في البداية أداء مهامي ضمن مكتب حماية الطفولة والشباب من خلال التوجيه التربوي في إطار المساعدة القضائية بالمحاكم لمدة ثلاث سنوات تقريبًا. بعدها انتقلت إلى مكتب رعاية الطفولة والشباب للاعتناء بالأطفال والشباب الذين أتوا من خارج فرانكفورت ومن خارج البلاد والذين تواجههم مشاكل اجتماعية. يتعلق الأمر بقاصرين بدون مرافق، وهو ما كان يتطلب من المكتب تمثيلهم قانونيا إلى أن يتم توضيح الأمر. بقيت في هذا المنصب إلى أن تقاعدت في أبريل 2018. عملت هناك دون انقطاع، ودون مشاكل كبيرة تذكر سواء من طرف المعنيين بالأمر أو مع رؤسائي وزملائي في العمل. خلال هذه الفترة الطويلة في الخدمة بهذا المجال، كان هناك ارتياح كبير من طرف رؤسائي بهذا الالتزام الإضافي الذي يتجاوز ما هو رسمي. وقد توج ذلك بالاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاما على عملي في هذا المجال. ويرجع الفضل في تطوير خبراتي وصقل معارفي خلال عملي في هذا المجال إلى الدعم الكبير الذي تلقيته من رؤسائي سواء في منظمة أفو أو في الهيئات التي عملت فيها لاحقا. فخلال تجربة الست سنوات الأولى، منحتني منظمة أفو فرصة التأهيل المستمر، حيث قضيت سنة كاملة في تكوين بالجامعة مؤدى عنه.

المسار بعد التقاعد ومواصلة العمل التطوعي

بعد حصول مستحق على التقاعد، كان لدي الكثير من وقت الفراغ لقضاء أمور عديدة لم أكن قادرا على القيام بها من قبل سواء داخل الأسرة أو كجزء من عملي التطوعي في "شبكة الكفاءة المغربية في ألمانيا". وهي الشبكة التي ساهمت في تأسيسها رفقة عدد من الطاقات الحيوية. فمسألة الجلوس في البيت وعدم القيام بشيء ما، أمر لا يناسبني تماما. لذا أحاول الاعتناء بصحتي، وأسافر أكثر مما كنت أقوم به من قبل. أبدأ نهاري كل يوم بالمشي لمدة ساعة عبر الغابة أو الحقول التي تحيط بمنزلنا الريفي الصغير. كما أنني أقضي وقتا أطول في عملي التطوعي لصالح الشبكة لتمثيلها في بعض الفعاليات، أو التحضير لبعض المشاريع، مثلما هي الحال مع الاستعدادات للمنتدى الدولي للهجرة والتنمية الذي عقد بألمانيا في 2017 وبالمغرب في 2018. نظرًا لسنوات خبرتي العديدة في العمل الاجتماعي مع الفئات غير المحظوظة في المجتمع، فأنا قادر على تنفيذ أنشطة استشارية وتقديم عروض لمنظمات رعاية الشباب مع التركيز على "عمل اللاجئين"، وخاصة للموظفين في المرافق التي تتعامل مع الأطفال القاصرين غير المصحوبين بذويهم. بين الحين والآخر، أشرف على تقديم دعم من خلال المواكبة والتوجيه التربوي للاجئين الشباب الذين انتقلوا من مراكز الإيواء الجماعي إلى شقق خاصة بهم.

جواز السفر

ميمونت حجي

- من مواليد الناظور، 1954
- في ألمانيا منذ 1974
- بيما

"إيماينو"

ترمز كلمة "إيماينو" إلى أمي في اللغة الأمازيغية. وهي كلمة تعني العالم بالنسبة لكل طفل على وجه الأرض. تمثل الحماية والحب والمودة والرعاية والدفء والأمان. ميمونت حجي هي هذه الأوصاف جميعها وأكثر. كانت تدير ما يحتاجه أحيانًا جيش من مقدمي الرعاية والأخصائيين الاجتماعيين والقيمين الدينيين، بمفردها وبدون أي مهارات لغوية تقريبًا. هكذا يصف الاستاذ الجامعي رحيم حجي الابن البكر لميمونت أمه في هذا النص.

رحيم حجي

من أين أبدأ الكلام، عندما يتعلق الأمر بقصة "بيما". أجد صعوبة في الاتصال بها، كي أطلب منها أن تخبرني عن حياتها، كما أفعل في كثير من الأحيان من خلال عملي، لأنني لا أريد أن أذكرها بالماضي، وبفترة طبعتها وفاة "بابينو". هذه الوفاة التي جعلت أمي أرملة وهي في ريعان شبابها، وجعلتنا، أشقائي الأربعة وأنا، نصف أيتام. ربما كان عمري حينها ١٤ عامًا، وشقيقاي التوأم كانا في سن العاشرة، وأختي في سن الخامسة، بينما كان أخي الأصغر بالكاد يتخطى شهرين من عمره.

كنا نعيش في عِمارة إسمنتية شاهقة كأغلب الأسر ذات الدخل المحدود. في حيّنا كان يعيش أطفال من أصول ألمانية وبولندية وإيطالية وإيرانية. لم يكن المجمع السكني من البؤر الاجتماعية الساخنة بالمعنى الدقيق للكلمة. كنا نعيش من الإعانات التي يوفرها نظام الضمان الاجتماعي الألماني الذي حمانا من الفقر والعنف. أفكر أحيانًا فيما كان سيحدث لي ولأشقائي وما كان سيحدث لـ"بيما" لو لم نكن نعيش في ألمانيا وإنما في المغرب. من كان سيحمينا أو سيعيلنا هناك؟ ففي اليوم الذي مات فيه "بابينو"، تحدثت مع إخوتي عن وفاة "بابينو"

تصوير: رحيم حجي - بيما في مكة

لفترة طويلة جدًا. كنا في غرفة الحمام، حيث أغلقتُ الباب علينا وبكينا بحرقة من الحزن. وقتها أظهرتُ إرادة قوية وعزيمة للكفاح كي أثبت للجميع أننا لن ننزلق إلى عالم الجريمة، وأقسم إخوتي على ذلك.
بالنسبة لنا، كان يعتبر الوالد الضمانة لتربية جيدة للأطفال. فكيف لأمي "ييما" الشابة تربية خمسة أطفال في بلد أجنبي لا تتحدث لغته؟ كانت حظوظنا الاجتماعية بئيسة ...

أستطيع أن أتذكر جيداً كيف أن "ييما" كانت تذكرنا في كل مرة بتجنب النزاعات والتدخين والابتعاد عن المخدرات وشرب الخمر، والعودة باكرا إلى المنزل. وفي كل مرة كنا نفتح فيها باب شقتنا كانت تسرد علينا وصاياها، وفي بعض الأحيان كانت تكررها بصوت عال من ورائنا ونحن نركض على الدرج في اتجاه أصدقائنا نحو مغامرتنا التالية. "ييما" كانت تراقبنا في كل مرة نغادر فيها المنزل. كانت تراقبنا من النافذة وتظل واقفة هناك حتى تأتي الحافلة التي نستقلها إلى المدرسة. كما أنها كانت تجلس

تصوير: رحيم حجي - ييما حامل بتوأم

تصوير: رحيم حجي - صورة عائلية بمناسبة التحاقي بالمدرسة

على طاولة المطبخ كل مساء وتتعلم اللغة الألمانية. وكان مصباح المطبخ يظل مضاءً طيلة المساء ونحن ننجز واجباتنا المدرسية، بينما تتعلم هي اللغة الألمانية. على الرغم من أنها لم تلتحق بالمدرسة في المغرب ولم تكن تستطيع كتابة أو قراءة اللغة العربية، إلا أنها طورت طريقة خاصة بها للقراءة. حفظت الحروف والكلمات الألمانية، وأحيانًا جملا ونصوصا كاملة، واستمرت في سؤالنا عن كيفية نطق أحرف معينة مع بعضها. غالبًا ما جلسنا نحاول تعليمها القراءة. يوما تلو الآخر، كنا نجلس على طاولة المطبخ المكسوة بغطاء بلاستيكي. كانت "ييما" تحرص دائمًا على أن يكون لدينا ما يكفي من الطعام، وأن نرتدي ملابس نظيفة وأن تكون الشقة دائمًا في حالة جيدة. كانت مثل نملة نشيطة تحرص على كل صغيرة وكبيرة. لا أكاد أتذكر أنها كانت تأخذ قسطا من الراحة ولو للحظة واحدة. كانت في حركة دؤوبة. نعم، "ييما" كانت ربة منزل بما تعنيه الكلمة، وأكثر من ذلك بكثير.

ومضت السنوات...

اليوم أراها أكثر سعادة من أي وقت مضى. ولّت الأوقات التعيسة والقاسية، وتركنا خطر الفقر وراءنا. كبر الفتيان والفتيات وأصبحوا جميعا ناضجين. عندما نلتقي في عيد الميلاد، تتحدث والدتي إلى حماتي بيرغيت عن الأطفال، وتضحك بصوت عال عندما تستحضر شقاوة هذا الطفل أو ذاك، ومن كان منا يتلقى التوبيخ مرارًا وتكرارًا حين يتعلق الأمر بالواجبات المدرسية. نعم، "ييما" تتحدث اليوم الألمانية ولديها أربعة أحفاد. ولا أحد من أطفالها الخمسة انجرّ إلى الجريمة. إنهم يعملون جميعا. اثنان منهم حصلا على درجة الدكتوراه، أحدهما يعمل أستاذا جامعيا في ولاية براندنبورغ واثنان درسا في أرقى الجامعات العالمية. أحيانا أتمنى أن يرانا "بابابينو"، فماذا عساه أن يقول؟ على الأرجح سيأخذنا بين ذراعيه ولن يتركنا أبدًا. إنها قصة يصعب تصديقها، نكتبها على أمل أن تكون نبراسا لتحفيز آخرين، حتى عندما تواجههم ظروف صعبة. إنها قصة تدعو للتفكير في مسار الحياة الشخصية وأحداثها وتحدياتها لتشجيع الآخرين.

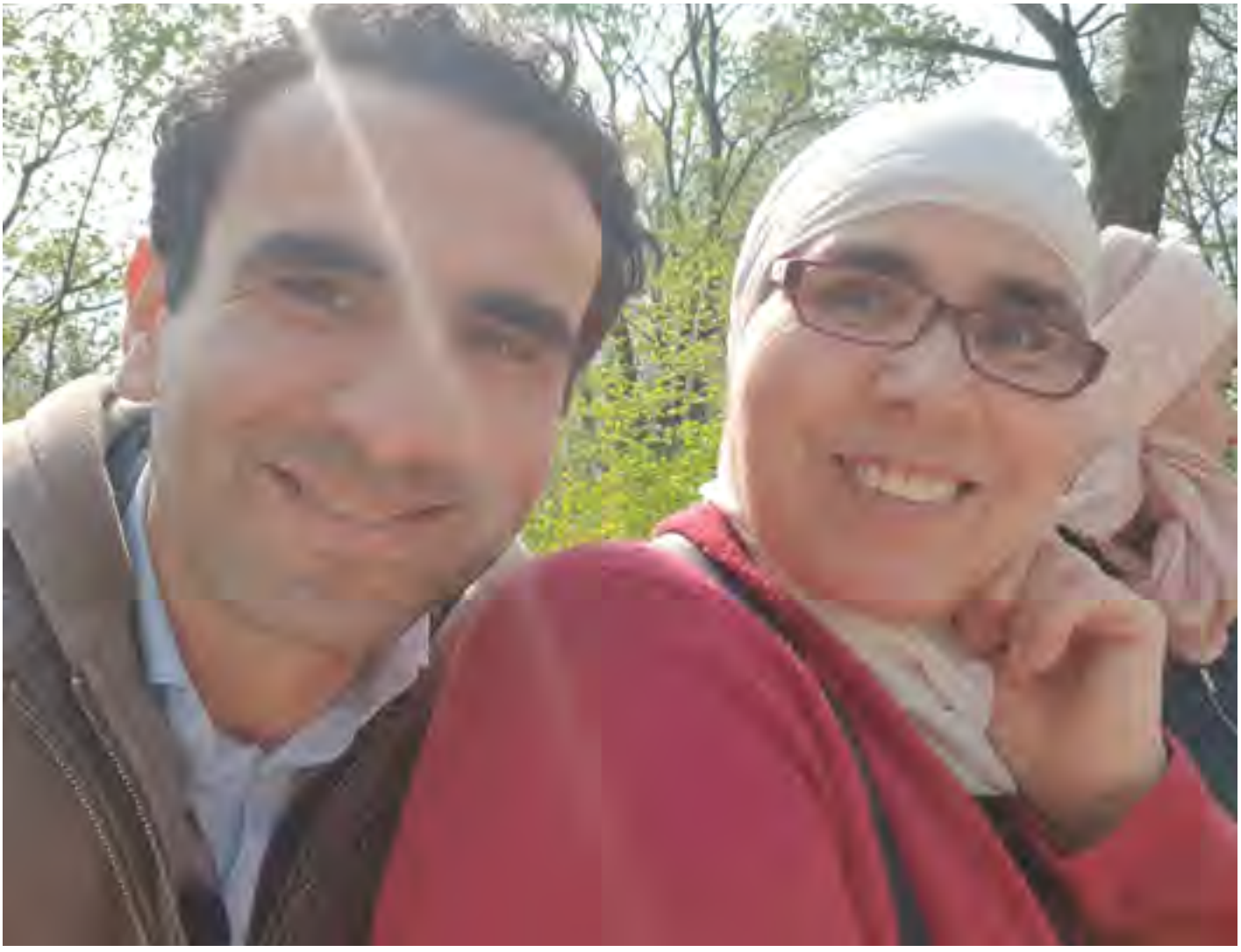

تصوير: رحيم حجي ـ برفقة ييما

جيل الطلبة

تصوير: سارا كورفيس - المكتبة الوطنية شتوتغارت

جواز السفر

جون جوزيف ليفي

- من مواليد الدار البيضاء 1962
- طبيب أمراض جلدية
- في ألمانيا منذ 1980
- توفي في 23 يناير 2020

"ما بقي الآن هو مجرد أقلية لثقافة بعدما تقلصت أعدادها بشكل كبير"

جون جوزيف ليفي، مواطن مغربي، يتحدر من أسرة يهودية الديانة. عاش في برلين كطبيب متخصص في الأمراض الجلدية إلى أن فارق الحياة. كان والده شمعون ليفي مناضلا سياسيا وأستاذا جامعيا ومناضلا كرس حياته لتعزيز التعايش المشترك في المغرب بين اليهود والمسلمين. يعود له الفضل في تأسيس أول متحف للتراث اليهودي في العالم العربي بالدار البيضاء.

سيد ليفي، من فضلك أخبرني أولاً عن حياتك وعائلتك في المغرب بالإضافة إلى التجارب والأحداث التي أثرت على حياتك في المغرب؟

جون جوزيف ليفي: ولدت بالدار البيضاء في عام 1962. كان أبي أستاذًا جامعيًا ووالدتي ربة بيت. قضيت فترة الدراسة في المدرسة الفرنسية إلى أن حصلت على الباكالوريا. وفي سنة 1980، وبصفتي عضوا في حزب التقدم والاشتراكية المغربي، أُرسلت إلى جمهورية ألمانيا الشرقية سابقا لمتابعة دراستي الجامعية في مدينة لايبزغ. هذه هي أسباب مجيئي إلى ألمانيا. ترعرت في فترة زمنية، شهد فيها المغرب تراجعا متزايدا في عدد السكان اليهود. إذ تقلص من 250 ألف شخص في بداية الخمسينيات، إلى حوالي 1500 الآن، بسبب الوفيات من جهة، وموجات الهجرة خلال ستينيات القرن الماضي من جهة ثانية. عشت في المغرب إلى حدود الثامنة عشرة من عمري، وفي عام 1980 كان لا يزال هناك عشرين ألف يهودي في البلاد. لقد نشأت في فترة ما بعد الاستعمار، في مجتمع لم يكن مستقرًا، بل كان مجتمعًا يمر بمرحلة انتقالية. إنها فترة الستينيات. فهذه السنوات لم تشهد هجرة اليهود فقط، بل شملت المسلمين أيضا. بدأت الهجرة إلى أوروبا بسبب قلة فرص العمل في المغرب، وتوفرها في أوروبا في ذلك الوقت. إذ هاجر عدد كبير من الناس عبر مكاتب للهجرة للعمل في أوروبا بعدة دول منها فرنسا وبلجيكا وهولندا. لا أعرف ما إذا كانت ألمانيا قد اعتمدت هي الأخرى هذه الطريقة أيضا. ولكن من المؤكد أن عددًا كبيرًا من الناس هاجروا بناءً على طلب من هذه الدول. هذه التغييرات الهائلة بصمت مغرب ما بعد الاستقلال. إذ تطور بشكل أو بآخر إلى مجتمع مهاجر. والمغاربة اليهود كانوا جزء من هذا التطور أيضا. إذ كانت أعدادهم تتناقص من حولنا بشكل كبير، نظرا للأسباب السالفة الذكر. لم تكن لي نشاطات مباشرة مع المغاربة اليهود، فأنا لست متدينا وأنتمي إلى عائلة سياسية تُعرف نفسها بأنها أسرة مغربية ـ وطنية. هذا هو الإطار السياسي والاجتماعي، إن جاز التعبير. فإلى حدود الثمانينيات، لم تكن

تصوير: جون جوزيف ليفي ـ رحلة على متن الباخرة

الهجرة من المغرب مشكلة، بل أمرا طبيعيا سواء للعمل أو للدارسة. لم تكن هناك تقييدات على الهجرة وكان السفر إلى أوروبا بتأشيرة سياحية أمرا عاديا. أما بالنسبة لي أنا، فكان الأمر يكتسي طابعا خاصا، لأنني هاجرت إلى ألمانيا الشرقية للدراسة، وكنت خاضعا لرقابة صارمة للغاية.

قلت إنك جئت إلى ألمانيا الشرقية وتحديدا إلى لايبزغ للدراسة. ما هي التجارب التي عشتها هناك؟

جون جوزيف ليفي: كنا اثنان التقينا في المطار. حسن البلغيتي مغربي مسلم وأنا جون ليفي مغربي يهودي. حصل كلانا على هذه المنحة من حزبنا للدراسة في جمهورية ألمانيا الشرقية. عشنا معا طوال هذه السنين. كان عالما جديدا بالنسبة لنا، وتعلم لغة جديدة في معهد هيردر الذي يعادل معهد غوته في ألمانيا الغربية. وبعد عام من التلقي اللغوي كان الالتحاق بالدراسة الجامعية في كلية الطب. صداقة نشأت بطريقة ما في المطار، ومر عليها الآن 38 عامًا. في عطلة نهاية الأسبوع الماضية، زرته في لايبزغ، وتوجهنا معا إلى الأماكن التي ارتبطنا بها كالحي الجامعي وما إلى ذلك. هذا النوع من الارتباط لا يزال موجودًا. لكن بخلاف ذلك كانت الدراسة الجامعية عادية. حسنا، كان الوضع مميزا شيئا ما في ألمانيا الشرقية، إذ كنا حاصلين على منحة دراسية، ولم نكن بحاجة إلى العمل لكسب لقمة العيش. كنا مجتهدين جدًا، حسن وأنا. كنا من أفضل الطلاب. أنهينا دراستنا في عام 1986 وبعد ذلك أتيحت لي الفرصة لإكمال التخصص وحصلت على مقعد في مدينة غيرا Gera، وفي مرحلة لاحقة في مستشفى شاريتيه ببرلين. وهناك حصلت على تدريب خاص لمدة عامين آخرين. أكملت تعليمي الجامعي التخصصي في عام 1992 بعد سقوط جدار برلين.

الآن نأتي إلى عملك التطوعي. في أي مجال يندرج عملك؟ وكيف بدأ هذا العمل التطوعي؟

جون جوزيف ليفي: كما قلت سابقًا، أصبحت أعداد المغاربة اليهود تتناقص باستمرار. وهو ما يعني أن تقلصها إلى مجرد أفراد بات مسألة متوقعة. ففي ظل وجود 1500 شخص، غالبيتهم من كبار السن، أصبح الأمر بسبب شيخوختهم مجرد مسألة وقت لا غير. في هذه الحالة، طبعا يمكن للمرء أن يقول، "حسنًا، هذا هو الوضع والمسار الطبيعي للتاريخ. إنها ليست أول جماعة تختفي في العالم". هنا يأتي تحمل المسؤولية للحيلولة دون اختفاء هذه الذاكرة وتركها تواجه مصيرها بشكل منفرد. انطلاقا من هذا الإدراك، حاولت أن أقدم مساهمتي وأنشأت جمعية تحت إسم "جمعية أصدقاء المتحف اليهودي بالدار البيضاء". وكانت هذه الأسباب هي نفسها التي دفعت والدي إلى تأسيس متحف للثقافة اليهودية بالمغرب في أوائل التسعينيات. بعد وفاته سنة 2011، ومن أجل الحفاظ على هذه الدينامية، دعوت إلى تأسيس الجمعية في سنة 2013. حاولنا من خلال أنشطة متعددة داخل المغرب وخارجه، المساهمة في حماية هذا التراث الثقافي للمغاربة اليهود. فينبغي أن تظل هذه الذاكرة حاضرة حتى تعرف الأجيال القادمة أيضًا أنه كان هناك مغاربة يهودا عاشوا في هذا البلد. وكيفية عيشهم؟ إنها محاولة في ظل تناقص أعداد المغاربة اليهود لخلق هياكل للحفاظ على هذه الذاكرة. ففي برلين على سبيل المثال، نظمنا بالتعاون مع المتحف اليهودي مهرجانا للفيلم المغربي اليهودي، عرضنا فيه جميع الأفلام المتعلقة بالمغاربة اليهود. إنه جزء من الأنشطة التي نقوم بها. كما ننظم سنويا في المغرب يوما ثقافيا لإحياء التراث المغربي اليهودي والذي غالبا ما تحتضنه مدينة الرباط. مبادرة الجمعية هذه، هي جزء من عمل مجموعة أكبر من الأشخاص الذين يهتمون بالتراث الثقافي لليهود في المغرب. كما أن لها أصدقاء في جميع أنحاء العالم.

دعنا نلقي مرة أخرى نظرة على الحياة اليهودية في المغرب. لقد قلت بالفعل إن هناك تحديًا يتمثل في الهجرة وفي تناقص أعداد المغاربة اليهود بشكل كبير. في نظرك كيف يمكن مواجهة هذا الوضع؟

جون جوزيف ليفي: المغرب بلد هجرة. هذه هي المشكلة، لكنه في الوقت نفسه بلد استقبال للهجرة أيضا. فمن ناحية، لدينا هجرة اليهود والعديد من المسلمين، ونستقبل مهاجرين من مناطق جنوب الصحراء من ناحية أخرى. إن حركة هجرة الإنسان العاقل في هذه الرقعة الجغرافية، مثيرة للجدل إلى حد ما. هذا هو الواقع. إن جاذبية العالم الأول أدت إلى أن يصبح المغرب بلد هجرة أيضا. وهذا يعني أن إمكانيات الهجرة استعملها المغاربة يهودا ومسلمين، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى تقلص أعداد المغاربة اليهود بشكل كبير. كنت أنا وأقراني آخر من عايشوا حياة يهودية قائمة بذاتها في المغرب، إذ كانت لا تزال هناك أحياء يهودية. وهوما لم يعد الآن موجودا. ما تبقى الآن هم بقايا ضئيلة لأعداد كانت كبيرة في السابق. وبالنسبة لي وللعديد من الأشخاص الآخرين، يتعلق الأمر بالحفاظ على هذا التراث الثقافي الذي لا يزال موجودا من خلال المباني والمعابد اليهودية وما إلى ذلك، وكذا على كل الأمور التي جعلت هذا التعايش مميزًا للغاية بين المسلمين واليهود. إنه التعايش الذي يعود إلى ألفي عام، ونراه الآن يختفي، إن جاز التعبير. من المهم الحفاظ على هذا التراث وهذه الذاكرة وتوضيح الأسباب التي أدت إلى ذلك. فالمجتمع يعكس هذا الإشكالية من خلال هذه الجمعيات وأنشطتها

التي تبرز هذا التغيير. هذه هي الخلفية التي تحركني الآن وتحفزني للقيام بما أقوم به الآن، وإلا سيختفي بكل تأكيد وكما قلت في السابق هذا الحضور الجسدي في المستقبل المنظور. غير أنه لا تزال هناك معابد يهودية تعمل، وما زالت هناك محاكم حاخامية، إلخ. إنها بمثابة مساحات ضوء حاضرة في المجتمع. الشيء المثير للاهتمام أيضًا، أن المغرب دولة ديمقراطية، لكن لا يمكنك الزواج في المغرب، على سبيل المثال، إلا إذا كنت يهوديًا أو مسلمًا. لا يوجد زواج مدني. فالدولة المغربية تعترف فقط بالزواج بين يهوديين يكون مبرما على يد حاخام، أو بين مسلمين، تزوجا على يد عدول. لهذا السبب لا تزال هناك محكمة حاخامية مختصة في قضايا الميراث وما إلى ذلك. إنها بقايا بنيات تقليدية عملت بهذه الطريقة لعدة قرون، والتي تم تحديثها أيضًا، ولكنها لم تتطور على مستوى الزواج. إنه أمر غريب للغاية عندما يرى المرء الأمر بعيون أوروبية. والعمل على التغيير في مجتمع ما بالطبع، يتطلب على الأقل نقل هذه الذاكرة إلى الأجيال الموالية. هذا هو الدافع لمساهمتي وعملي التطوعي، إنه دافع سياسي بالدرجة الأولى.

قلت إن الحياة اليهودية هي أيضًا حدث سياسي واجتماعي. هل من مقارنة بين اليهود في المغرب وفي ألمانيا على المستوى الاجتماعي والسياسي؟

جون جوزيف ليفي: كما قلت في البداية، أنا لست متدينا. يهوديتي هي جزء من هويتي. غير أن تاريخ البلدان: المغرب وألمانيا، يظهران أوجه تشابه هنا، فأعداد اليهود في كلا البلدين عرفت تقلصا كبيرا للغاية. من هذه الناحية، هناك تشابه. والحفاظ على الذاكرة أو تفسير ما حدث هي مهمة ملقاة على العديد من الفاعلين. ففي ألمانيا، يتم ذلك بوسائل مختلفة عن تلك التي يتم اتباعها في بلدنا، ولكنه في الأساس هو المسار نفسه. فلو لم يكن هناك متحف يهودي في برلين أو في الدار البيضاء، وإذا لم يكن أحد يعتز بهذه الذاكرة، عندها لن يعرف المرء ماهية هذه المقابر اليهودية. فالعديد من الشباب المغاربة الذين لا يحصلون على نصيب من التعليم سيرون مقابر لم يعد يدفن فيها أحد، وهي مزينة بعلامات غريبة. هذا ما تبقى. وإذا لم تكن هذه الذاكرة محفوظة في ألمانيا، فربما كانوا سيأتون إلى "فايسنزي" Weissensee، حيث توجد أكبر مقبرة يهودية في برلين، ولن يفهموا ماذا يعني كل هذا. حسنًا، لدينا اليوم الإنترنت، ولكن إذا تُركت الأمور تسير في مسارها الطبيعي، فلن يتبقى سوى القليل. وتبقى هذه الذاكرة مجرد شظية وبضع حجارة. وهناك ما يكفي من هذه المقابر التي تتكون فقط من حجارة نصفها مدفون في التراب. إذا ما سعى المرء إلى إظهار تشابه بين البلدين، فهذه إحداها.

في الختام، ما هي أمنيتك فيما يخص العيش المشترك بين أناس من أصول وديانات مختلفة؟

جان جوزيف ليفي: نعم، هذا موضوع كبير. أنا نفسي، إذا جاز التعبير، تركيبة أممية. والدتي إسبانية، ووالدي مغربي يهودي. وبالنسبة لنا، كيف ينبغي لي أن أصف الأمر، فإن عزلة الثقافات الفردية لم تلعب أبدًا أي دور في حياتنا. من ناحية الأم، تزوجت الأخوات الثلاث على نحو مختلف: تزوجت إحداهن من مسلم وأخرى من يهودي والثالثة من مسيحي. لدي أبناء خالة مسلمون وآخرون مسيحيون. هذه الأممية شيء فريد في قصتي. شيء ما يشبه الخيط الناظم. فعيادتي بحي كرويتسبيرغ، وهي بيئة يلعب فيها التنوع الثقافي دورا أيضًا، تعكس هذا الأمر أيضا. فالتغلب على مثل هذه الحدود المجتمعية الضيقة هو شيء قريب جدًا من قلبي. وأنا نفسي أعيش هذا الأمر. فأنا متزوج ولدي طفلان، وزوجتي ألمانية تنحدر من أقلية هوغونوتيون البروتستانتية.

شكرا جزيلا سيد ليفي على هذه المقابلة!

تصوير: جون جوزيف ليفي ـ مرحلة الدراسة

جواز السفر

عبد الرحمن مشراوي

- من مواليد فجيج
- أخصائي أمراض باطنية وأمراض القلب
- رئيس أطباء بفلانسبورغ
- متقاعد منذ 2013

"رحلة جنوب . شمال: سيرة حياة"

بروفيسور عبد الرحمن مشراوي من مواليد فجيج في 22 مارس 1948. يعيش في ألمانيا منذ ديسمبر 1966. تخرج من جامعتي ماربورغ وهايدلبرغ وحصل على الدكتوراه عام 1973. تابع تكوينه الأكاديمي في التخصص في الطب الباطني ، وأمراض القلب وطب الأوعية الدموية وارتفاع ضغط الدم. حصل على درجة الاستاذية في سنة 1995 في جامعة الرور ببوخوم. عمل كرئيس الأطباء في فلانسبورغ ومارس التدريس في جامعة كيل. وفي أبريل 2013 تقاعد عن العمل لكنه لم يتقاعد عن نشاطه الطبي وعمله الجمعوي. كما يعمل كأستاذ شرفي في جامعة بينزا الروسية منذ عام 2015.

جولة من الجنوب إلى الشمال هي مطاف حياتي. خلالها نضجت من طفل الواحة إلى طبيب القلوب. فمن بلدة فجيج الحدودية في جنوب المغرب الشرقي، انتهى بي المسار في مدينة فلانسبورغ الحدودية على ساحل بحر البلطيق في أقصى شمال ألمانيا. هكذا تطورت من تلميذ إلى أستاذ جامعي ورئيس الأطباء.

في أحد أيام بداية ربيع 1948، أبصرت النور في واحة فجيج بأسرة تتألف من تسعة أطفال كنت الثالث من بينهم. كان والدي الشيخ بن عَدُّو أستاذا للرياضيات واللغة الفرنسية وناشطا سياسيا يكافح في سبيل استقلال المغرب. فكعضوٍ وكاتبٍ في حزب الاستقلال، كان أحد قادة حركة المقاومة السلمية في منطقتنا ضد الحماية الفرنسية. أما أمي عائشة بنت بوعزيز فكانت أميّة، ولكنها تمكنت من اكتساب الكتابة والقراءة من خلال دورات محاربة الأمية. وهو ما ساعدها على الأقل ودون عناء يذكر من فرز ما كانت تخطه أناملي على البطاقات البريدية القادمة من بعيد. تنتمي عائلتي إلى قبيلة " لَعمور" ، وتقطن منطقة حدودية شاسعة بين المغرب والجزائر. وهي قبيلة عربية بدوية يمكن تتبع شجرتها الجينيالوجية إلى عام 1006 وتحديدا إلى مدينة طمرة في شبه الجزيرة العربية. وبالرغم من ذلك، كان لساننا الأمازيغي هو الغالب داخل أسرتنا.

طفولة في بيئة فقيرة

من الناحية الاقتصادية، انتمت عائلتنا الكبيرة إلى الطبقة الوسطى، فهي لم تكن ثرية، لكنها كانت تعيش على الكفاف. كان العديد من أفراد الأسرة معلمين أو موظفين إداريين و منزلنا في فجيج محاطاً بالعائلات الفقيرة التي كنا ندعمها. لذا حرص والدي على ألا يبدو أطفاله مختلفين عن أطفال الجيران. غالباً ما رفض تلبية طلباتنا بالحصول على ملابس جديدة مراعاة لمشاعر جيراننا و تجنبا للإحباط أو الغيرة. كما أنه استضاف الأقارب الفقراء أو أطفال الأصدقاء لدعم تعليمهم والإشراف عليه، وشجع الأطفال في منطقتنا بقصر الوداغير على الدراسة. كان في بداية كل عام دراسي يحضر لنا لوازم مدرسية من الدار البيضاء، وفي الآن نفسه للمحتاجين من الأطفال المتمدرسين. ولدعم خريجي المدارس الابتدائية الموهوبين، قام بترتيب منح للالتحاق بالمدارس الثانوية الحرة بالدار البيضاء. وأذكر أن امرأة عجوز وحيدة كانت تعيش معنا في منزلنا اعتنى بها والدي، بعدما عجز أقاربها على إعانتها. وهو الأمر الذي حرصت عليه والدتي بلا كلل. غالبا ما

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ، رفقة جده في أحد حصص القراءة

كانت الوالدة تحضر الأكل للجيران المحتاجين. فهذا السلوك بصم حياتي وعزز قيمة مدي يد العون للمحتاجين.

قصة 1

الدجينز الأزرق المعروف وقتها كسراويل رعاة البقر، كان قد ظهر في السوق المحلي في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي. طبعا رغبت الترفيه به، فطلبت من والدي أن يشتريه لي على أمل أن الفرصة مواتية. فجاء جوابه على شكل عتاب. "ماذا سيقول صديقك إذا خرجت وأنت ترتدي سروالا عصريا في نظرك؟"

عندما كنت في السادسة من عمري، سافرت للمرة الأولى في رحلة استغرقت تسع ساعات، في عهدة مسافر آخر إلى تويسيت بالحافلة عبر وجدة لزيارة والدي في السجن. ففي فيلا المترجم الفوري للإدارة الاستعمارية الفرنسية، كان على والدي تعليم أطفاله والقيام بأعمال حرفية في منزله. مرت ست سنوات أخرى كي أقوم برحلتي التالية. أول مرة استمتعت فيها بالعطلة المدرسية، حصل في مخيم مدرسي بغابة تافوغالت ، رفقة عمي، في سلا على ساحل المحيط الأطلسي. كانت هذه من أبرز أحداث أيام طفولتي. عندما اشترى والدي وأنا في الثانية عشرة من عمري، آلة كاتبة لي ولإخوتي لتعلم الكتابة باستخدام نظام العشرة أصابع، لم تكن لدي أدنى فكرة أن هذه المهارة ستساعدني كثيرًا بشكل احترافي في عهد الرقمنة. كما أنني لم أعتقد أبدا أنه سيكون لي أي علاقة بالتدريس عندما كنت أقرأ كتبًا تربوية لوالدي من السادسة إلى السابعة صباحًا خلال العطل المدرسية. كانت حياة الأطفال بسيطة في فجيج في ظل غياب أي مرافق ترفيهية عامة لهم.

لذا صنعنا اللعب بأنفسنا و صنعنا كرات القدم والكرات الطائرة وكرات البيسبول من القماش. كنا نجد في الألعاب الجماعية بالشوارع أو الحدائق أو أحواض السباحة متنفسا لملئ أوقات فراغنا. وهو ما صقل بكل تأكيد روح الفريق لدي. قضيت العطلة الصيفية الطويلة لمدة ثلاثة أشهر مع الأقارب والأصدقاء من أجل الدراسة رفقة والدي أو عند أصدقائه المعلمين في مدرسة "تلات" المجاورة.

أما جدي عدُّو فالتحق بمدارس تقليدية بفجيج والريصاني في منطقة تافيلالت، وخدم في تافيلالت والمشرية بالجزائر لفترة وجيزة كإمام و مؤذن و معلم. كان يلقب باسم " الطالب" والفكاهي. إذ كان يروي لكبار السن اقتباسات وحِكَم، بينما يسمع الصغار نكاتا عن مواضيع تدخل في نطاق المحظورات. كما كان يعتني بتعليمي المدرسي ويهتم بواجباتي المنزلية على قدر استطاعته. أذكر في طفولتي بمدرسة فجيج، كنت خجولا وصموتا للغاية. ومع ذلك، كانت بعض أجوبتي الرزينة على ملاحظات الكبار تثير الدهشة والإعجاب. لذا أُطلق علي لقب "فيلسوف"، و هو ما كان يثير استغرابي. عانيت من خجلي أمام الحضور، ولكن سرعان ما اكتسبت الثقة و التدريب. وفي وقت لاحق حل محله المرح و وكنت أفرح عندما يكون مدرج أو قاعة محاضرات مليئة بالمستمعين لأثبت خطابتي بثقة في النفس.

ببصمة الحركة الوطنية

كنت شاهدا على عدد من الأحداث خلال مرحلة الاحتلال الاستعماري لشمال إفريقيا واندلاع المقاومة الوطنية. ففي فجيج و

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ منزل الأسرة في فجيج

"المنطقة الشرقية" قاد والدي وأصدقاءه من حزب الاستقلال حركة سلمية للمطالبة بالحرية والاستقلال. وهو ما أدى إلى سجنه وتعذيبه مرات، لعدة أسباب منها على سبيل المثال لا الحصر: تأسيس مدارس عربية حديثة حرة تقبل تمدرس الفتيات لأول مرة. إذ كان والدي من أوائل المدرسين في هذه المدارس. ارتبطت سنوات دراستي الأولى في ذاكرتي بالخوف والترهيب من القادة الفرنسيين، جراء مشاهد التفتيش المتكرر للمنازل من قبل قوات الأمن التابعة للسلطة الفرنسية وعصبية والدتي التي اضطرت في مرات عديدة إلى إخفاء أو حرق وثائق سياسية. كما استمرت بعض تلك المشاهد حتى بعد استقلال المغرب. إذ كانت منطقة فجيج الحدودية بسبب إيواء ودعم اللاجئين الجزائريين، مسرحا لاشتباكات عسكرية بين الجيش الفرنسي والنشطاء الجزائريين المطالبين باستقلال بلادهم. لأجل ذلك، منح أبي لبعض من كوادر جبهة التحرير الجزائرية، اللجوء في منزلنا لأكثر من ثلاثة أشهر، كان من بينهم الرئيس الجزائري في وقت لاحق، هواري بومدين (محمد بوخروبة). هي مشاهد ظلت محفورة في ذاكرتي، تتخللها أيضا كوابيس الاضطهاد المتكررة من قبل الجيوش الفرنسية والقصف بالقنابل الجوية التي كانت تفزعني في نومي. وهي المرحلة المرعبة ما بين عامي 1957 و 1962. بالرغم من لك فلا والدي ولا أنا احتفظنا بشعور الاستياء للمجتمع المدني الفرنسي. فوالدي كان يدرس لغتهم إلى جانب الرياضيات حتى عام 1962. واصل تدريسها في المدارس العربية أو تلك التي اعتمدت ثنائية اللغة بعد استقلال المغرب.

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ والده الشيخ ووالدته عيشة

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ كتلميذ في فجيج 1960

نكتة

عند قراءة الكتب البيداغوجية، كنت أقرأ اسم فْرُويد بالعربي خطأ "فَرْويد". وعندما سألني زميل في ماربورغ عما إذا كنت أعرف فْرُويد، أجبت بالرفض. ما كان إلا سياق الحديث حول التحليل النفسي هو الذي نبهني باسم عالم النفس التحليلي سيغموند فْرُويد الذي سبق لي أن قرأت أحد كتبه وأنا في الثالثة عشرة من عمري.

الالتحاق بالثانوية

تابعت دراستي الابتدائية في المغرب المستقل بمدرسة حكومية تعتمد العربية والفرنسية كلغتين للتدريس. وبعدما حصلت على شهادة استكمال التعليم الابتدائي، اضطررت إلى اجتياز الامتحانات وفقًا للنظام العربي أيضا، كي التحق بمدرسة الحسنية للتعليم الحر. فإلى حدود الستينات، كان المغرب يفتقر إلى المعلمين المهنيين، بعد استبدال المعلمين الفرنسيين بآخرين من مصر والشرق الأوسط، كان معظمهم أكاديميين أو طلابًا بدون تدريب تربوي.

نظراً لعدم وجود مدرسة ثانوية في فجيج، حاول والدي إدخال الصف العاشر وتأسيس الثانوي ما بعد شهادة البروفي. غير أن ذلك لم يستمر

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ مدرسة ابن رشيق بفجيج

سوى ستة أسابيع إثر وفاته في 30 نوفمبر 1963، عن عمر ثلاثة وأربعين عاماً فقط. بعدما تعذر إيجاد مسير آخر لمواصلة المهمة، اضطررت إلى الانتقال في يناير 1964، ثلاثة أشهر بعد بداية السنة الدراسية، إلى مدرسة النهضة للتعليم الحر في سلا. كان علي تعويض ما فاتني من مناهج دراسية في العديد من المواد الجديدة مثل الفيزياء والكيمياء واللغة الإنجليزية من أجل إكمال العام الدراسي بنجاح.

قصة 2

كان علي صديقي سليمان غرباج الالتحاق بإحدى ثانويات طنجة في الشعبة الأدبية لفقدان شعبة علمية معربة هناك. غير أنه أراد الانتقال إلى الشعبة العلمية في مدرستنا بسَلا حسب ميوله. لذا ساعدته في استدراك جميع المواد العلمية خلال الإجازة الصيفية التي كنا نقضيها سويا في واحتنا، كادحان سويا في مدرسة "تلات" جوار دارنا. لحسن الحظ، و بفضل ذكائه و قوة استيعابه، تمكن من التفوق من بين أنجب التلاميذ في ثانوية النهضة بسلا.

قصة 3

ذات مرة نادى علي عمي الأصغر لمساعدته في أشغال بناء بستاننا، فإلا بجدي يعترض قائلا: "هذا ليس بشغلك. اذهب يا بني إلى خلوتك وانجز واجباتك الدراسية".

اخترت التوجيه إلى شعبة "العلوم التجريبية" التي تم فتحها بسلا سنة واحدة من قبل. ففي وقت مبكر، أي في سن الخامسة عشر، كنت قد حددت هدفي لدراسة الطب لكي أصبح طبيبا مختصا في أمراض القلب. إذ كانت الكيمياء والفيزياء و الطبيعيات والرياضيات هي المواد المفضلة لدي. ما زلت أتذكر تمارين الامتحان النهائي للصف العاشر في الكيمياء وطريقة حلها بكل سهولة. تعلق الأمر بنظرية الحرارة باستخدام عامل الحرارة. كان عملي الجاد في المدرسة الثانوية يكافأ دائمًا بأفضل أو ثاني أفضل النقاط، خاصة في العام الدراسي الأخير.

كان لدي شعور دائماً بأن وقت إنجاز التمارين لا يكفيني. لذا عُرفت بين أترابي بمقولة:" لو كان الوقت يشترى، لكنت أول من اشتراه."

قدوتي في الحياة

كان والدي الذي بصم حياتي، قدوة لي، وفي نفس الوقت معلمي الأول بالإضافة إلى المهاتما غاندي الذي اتخذته هو الآخر قدوة في حياتي. كان الشيخ بن عدو قدوتي أيضا لأنه دعم بشكل مستدام تعليمي وتدريسي، وتركت صفاته المميزة بالتواضع والكفاف والصبر واحترام العلاقات الشخصية والتضحية بالنفس لمساعدة المحتاجين انطباعاً كبيرا في نفسي. غير أن وفاة "السّي شيخ" ، كما كان يُطلق عليه، في وقت مبكر وأنا في الخامسة عشرة من عمري، شكلت حدثا أليما قاسيا في عمر حساس. أما المهاتما غاندي الذي كنت قد قرأت عنه عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، كان قد أثار إعجابي بمقاومته السلمية و العنيدة للحكم الأجنبي. "العنف سلاح الضعفاء واللاعنف سلاح الأقوياء " على حد قوله. فسيرا على خطى والدي، نشأت كواحد من أشد دعاة السلام. لذلك، ليس بالغريب أن يلقب "سي الشيخ" بـ "غاندي فجيج" من طرف أصدقائه. سماحة الأسرة ورحابة صدرها علمتني كيفية التعامل مع مختلف الفئات وجعلتني أتطبع بالتسامح وتقديم المساعدة. لا غرو أن ذلك ساعدني في عملي كطبيب وفي التعامل مع مجتمعات مختلفة. من المحتمل أيضا أنني استفذت من أنشطة التدريس عن والدي وأعمامي في عملي الجامعي. غير أنني لم أجد الوقت الكافي ولا الإطار المناسب لالتزام سياسي على غرار "السّي الشيخ".

دوافع الهجرة

وصلت إلى ألمانيا في 30 نوفمبر 1966 لدراسة الطب كي أصبح طبيب أمراض القلب وأنا لم أتجاوز بعد سن الثامنة عشرة. ربما ألهمتني أفلام الطب التوعوية (ما كان يسمى وقتها "بأفلام الملك") التي كانت

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ طالب في ماربورغ 1968 ، هايدلبيرغ 1970

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ قسم الباكالوريا علوم تجريبية موسم 1966–1965

تعرض في السنوات الأولى لاستقلال المغرب، لدراسة الطب. كما أن الأطباء الأجانب الذين تلقوا دروساً في اللغة العربية من والدي زادوا من تعلقي بالطب. غير أن الوفاة المبكرة لوالدي، رحمه الله، من ضعف حاد في قلبه والتي لم نكن نعرف سببه آنذاك، سرَّعت من قراري بدراسة الطب والتخصص في أمراض القلب. ولم أتمكن من شرح ما وقع إلا في وقت لاحق. إذ وقع ذلك بسبب انسداد الشريان الرئوي إثر جلطة دموية، خلال رحلته بالسيارة إلى وجدة.

قصة 4

لحل تمارين الجبر الصعبة بأحد أقسام الثانوية، لم يتوصل أحد في قسمنا إلى الجواب الصحيح إلا صديقي سليمان و أنا. بذكائه لم يحتج له سليمان إلا لصفحة واحدة فقط للوصول إلى الحل النهائي، بينما كلفني أنا صفحتان. المثابرة والتركيز أيضا يمكنان من التوفيق.

ففي بداية العام الدراسي الأخير، تلقيت وعدًا بمنحة دراسية من هيئة التبادل الأكاديمي الألماني (DAAD). إذ تم اختيار التلاميذ الأربعة الحاصلين على أفضل النقاط لهذا الغرض. وكان نائب مدير مدرسة النهضة في سلا، الأستاذ الجامعي في القانون، وعضو البرلمان فيما بعد وأحد مؤسسي المنظمة المغربية لحقوق الإنسان، عبد الرحمن القادري، هو صاحب المبادرة من الطرف المغربي، لإنجاح هذا التبادل الأكاديمي. لم يكن قبول الدراسة في بلد ذي لغة وثقافة أجنبيتين قرارًا سهلاً بالنسبة لي، لكن الاضطرابات الطلابية في الجامعة الوحيدة في المغرب في الرباط وتهديد الحكومة بإغلاقها، دفعني إلى اختيار هذه الفرصة. لذلك كان معظم الخريجين متحمسين للحصول على منح دراسية أجنبية. بالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك فرصة بالنسبة لي لتجنب الخدمة العسكرية التي تم اعتمادها والتي لم تكن تتوافق مع قناعاتي السلمية.

تمَّت تجربتي الأولى في العمل بالمستشفى خلال فترة تدريب في التمريض قبل بداية دراسة الطب في فجيج. تلقيت معلومات أولية حول معالجة الجروح و التدريب على الحقن العضلي والعلاج بالعقاقير من الطبيب الإسباني د. خرمان ومن أربع ممرضين. آنذاك كانت تُستخدم إبر الحقن عدة مرات حتى تصبح مُعوجة و تَسوَدّ. إذ تم تعقيمها بغليها في غلاية قديمة على نار غاز البوطان. غرف العلاج كانت تفوح منها رائحة الكحول الذي كان يستخدم للتطهير. كنت أصادف بين الحين والآخر ممرضين من ذلك العهد، كممرض الجيش الملكي، صالح، رحمه الله، والتيجيني بن الشيخ، في فجيج أو وجدة. أسعدني كل مرة أن أقدمهما إلى رفاقي بصفتهما معلمي الأولين.

إكراهات التكوين

في المدرسة الثانوية، لم يكن لدينا أي مدرس أنهى تأهيله كأستاذ في الشعبة التي اخترتها. ومع ذلك، حاول الأساتذة، ومعظمهم من الطلاب أو الصيادلة، نقل الدروس إلينا بالتزام واجتهاد كبيرين. غير أن أغلب الطلاب الأربعة والثلاثين في قسمنا لم يتمكنوا من متابعة الحصص، فلم ينجح إلا أربعة طلاب فقط في الدورة الأولى من امتحان البكالوريا.

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ سنة 2000

تصوير: عبد الرحمن مشراوي - الفريق الطبي في مستشفى فلنسبوغ

بعد دورتين مكثفتين للغة على مدى أربعة أشهر في معهد غوته بلينبورغ، تمكنت من اجتياز اختبار معادلة الباكالوريا في مدينة إرلانغن. ومع ذلك، اضطررت إلى انتظار مقعد للدراسة. خلالها، التحقت لستة أشهر بشعبة الطبيعيات في إرلانغن، والتي يتوافق محتواها مع الفصل الدراسي الأول من الطب. بعد ستة أشه، تمكنت من التعامل مع اللغة اليومية بشكل جيد، وكنت قادرا على المشاركة في المناقشات حول مواضيع مختلفة. لكن في السنة الأولى عانيت من صعوبة فهم المحاضرات لغوياً. كما أن التواصل مع الزملاء الطلاب الألمان كان صعبًا بسبب اللغة. من حسن الحظ، تمكنت من التعرف بسرعة على عدد من الطلاب و على حياة عائلاتهم الألمانية ومشاركتهم في الأنشطة الثقافية والترفيهية.

قصة 5

عندما كنت في الثانية عشرة من عمري و نحن في عطلة الصيف بِسَلا، طلبت من والدي أن يشتريلي حذاء جديدا. فأجابني أنني لست بحاجة إلى أي حذاء جديد بعد، مضيفا: "أنظر إلى حذائي هذا!بهذا الصَّندَل حظيت يوم أمس رفقة وفد بلقاء الملك محمد الخامس في القصر الملكي". لاحظت فعلا أن حذائي لم يكن أسوأ من صندَلِه، فتخليت عن طلبي.

كانت الفترة الأولى غريبة عني و غير معتادة. اشتقت للطبخ المغربي والشاي بالنعناع الذي لا يستغني عنه أي مغربي. الجدير بالذكر أن المطبخ المغربي يروق للألمان أيضا. كان ذلك سبباً كافياً بالنسبة لي لتعلم فن الطهي عن أمي وأخواتي كلما زرت المغرب. زرعت النعناع في الحديقة الذي كان مفقودا في الأسواق الألمانية. أما فيما يخص المطبخ الألماني، فلم أستلذ منه إلا كيك الفواكه ووجبات التحلية.

ابتداء من الفصل الدراسي الثالث، أي بعد سنة و نصف، تغلبت على الصعوبات اللغوية و أتقنت الألمانية و تابعت دراستي في ماربورغ و هايدلبرغ بفائق السهولة و النجاح. حضرت بعض المحاضرات و التداريب السريرية مرتين طواعية. كما كنت شغوفا بالتقدم للامتحانات الرسمية. بعد التخرج كطبيب عام و الدكتوراة التي نلت كلاهما بميزة جيد جدا، مررت بعدة مراحل من التداريب في التخصص، تنقلت من أجلها إلى عدة مستشفيات للعمل كطبيب مساعد في لانداو بغرب ألمانيا (Landau) وكاسل (Kassel)وروتنبورغ أن دير فولدا (Rotenburg an der Fula) وبوخوم (Bochum) ومدينة ليل الفرنسية Lille. هكذا تنقلت ثلاثة عشرة مرة في حياتي، وعشت في سبع ولايات ألمانية مختلفة. لم يكن الأمر سهلا دائما. إذ كان طموحي وإصراري سببا في الوصول المبكر إلى تقنيات فحص وعلاج القلب التدخلي. وهو ما تطلب مني قدرة إقناع كبيرة لرئيس قسم أمراض القلب.

قصة 6

سيبقى اليوم الذي أعلِنت فيه نتائج امتحانات الباكالوريا أمام مبنى المعهد المصري بالرباط يوم لا ينسى. بينما كنت أنتظر هناك مع رفاقي إعلان النتائج للمدارس الثلاث بالرباط وسلا، توجه نائب مدير مدرستنا، عبد الرحمن القادري، نحوي وهو يصيح مبتهجا من نافذة سيارته "مشراوي، لقد نجحت وحصلت على ثاني أحسن نقطة بين جميع تلاميذ المدارس". بهذه النتيجة السارة ، أمَّنت المنحة الألمانية الموعودة وتنفست الصُّعداء.

أحداث مهمة

بعد الانتهاء من دراسة الطب والدكتوراه و فترة التخصص كأخصائي في الطب الباطني وأمراض القلب في جامعة الرور ببوخوم، التحقت

بتكوين آخر إضافي في أمراض القلب للأطفال في جامعة ليل بفرنسا. إذ كنت شغوفا بالبحث الطبي و العلمي وكنت أحضرللعودة إلى المغرب و الالتحاق بكلية الطب بالرباط. غير أن خيبة أملي كانت مؤلمة بعد الموقف الرافض لمسؤولي قسم أمراض القلب في وطني، بدعوى أنه لا مكان لي هناك. غير أن ألمانيا رحبت بي بعد ذلك بترقيتي إلى منصب نائب مدير قسم أمراض القلب في المستشفى الجامعي بيرغمانسهايل (Bergmannsheil) بجامعة الرور ببوخوم (Ruhr-Universität Bochum)وتم تفضيلي على طبيب من أصول ألمانية! منحني هذا فرصة فريدة في مجال التطور الطبي والأكاديمي والبحث العلمي. طيلة خمسة عشر عامًا، لعبت دورا رئيسيا في تطوير طب القلب في بوخوم، وخاصة طب القلب التداخلي. وبعد ذلك أصبحت رئيس الأطباء في فلانسبورغ (Flensburg) بشمال ألمانيا.

قصة 7

في ظل صرامة معظم أساتذة المدارس الثانوية في الستينات، لم يكن من المعتاد أن يستضيف أستاذ تلميذا إلى منزله. فمن الغريب أن نائب المدير، الذي لم يقارب أحدا منا من قبل' أن يشرفني وصديقي سليمان بدعوة لحضور جلسة في شقته بالرباط بصحبة مدرس سوري. بعد أن شرح لنا خطوات الحصول بالمنحة تجول بنا بسيارته عبر شاطئ البحر لمتابعة حديث ثقافي شيق. وكهدية، قدم لكل واحد منا كتاب "مُعَذَّبو الأرض" لفرانتز فانون بتقديم من جان بول سارتر.

ففي عام 1979 كنت استعد للعودة إلى المغرب. وللحصول على معلومات حول الاحتياجات في بلدي الأم ، زرت رئيس قسم أمراض القلب في جامعة محمد الخامس بالرباط. بعد جولة في مستشفى ابن سينا، أوصاني مدير القسم صراحةً بتعلم تكنولوجيا القسطرة القلبية للأطفال من أجل اعتمادها هناك. وهو ما دفعني لاكتساب هذه الكفاءة وجميع تقنيات فحص القلب والعلاج عند الأطفال في المستشفى الجامعي بمدينة ليل الفرنسية.

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ مختبر قسطرة القلب في فلانسبورغ

عندما أردت ، في بداية عام 1983، معرفة شروط اندماجي في المستشفى الجامعي بالرباط ، اتصلت برئيس قسم طب القلب نفسه مرة أخرى. فكان من الصعب تحديد موعد جديد معه. إذ لم أتمكن من لقائه في الموعد الأول بسبب مرافقته للملك الحسن الثاني إلى مراكش كأحد أطبائه الشخصيين. ولم يستقبلني إلا يوما واحدا قبل عودتي إلى فرنسا. حدث ذلك بالرغم من توصله بخطاب توصية من رئيس قسم أمراض القلب لدى الأطفال في ليل، البروفيسور الشهير كلود دوبوي (Claude Dupuis). ففي بداية المحادثة مباشرة أشار لي أن هناك قانونًا جديدًا يقضي بأن يتوفر طلاب الطب الأجانب على دبلوم في مادة أساسية لقبولهم في المستشفى الجامعي بالرباط إو الدار البيضاء. من أجل تصحيح خطابه، أكدت له أنني لست أجنبيًا ولا طالبًا، بل مواطنًا مغربيًا ومتخصصاً في الطب الباطني وأمراض القلب مع تأهيل إضافي في طب قلب الأطفال، مع العلم أنه كان هو نفسه قد أوصاني بدراسة هذه الشعبة المفقودة في المغرب آنذاك في عام 1979. غير أنه أضاف دون رادع، وبحضور عميد كلية الطب الجديدة بالدار البيضاء، أنه في حالتي، لا بد لي من شهادة في الفيزياء النووية. وأكد أن هذا الشرط ينطبق على كليتي الرباط والدار البيضاء. وأضاف: "عد إلى ألمانيا أو فرنسا، إن شئت، لتحضير هذه الشهادة". ولاتِّباع مَنطِقه لا غير، سألت عن نوع المنصب أو الدور الذي سيعرضه علي في مؤسسته. فرد قائلا: "عندها ستكون بيننا وسنرى بعد ذلك." غير أنني أولت شروطه الغريبة على أنني قد أزعج زمرته بمهاراتي وأنه لا يرغب في كفاءتي. فقررت البقاء خارج المغرب، بعد خيبة أملي هذه. إلا أنه في نفس الأسبوع تلقيت بدعوة من مديري السابق في بوخوم، البروفيسور يورغن بارماير (Jürgen Barmeyer) الذي عرض علي توظيفي عنده، شهرين قبل نهاية تأهيلي في ليل. لم تمر إلا بضعة أشهر بعد ذلك، حتى تم تعييني نائبا له في جامعة بوخوم. يا لها من سخرية الفرص: رُفِضت في وطني فرُحِّب بي في البلد الغريب!

مهام وأسلوب القيادة كطبيب مشرف مسؤول و نائب المدير

بالإضافة إلى رعاية المرضى والتعليم الجامعي، كانت إحدى مهامي تكوين الأطباء المساعدين في أمراض القلب السريرية والتدخلية وتعزيز البحث العلمي. ساهمنا بنشاط كبير في المؤتمرات الوطنية والدولية ذات الصلة بعملنا الخاص و نشر ملخصاته في المجلات المختصة. استفذنا من التعاون مع كفاءات جامعة الرور الشابة الديناميكية في

العلوم الطبيعية والهندسية. كأطباء، مارسنا تعاونا علميا مثمرا في بوخوم، لا سيما مع معاهد علم الأمراض والكيمياء الحيوية وتكنولوجيا التردد العالي (Technique des hautes fréquences) ومع معهد تكنولوجيا المواد في دويسبورغ وإيسن (Duisburg et Essen). طورنا منتوجا لدعم الشرايين التاجية الضيقة والمسدودة. كما حصلنا أنا وباحثان على براءة اختراع أوروبية. مشاركتي في المؤتمرات الدولية عبر تقنية البث المباشر من مختبرات القسطرة القلبية، خاصة في مراكز أمراض القلب في ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وفرنسا، ساعدت على تطوير طب القلب التدخلي في بوخوم ولاحقاً في فلانسبوغ .

في الوقت الذي سادت في المستشفيات الجامعية منافسة على التميز الأكاديمي، ما جعل التعاون صعبًا في كثير من الأحيان، سعيت أنا إلى طريقة المشاركة والتعاون الجماعي المثمر مع الزملاء والموظفين لتحفيز الفرقة ككُل. فالتعاون يسمح عادة بتحقيق الأهداف بسرعة أكبر. إذا لم تكن عندنا صراعات تنافسية معيقة. إن تجربتي الشخصية أثبتت تفوق استراتيجية العمل الجماعي البناء على الصراع التنافسي. أسفر العمل المشترك على نشر أحد الكتب الأولى حول دعامات الشرايين التاجية والذي صدر باللغة الألمانية، بعدما تمكنت من تحفيز نخبة من الأطباء المساعدين والمختصين لنشره عبر دار نشر شتاينكوبف (Steinkopff) في عام 2001 في خلال إثنتي عشر شهرًا فقط.

نكتة

ففي السنة الأولى من إقامتي في ألمانيا، نظمت لنا هيئة "خدمة الجامعة العالمية" (WUS) رحلة في نهاية الأسبوع إلى "سويسرا الفرانكونية" . تخليت عليها اعتقادا أنني، كمغربي، بحاجة إلى تأشيرة و أنا سندخل تراب سويسرا.
بعد خمسة أشهر من وصولي إلى ألمانيا، إخذت معلومات عند المكتب الأكاديمي للطلبة الأجانب في إرلانغن . انهت الموظفة كلامها بكلمة „Gell?" التي تعني في لهجة الجنوب "أليس كذلك؟". فهمتها وكأنها قالت „Geld" أي المال. فسألتها بمناسبة الحديث عن المال، "متى يصرف لنا قسط المنحة الأول؟"

لم تحتل المصالح المالية أولوية في ممارستي المهنية. فالجهد المستمر للحصول على أفضل جودة في العمل اليومي هو الذي يستحق العناء، من الناحيتين المهنية والمادية. فلا ينبغي أن نجري وراء المزايا المالية، بل لنتركها تسعى إلينا جزاء لاستحقاقنا و كفاءتنا. أشرفت على دورات تدريبية مشتركة لصالح الموظفين الطبيين وغير الطبيين ليس لنقل المعرفة المختصة فقط، بل أيضًا لتعزيز روح الفريق بين المجموعات المهنية للحيلولة دون وقوع النزاعات المحتملة في العمل اليومي. سرعان ما ظهرت نتيجة هذه الاستراتيجية وانعكاسها بشكل إيجابي على جو العمل. لا شك أن رئيس القسم ساهم أيضاً في ذلك بصفاته الإنسانية العالية. ساهمت أيضا في تنظيم دورات تدريبية منتظمة لأطباء بوخوم. كما أني أسستُ مجموعة عمل لأمراض القلب التداخلية لتبادل الخبرات بين أطباء القلب في مستشفيات جامعة الرور في بداية التسعينيات وأشرفت عليها إلى غاية انتقالي إلى فلانسبورغ.

أشرفت على أكثر من أربعين رسالة دكتوراه في بوخوم وليل وفلينسبورغ / كيل. ونشرت أكثر من 350 منشوراً ومحاضرة علمية بالتعاون مع زملائي. أبحاثي العلمية تركزت أخيراً على ارتفاع ضغط الدم الشرياني الرئوي والدعامات التاجية ومواد تلوين الشرايين بالأشعة السينية. كما كانت العديد من الموضوعات الأخرى من الطب الباطني والبحوث الأساسية هي الأخرى ضمن مجال اهتمامي أيضا. أما موضوع أطروحة الأستاذية ما بين 1983 إلى 1989 فكان حول ارتفاع ضغط الدم الرئوي والشرياني الرئوي. لم يكن اختيار هذا الموضوع عن طريق الصدفة. فأبي توفي أثناء دراستي بسبب الضعف الحاد للقلب الرئوي، وهو قصور القلب الأيمن الناجم عن زيادة مُفاجِئة في ضغط الدم في الدورة الرئوية، إثر انسداد شريان رئوي، عانى منه أبي بعد ست ساعات سفر عبر السيارة من فجيج إلى وجدة، مما أدى إلى وفاته بعد خمسة أيام. لم يكن العلاج الفعال للانسداد الرئوي موجوداً في أي مكان في العالم في بداية الستينات.

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ مختبر قسطرة القلب في فلانسبورغ

في بوخوم، اعتمدت دورة تدريب الطلاب على تسمع نبضات القلب ودورة الفحص بطريقة صدى القلب. وفي فلانسبورغ وجامعة بينزا (Penza) الروسية، قمت بتدريس هذه الطريقة الجديدة كنموذج فحص مُبتَكَر للكشف عن أمراض القلب. من المفترض أن يتم تدريب الطلاب على طريقة الفحص الصوتي المجربة والمختبرة باستخدام سماعة الطبيب، وهي السمع القلبي لعيوب القلب (Auscultation) . في الوقت نفسه، يجب تعريف المتدربين على طريقة التصوير بالموجات فوق الصوتية (Echocardiographie) الأكثر حداثة، وهي تخطيط صدى القلب باستخدام الدوبلر الملون (Doppler couleur). لسوء الحظ، لم تجد طريقة التشخيص المهمة هذه طريقها بعد إلى منهج الدراسة في السلك الأول. بدلاً من ذلك، يتم تعليمه في وقت متأخر من الدورة التدريبية المتخصصة.

مجالات العمل وأسلوب الإدارة كرئيس للأطباء، مدير قسم مختص

قبل أن يتم اختياري رئيساً للأطباء في مستشفى فلانسبورغ، وهو مستشفى جامعي تابع لجامعة كيل ولوبيك (Kiel et Lübeck)، كان علي أن أخضع لعملية اختيار متعددة المراحل. كان من الضروري تقديم ترشيحي أمام مجلس الإدارة وكبار الأطباء في اجتماع رئيس الأطباء، وأخيراً أمام مجلس الرقابة. كانت جولة أعضاء مجلس الإدارة في قسمنا ببوخوم جزءاً من مراحل الترشيح. فبعد نجاح

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ مختبر قسطرة القلب في فلانسبورغ

ترشيحي و قبولي في فلانسبورغ، كاد حزن زوجتي وابنتي بسبب الانتقال إلى هناك أن يهدد المشروع بالفشل. غير أننا التزمنا بحل وسط بعد الموافقة النهائية. إذ اتفقنا على التنقل بالتناوب في نهاية الأسبوع بين بوخوم وفلانسبورغ. استفدت مع ذلك جيدًا من رحلتين إلى ثلاث رحلات في الشهر بالقطار لمدة ست ساعات كفرصة إضافية للعمل، حيث تمكنت في كثير من الأحيان، بفضل أجهزة الحاسوب المحمول والهواتف الذكية، من القيام بأكثر مما أقوم به في المنزل. تمكنت أيضًا من قراءة المزيد من المجلات المتخصصة.

بالإضافة إلى رعاية المرضى السريريين والخارجيين، تضمنت مهامي أيضا إدارة شؤون الموظفين، والمشاركة في إدارة الجودة كعضو في المجموعة التوجيهية، وإدارة لجنة الأدوية الطبية بالمستشفى كرئيس لها، والتدريب الطبي لجمعية فلانسبورغ الطبية، والتدريب المتقدم المؤدي إلى الاختصاص في الطب الباطني وأمراض القلب والأوعية الدموية، وفحص الأطباء لأمراض الأوعية كمُمتحِن في الجمعية الطبية الحكومية وتدريس الطلاب والعمل العلمي والإشراف على طلاب الدكتوراه في جامعة كيل. من أجل ترقية المساعدين، كنت أقوم بعقد اجتماعات فردية منتظمة لتقييم عمل التكوين، والتي كنت أقَدّر قيمتها بشكل خاص. تمت مناقشة نتائج تقييم ضمان الجودة مع المقارنة المعيارية مع المساعدين في ورش عمل منظمة. عقدت مناقشة التغييرات الإجرائية في الفريق أيضا، وتم تكليف كبار الأطباء بواجبات العمولة. كما تولى الأطباء المساعدون ذوو الخبرة مهاما خاصة.

قصة 8

منحة الأكاديمية الألمانية البالغة 400 مارك ألماني شهريًا، و هي حوالي 200 أورو، كانت كافية للدراسة وللعيش. ومع ذلك أوقعت نفسي مرتين في ضائقة مالية. مرة لشرائي راديو بسبعين مارك، لسماع محطات أجنبية و لإخماد شيئ من الحنين إلى الوطن. ومع ذلك لم أنجح أبدا في التقاط المحطات الاذاعية المغربية. أما المرة الثانية فعندما كنت في الفصل العاشر من الدراسة، اشتريت سيارة مستعملة، وهي من صنف فولكس فاغن الخنفساء مقابل 1000 مارك. فالإصلاحات المتكررة قلبت ميزانيتي رأسا على عقب. لذا إضطررت لأول مرة كطالب إلى العمل خلال عطلة الصيف في شركة للتعليب لمدة أسبوعين في هايدلبرغ.

لتوثيق التدبير المهني والتنظيمي لمستشفى الطب الباطني في فلانسبورغ و التركيز على معايير الجودة، أصدرت كتابا للجيب "الجودة المطبقة في الطب الباطني" . تلاه نشرة جديدة و موسعة في يناير 2020 و هو بمثابة كتاب مساعد للعمل اليومي في المستشفى. وضعنا فيه استراتيجيات تشخيصية وعلاجية خاصة للمستشفى من خلال العمل الجماعي. تقدم فيه إجراءات محددة في مخططات التدفق والجداول والقوائم كمراسيم. وتُوصف فيه الإجراءات العملية

تصوير: عبد الرحمن مشراوي -

تصوير: عبد الرحمن مشراوي - بورتريه الفريق الطبي بجامعة بينزا في روسيا

للعيادات والمعاهد المتعاونة، وكذلك معايير الفحص التي تم تطويرها من قبل مجموعات العمل وفي العديد من المؤتمرات، تحت إدارتي للمستشفى. بفضل هذا المنهج، تعد فلانسبورغ من بين المراكز التي لديها أقل معدل وفيات وأسرع رعاية حادة للنوبات القلبية.

العقبات ومفاتيح النجاح في ألمانيا

كانت المنحة المقدمة من هيئة التبادل الأكاديمي الألمانية (DAAD) بمثابة الدعم الحاسم الذي تلقيته من ألمانيا والذي مكنني من دراسة الطب. وأنا ممتن لهذه المؤسسة الألمانية على ذلك. ومع ذلك ، بعد الانتهاء من تكويني كمختص، اضطررت إلى سداد تكاليف الدراسة بأكملها. كما أنني ممتن لمكافأة مقابل عملي خلال فترة التدريب، والتي توافقت مع راتب زملائي الألمان. في العديد من البلدان الأوربية يكسب المتدربون الأجانب أقل مما يكسبه زملائهم المحليين. إن التدريب الإضافي لكي يصبح المرء طبيب قلب والمؤهلات الأكاديمية حتى لقب أستاذ تتطلب في ألمانيا جهدا أكثر وتستغرق وقتًا أطول بكثير مما هي عليه في فرنسا مثلا. بصفتي مساعد باحث في جامعة الرور في بوخوم، تمكنت من تطوير نفسي هنا في ألمانيا وتصميم أنشطتي البحثية وتنفيذها بحرية. أما الاتصالات العديدة مع زملاء من جامعات مختلفة في ألمانيا وخارجها مثل فرنسا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا والولايات المتحدة ودول أخرى في سياق المؤتمرات والمحاضرات، آثرت في تجربتي بشكل كبير. بصفتي طبيباً مشرفا مسؤولًا ثم رئيسًا للأطباء، كانت روح الفريق جزء من استراتيجية عملي. حاولت أساسًا تحقيق الأهداف مع الفريق، و متى لزم الأمر، رفقة زملاء من تخصصات أخرى، من خلال إشراك المساعدين أو الزملاء ودعمهم. وهذا لن يتأتى إلا بالتخطيط وتحديد الأهداف مع المعنيين بالأمر.

علاقتي بالوطن

لدي أكثر من ثلاثمئة فرد من أفراد عائلتي في جميع أنحاء البلاد وفي فرنسا الذين ما زلت على اتصال بهم، وقبل كل شيء مع أشقائي الثمانية الذين يعيشون في المغرب. يحتاج الكثيرون إلى مساعدتي أو نصيحتي، كما أني أنا أيضا أحتاج لخبراتهم. أشعر بارتباط وثيق مع مسقط رأسي فجيج. كما أتابع عن كثب تطلعات ومشاكل هذه الواحة الرائعة وأساعد في تطويرها حسب الفرص المتاحة. كما أنني أدعم المشاريع المحلية. أحب أن أسافر إلى فجيج في الخريف خلال موسم التمور، لأنني مولع بالتمر وخاصة " أزيزا". لكي أتمكن من تسويق هذه التمور، أود أن أرى تضاعف عدد النخيل من خلال مشروع ضخم. لكن هدفي أيضًا هو العمل مع مجموعتي المحترفة في المغرب. أقوم بإتاحة معرفتي للجيل الشاب من الأطباء كجزء من المشاريع السريرية في فجيج ومراكش. لأن المعرفة، مثل المال، يجب تداولها دائما لكي تكون مفيدة.

إمكانات التنمية في المغرب

يتمتع المغرب بإمكانيات إنمائية هائلة على جميع المستويات، على سبيل المثال، في المجال الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي. يمكن أن يكون الشباب ضمان هذا التطور. غير أن الشرط الأساسي الذي لا غنى عنه هو ضمان تعليم شامل وجيد، وخاصة في المناطق الريفية والجبلية و الصحراوية بالمغرب. توسيع البنية التحتية و تشجيع الفكر النقدي و الإبتكار في الأسر والمدارس جزء من عوامل النمو والنهضة. يجب أن تنخرط المرأة أكثر في تنمية البلاد. إذ لا يحق الاستغناء عن نصف الساكنة من النساء. إنه لمن دواعي السرور أن نلاحظ أن المغرب قطع أشواطا كبيرة في هذا الاتجاه خلال السنوات العشر الماضية. إن استراتيجية التصنيع طويلة المدى والتعاون الوثيق مع دول غرب إفريقيا هي آفاق تنموية واعدة.

الأسرة

أنا متزوج منذ عام 1981. كانت زوجتي يوتا مساعدة طبية تقنية وهي الآن أيضا متقاعدة. ابنتنا نادية كانت مُروّضة ومتزوجة . شكلت وفاتها الأليمة صدمة لنا، رحمة الله عليها، ماتت عن عمر يناهز 34 عامًا وتركت فينا غصة عميقة.

هواياتي

قراءة الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العالمية وكذلك التقارير الخاصة بالآثار. سبق لي أن كتبت قصائد شعرية باللغة العربية أو الفرنسية في مناسبات خاصة. التصوير الفوتوغرافي هواية أمارسها كثيرا كالفعاليات الثقافية (الموسيقى والمسرح والعروض الساخرة).

الأنشطة الجمعوية

شبكة الكفاءات المغربية الألمانية، شبكة أطباء مغاربة العالم، نادي روتاري (Club Rotary) وجمعيات ثقافية أخرى. لا زلت منخرطا في عدة جمعيات طبية مختصة ألمانية و أوروبية.

توصيات

- المُشترك يُقرر سوياً.
- التدخل في شؤون الغير يخلق الصراع.
- فرض تدبيرك على الغير ينتهك حريته.
- رفيقك في الحياة ليس ملكك.
- الحياة الخاصة مقدسة لا ينبغي المساس بها.
- هناك قيم أغلى من المال.
- التعليم هو رأس المال.
- الجودة و النشاط في العمل يضمنان النجاح.
- النزاهة و السماح يخففان من النزاع.
- التعاون على هدف مشترك يسرع الوصول إليه.
- الإحترام المتبادل من أعلى القيم.
- احترام اختلاف الفكر والثقافة فضيلة.
- الكلمات المؤذية تولد الكراهية.

تصوير: عبد الرحمن مشراوي ـ صورة جماعية للمشاركين في القافلة الطبية لأمراض القلب بفجيج 2015

جواز السفر

ليلى بكراوي

- من مواليد الرباط
- مهندسة في قطاع السيارات
- العيش في وئام مع الطبيعة

"بحث متواصل عن الجديد"

د. ليلى بكراوي هاجرت من المغرب إلى فرنسا ومنها إلى ألمانيا. هي واحدة من جيل الطلبة الذين جاؤوا إلى ألمانيا قصد الدراسة. من الداخل هم متنقلون دوليًا ومتعددو اللغات ومؤهلين تأهيلاً عالياً. بعد حصولها على باكالوريا فرنسية، هاجرت بحثا عن ذاتها فاستقر بها المطاف في أحد أهم واشهر شركات صناعة السيارات في العالم. غير أن طموحها لم يتوقف عند هذا الحد، بل انطلقت في رحلة بحث جديدة.

كان عمري سبعة عشرة عاما، عندما حصلت على الباكالوريا الفرنسية من ثانوية ديكارت بالرباط. بعدها تخصصت في مادتي الرياضيات والفيزياء، وهو ما فتح لي العديد من الأبواب في ذلك الوقت. كان بإمكاني البقاء في المغرب لمتابعة دراسة الطب أو الهندسة وأن أحظى بممارسة مهنة محترمة، تضمن لي مركزا اجتماعيا. غير أنني قررت الهجرة إلى فرنسا لمتابعة الدراسة الجامعية. كنت أرغب في الابتعاد ورؤية شيء من العالم البعيد. كان شعورا جيدا، أن أختار طريقي بنفسي، بدا في وقت لاحق وكأنه مجرد قرار مراهق للغاية. ودعت عائلتي ومحيطي الآمن وأصدقائي، تاركة جو الرفاهية الذي نشأت فيه وانطلقت نحو المغامرة.

فقط في المطار شعرت بحجم القرار الذي اتخذته، وصعوبة الانفصال، وهو شعور ظل يرافقني طيلة العشرين سنة المقبلة.

كانت حياتي في فرنسا مفيدة من حيث الخبرة، لكنها غير مثيرة. درست الأربع سنوات الأولى في مدينة كاين Caen، وحصلت على درجة الماجستير في الإلكترونيات والهندسة الكهربائية وتكنولوجيا الأتمتة. وبذلك، حققت آمال والداي، حيث درست وتخرجت في أسرع وقت ممكن. عشت في البداية بمنزل خالي وفوجئت أنني لم أكن مدللة بالشكل الذي اعتدت عليه في منزل أسرتي. طبعا فالأمر يتعلق بالعائلة، فانتقلت بسرعة للعيش في سكن مشترك، مكنني من خوض تجربة الحياة الطلابية بإيجابياتها وسلبياتها. قضيت عامي الخامس والأخير في فرنسا برين وبريست في منطقة بروتاني، حيث حصلت على دبلوم الدراسات المعمقة في الإشارات والاتصالات ومعالجة الصور والرادار. كان عمري 22 عامًا عندما أنهيت دراستي. بدا لي حينها أن الوقت لا يزال مبكرا للانتقال للحياة المهنية، لذا التحقت بمتابعة سنة تكميلية في الفيزياء وعلم الفلك لانطلق في البحث عن شيء جديد.

لا شيء بصم حياتي خلال الفترة التي قضيتها في فرنسا، سوى ألم الانفصال وعلاقاتي القوية بالمغرب الذي لم أستطع التخلص منه. كنت أتصل بوالدتي مرة واحدة في الأسبوع على أقصى تقدير. إذ لا

تصوير: ليلى بكراوي - حصاد الزيتون في المغرب بعد العودة

تصوير: ليلى بكراوي - حفل عائلي

وجود وقتها لا لسكايب ولا واتساب ولا فيسبوك. كما أن الرحلات الجوية كانت باهظة الثمن، ما جعل زياراتي للمغرب تقتصر على مرة واحدة في السنة فقط.

في بريست، تعرفت على زوجي المستقبلي في الحرم الجامعي الدولي لجامعة الاتصالات. وهو الذي ترجم لي إعلان وظيفة ألماني للترشح للحصول على بحث لدرجة الدكتوراه الذي عثر عليه والداه في إحدى الصحف الألمانية. كان ذلك بالنسبة لي أولى الخطوات نحو ألمانيا.

بعد وقت قصير من ذلك، بدأت مرحلة مفيدة للغاية في حياتي، من خلال مقعد كباحثة مساعدة في قسم هندسة الاتصالات بجامعة بادربورن. ألمانيا كانت بالنسبة لي ذلك البلد الذي عرفته من خلال دروس التاريخ فقط ولغتها لم تجذبني أبدًا حتى ذلك الحين. في الثلاثة أشهر الأولى، بدأت تعلم اللغة الألمانية، فيما كرست فترة ما بعد الظهر لأبحاثي العلمية. بالإضافة إلى ذلك، كان علي أن أتعلم فرز النفايات، وتنظيم المواعيد لفترة طويلة. كان لدي شعور بأنني أعمل فقط وفقًا لجدول أعمال، حتى في أوقات فراغي. فكيف يمكنني أن أحدد موعدا لتناول كعك وفنجان قهوة بعد أسبوع أو أسبوعين؟ وهل ستظل تلك الرغبة قائمة إلى أن يحين الموعد المقترح؟ لم يكن الأمر يتعلق بالمشاعر، بل بنوع من البراغماتية في التعامل.

لقد تعلمت الكثير على الصعيدين المهني والشخصي، وتعرفت على ثقافة كانت غريبة تمامًا عني، ولغة جديدة أيضا. تعلمت التنظيم والمنهجية، وتعلمت مراعاة البيئة واحترامها. توجت مسيرتي الأكاديمية بالحصول على درجة الهندسة والدكتوراه، وبذلك حققت مرة أخرى أمنية عائلتي في المغرب. كنت سعيدة أن هذه الأوقات انتهت، حتى أنطلق مرة أخرى في رحلة بحث جديدة.

لكن هذه المرة لم أكن مضطرة للبحث طويلا، إذ انتقلت بسرعة إلى ميونيخ، حيث كان زوجي يعمل وعُرضت علي وظيفة كمهندسة في شركة مرموقة لصنع السيارات. مرة أخرى وجدت نفسي أتعلم أشياء كثيرة. فعلا أشياء كثيرة مما يمكن أن يتعلمه المرء من شركة صناعية كبيرة. انغمست في عالم الهندسة الميكانيكية وتعلمت مصطلحات تقنية جديدة. وقبل كل هذا، تعلمت كيف أثبت نفسي وسط عالم يسيطر عليه الرجال. كما تعلمت عقلية النقد والقيادة والتسويق والشراء والتمويل. كانت فترة مهمة سجلت فيها براءات اختراع بإسمي أيضا. بالرغم من وضعي الاعتباري والمكانة الاجتماعية التي حققتها، لم أكن راضية ولم يكن هذا ما كنت أبحث عنه.

وسط كل هذه النجاحات، ظل الحنين لوطني بتقاليده كبيرا. فالشوق إلى عائلتي في المغرب لم يفارقني. كنت أغار من الناس الذين يمارسون عاداتهم. كنت أغبط البافاريين الذين كانوا يرتدون الأزياء التقليدية والدرندل. كما كنت أغبط الألمان المتدينين الذين يمارسون دينهم بشكل طبيعي. لذلك حاولت الانخراط على المستوى الاجتماعي للتغلب على مشاعر تعلقي القوي بالمغرب. لسوء الحظ، لم أحصل على ما كنت أبحث عنه. وفي الأثناء كنت قد أنجبت

بنتين، وأعمل بدوام كامل وأعتني بأختي التي كانت تعاني من مرض السرطان في المغرب.

شعرت بعدم الارتياح على الطريقة التي كنا نعيش بها. فنحن لم نكن نعيش، بل نحيا فقط. كسبنا ما يكفي من المال، حققنا ذواتنا وكان لنا وضع اعتباري في المجتمع، لكننا كنا نعمل فقط مثل آلة! أصبح العالم الذي يدور من حولي غريباً عني أكثر فأكثر.. شعرت أنه غير طبيعي!

العيش لأكثر من 20 عامًا في أوروبا، ترك في بصمة قوية. وفي وقت لاحق شعرت بامتنان عميق للطريق الذي سرت فيه، لأنه قادني إلى مسار لم يكن على البال، أوصلني إلى قناعة أن أترك هذا النظام الآلي والرجوع إلى الطبيعة للعيش بشكل طبيعي وصحي وفي وئام معها.

كان مرض أختي قد قادني إلى العلاج الطبيعي. وهو ما أتاح لي، وسط العمل وتربية الأطفال والنضال الاجتماعي، أن أتعرف على عالم جديد فبحثت عن علاج مناسب للمرض الذي كان يفتك بأختي. طريق قادني إلى اكتشاف الطب الصيني لأتعلم شيئا جديدا رفقة معلم رائع.

قبل عام ونصف، اتخذت قرارًا بمغادرة هذا النظام الآلي، وتمكنت من إقناع زوجي. لقد كان قرارًا صعبًا للغاية، واجهنا قدر هائل من الاعتراضات سواء من العائلة الألمانية أو المغربية، بالإضافة إلى عدم التفهم من الأصدقاء ومجموعة العمل. غير أننا شعرنا بطريقة ما أيضًا بالغيرة والإعجاب.

قررنا الهجرة إلى جنوب مراكش، عند سفح جبال الأطلس، على بعد 400 كيلومتر تقريبًا من مسقط رأسي. طفولتي وفترة شبابي لاحقا جعلتني أعشق البحر، ولكنني في بافاريا تعلمت عشق الجبال أيضا. لذا بدا لي أنه في المكان الجديد يمكننا مواصلة رحلتنا في مناخ جاف وصحي.

نحن نعيش الآن في الريف، لدينا حيوانات وأشجار زيتون وأعشاب وحدائق نباتية. يذهب أطفالنا إلى المدرسة الفرنسية في مراكش ويتأقلمون مع الثقافة الجديدة عليهم. إنه ليس ذلك المغرب الذي عشت فيه طفولتي، لكننا بدأنا نستمتع بحياتنا الجديدة. اكتشفنا الزراعة المستدامة كمفهوم للحياة ونسعى إلى جعل الصحراء خضراء من خلال مشروع نموذجي. لا نعرف حتى الآن كيف يمكننا كسب رزقنا هنا. غير أن الشيء الوحيد المؤكد هو أننا نريد أن نعيش بحرية واستقلالية. عندما أُسأل عما أفعله هنا؟ أجيب بأنني مزارعة وربما لم أشعر بعد أنني حققت ما أصبو إليه.

ربما تنتهي رحلة البحث هنا، أو لربما تستمر الرحلة ...

تصوير: ليلى بكراوي ـ داخل مختبر الجامعة

تصوير: ليلى بكراوي ـ حفل الحصول على الدكتوراه

جواز السفر

حسن ديهازي

- من مواليد الدار البيضاء
- باحث في علم الأحياء
- أستاذ جامعي
- جامعة غوتنغن

"عدم الاستسلام والاصرار على تحقيق الهدف"

البروفيسور حسن ديازي هو رئيس مجموعة البروتينات في قسم أمراض الكلى وأمراض الروماتيزم في المركز الطبي بجامعة جورج أغسطس غوتنغن. حصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من معهد كلية الطب في جامعة لايبزيغ. يشغل حاليًا منصب رئيس قسم البروتينات السريرية وأستاذ الطب الجامعي في غوتنغن. له العديد من الأبحاث العلمية.

مسقط الرأس، الطفولة والمدرسة

اسمي حسن ديهازي، ولدت بالدار البيضاء في ستينيات القرن الماضي. وهي مدينة "غول" تشهد تغييرا مستمر. مر على استقلال البلاد فترة طويلة، ومزاج المغرب في حراك متواصل. غير أنني ترعرعت في مدينة مراكش الحمراء، لؤلؤة الجنوب. لم يكن الانتقال من الدار البيضاء إلى مراكش صعبًا بالنسبة لي شخصيًا، نظرًا لأن والداي ينحدران من مراكش. كان الأمر شبيها بالعودة إلى مسقط رأس الآباء. بالرغم من أنني كنت صغيرًا جدًا، إلا أنني لاحظت الفرق الكبير بين المدينتين. مراكش مدينة غنية ثقافياً مع تقاليد راسخة وعريقة، فيما تُعد الدار البيضاء المدينة الكبيرة الجديدة التي تنمو وتتوسع باستمرار. فالحمراء تركت بصماتها علي، وفيها تلقيت تعليمي الابتدائي. لسوء الحظ، لا أستطيع أن أدعي أن لدي ذكريات جميلة عن هذه الفترة. فمدرسونا كانوا وقتها، يفضلون أسلوب التعذيب كمنهج للتدريس. ولا زلت أتذكر جيدا، القسم الخامس الذي كان يسمى "الشهادة". كان وقتها ما يعرف بالامتحان الوطني لاجتياز مستوى الشهادة. وكان صعبا للغاية. فمعدل النجاح كان مرتفعًا، بحيث أن أكثر من 40٪ من التلاميذ يفشلون في اجتيازه. أدركت منذ اللحظة الأولى أنه عليّ أن أعمل بجد لأكون من بين الناجحين، إذا كنت أرغب في تجاوز المدرسة الابتدائية. وهو ما تحقق لي، وكنت سعيدا بذلك. من ناحية أخرى، كانت فترة المدرسة الثانوية لطيفة للغاية بصمت حياتي فيما بعد بشكل كبير. خلال الفترة التي قضيتها في المدرسة الثانوية ، تعلمت أن المدرسة والتعلم يمكن أن يكونا ممتعين أيضًا. اكتشفت أنني أستطيع تحقيق أكثر بكثير مما منحنا إياه معلمو المدرسة الابتدائية. خلال سنوات دراستي الثانوية اكتشفت شغفي بالعلوم ، وخاصة الرياضيات وعلم الأحياء. وتوجت هذه الفترة بالحصول على باكالوريا في العلوم الطبيعة.

الدراسة في مراكش

بعد تخرجي من المدرسة الثانوية، التحقت بكلية العلوم الطبيعية في جامعة القاضي عياض في مراكش ، وتخصصت في علم الأحياء. كانت فترة مكثفة من حيث التحصيل العلمي، ولكنها ممتعة أيضا. خلال هذه المرحلة، اكتشفت شغفي بالبحث وتطوراته. كما تلقيت الكثير من المعارف عن مشاهير الباحثين وازددت إعجابا بهم. كنت

تصوير: حسن ديهازي ـ داخل المختبر

شغوفا على نحو خاص بعلم الوراثة والكيمياء الحيوية والبيولوجيا الجزيئية. إذ عرفت نهاية الثمانينات فترة التغيير الجذري في هذا المجال. وهو ما جعلني وأصدقائي، نتعلق بالبحث فيه. غير أن هذه الإمكانيات لم تكن متاحة في المغرب. في عام 1989 أنهيت دراساتي الجامعية في مراكش، لتنطلق رحلة البحث عن الذات، وأصبح سؤال ما العمل يلقي بثقله علي. أين وفي أي اتجاه يمكن لي أن أكمل طريقي؟ هل ينبغي أن أبقى في المغرب وأبحث عن وظيفة أم أن أحقق حلمي وأن أسافر خارج البلاد؟ كانت فرص البحث في المغرب محدودة ولم يكن لدي أي فرصة للحصول على درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية أو البيولوجيا الجزيئية.

السفر إلى ألمانيا والدراسة من جديد

بعد تفكير عميق ومداولات مع العائلة والأصدقاء، قررت السفر إلى ألمانيا. و في أكتوبر 1990 سافرت بهدف الحصول على الدكتوراه في الكيمياء الحيوية أو البيولوجيا الجزيئية.

وصلت إلى مدينة كيل بأقصى شمال ألمانيا، محطتي الأولى. قرار السفر إلى ألمانيا وليس لأي مكان آخر في أوروبا، على سبيل المثال فرنسا بسبب اللغة، جاء بناءً على الفرص والإمكانيات التي تتيحها ألمانيا لشخص مثلي. فبعد فترة التحصيل الدراسي في جامعة القاضي عياض بمراكش، صممت حقا على متابعة مساري في مجال البحث العلمي. ولتحقيق هذا الغرض، يهاجر معظم المغاربة إلى فرنسا. أما بالنسبة لي فبدت لي ألمانيا أنها الأكثر سخاء في هذا المجال. إذ أن البحث العلمي في ألمانيا متنوع ويقدم أكثر مما تتيحه فرنسا. كما أنني كنت أقدر ظروف العمل في هذا المجال بألمانيا واعتبرتها مثالية.

تميزت الأيام الأولى في ألمانيا بالحماس. قضيت السنة الأولى لتعلم اللغة الالمانية واجتياز دورة اللغة، أو ما كان وقتها يسمى باختبار اللغة الألمانية المؤهل للدراسة الجامعية (PNDS). بعد دورة اللغة، جاءت المفاجأة أو خيبة الأمل: فجامعة كيل لم تعترف سوى بجزء من دراستي الجامعية في المغرب. وهو ما تطلب مني، الالتحاق مرة أخرى بالجامعة لإكمال التحصيل الجامعي. كان الأمر صدمة بالنسبة لي. هاجرت وطني لتحقيق حلمي، والان يبدو أن ذلك صار بعيد المنال.

بالإضافة إلى ذلك، كان علي كما هي الحال مع العديد من الطلاب المغاربة الآخرين، العمل لتمويل دراستي. كانت هذه أيضًا تجربة متميزة، حيث كنت أعمل من الساعة 3 صباحًا حتى 7 صباحًا كل يوم، ثم أشق بعد ذلك، طريقي إلى قاعة المحاضرات. وهو العمل الليلي الذي زاولته طيلة فترة الدراسة. لأتمكن أخيرًا من الحصول على شهادتي في علم الأحياء من جامعة ألمانية وتمهيد الطريق لتحقيق حلمي.

تحقيق حلم الدكتوراه

بعد تخرجي من جامعة كيل عام 1997، ركزت تفكيري من أجل تحقيق هدفي. بدأت الترشيح لمناصب البحث في الدكتوراه

تصوير: حسن ديهازي ـ داخل المختبر

تصوير: حسن ديهازي ـ جائزة الرابطة الأمريكية للكيمياء السريرية

بالكيمياء الحيوية / البيولوجيا الجزيئية في جامعات متعددة. تلقيت ثلاثة عروض وقررت الالتحاق بجامعة لايبزيغ. فموضوع البحث هناك أثار اهتمامي: البيولوجيا الجزيئية والكيمياء الحيوية. قضيت وقتا جميلا للغاية في هذه المدينة الواقعة في شرق البلاد ما بين (1998-2002) ضمن مجموعة عمل لطيفة ورئيس رائع وجدي وخدوم وتحت إدارة مشرفة متفهمة جدا. انغمست داخل عالم البحث في البيولوجيا الجزيئية، كانت مرحلة غنية للغاية. في البداية كنت في وضع غير مريح مقارنة بزملائي الطلاب، لأن معظمهم درس الكيمياء الحيوية. غير أنني أثناء دراستي في المغرب وألمانيا، تعلمت أنه بالعمل الجاد والانضباط والطموح، يمكن تحقيق الكثير من الأمور. توجب علي اللحاق بالركب، وكذلك كان. كنت في المغرب دائما الأصغر سنًا في الفصل. ولكن في ألمانيا وبسبب عدم الاعتراف بكل ما حصلته في المغرب، أصبحت من بين الأكبر سنا بين الطلبة الذين يحضرون الدكتوراه. كانت فترة الأطروحة غنية تميزت بالعمل الجاد والكد وقضاء فترات طويلة في المختبر. غير أنني كنت مستمتعا للغاية، لأنني شعرت أنني أقوم بالبحث العلمي. تمكنت أخيرًا من الحصول على درجة الدكتوراه في مجال علم الأحياء الجزيئية بكلية الكيمياء الحيوية. خلال فترة تحضير الدكتوراه، أصبح الاتجاه الذي أرغب في الاستمرار فيه، أكثر وضوحًا بالنسبة لي: إذ أردت أن أبقى في مجال البحث العلمي وألا أنخرط في المجال الصناعي. و قبل كل شيء ، كنت أرغب في الاستمرار في البحث العلمي في المجال الطبي واستخدام ما تعلمته هناك وتطويره بشكل أكبر.

الأستاذية

بعد الانتهاء من الدكتوراه في لايبزيغ ، أمضيت عامًا آخر كباحث ما بعد الدكتوراه في نفس المعهد. خلال هذا الوقت تقدمت خصيصًا لشغل وظائف في مجال البحث الطبي. وفي عام 2003 حصلت على منصب مدير مختبر في جامعة الطب بغوتنغن بشمال ألمانيا. تتمتع غوتنغن بسمعة طيبة للغاية في مجال البحث وتعتبر جامعة غوتنغن واحدة من أفضل الجامعات في ألمانيا في هذا المجال. هذا وفر لي الظروف المثلى للتطور والاستمرار في طريقي. ولكن بسبب أنني كنت نسبيا متقدما في السن، قررت قدر الإمكان، العمل بجد إلى أن أحصل على درجة الأستاذية وتعويض ما فاتني في البحث العلمي. أنشأت مجموعة عمل وانخرطت بشكل كبير في التدريس والبحث. وفي عام 2007 قدمت أوراق اعتمادي وأكملت تأهيلي في ألفين وثمانية. لأحصل على درجة الاستاذية في عام 2011.

اليوم

ما زلت أمارس عملي في غوتنغن بمجال التدريس والبحث العلمي، وأنا مستمتع حقا بالقدرة على عيش هذا الحلم. في ألمانيا حققت حلمي المهني، هناك أشياء كثيرة تستحق التقدير في ألمانيا. هنا كل شخص لديه الفرصة لتحقيق ذاته. وأولئك الذين يعملون بجد ويريدون تحقيق ذواتهم، سينجحون في ذلك مقارنة بالعديد من البلدان الأوروبية الأخرى. شعاري في الحياة هو: لا تستسلم أبدًا، ضع الهدف دائمًا صوب عينيك، ثق في نفسك وفي أحلامك.

جواز السفر

صرية موقيت

- من مواليد القنيطرة
- في ألمانيا منذ 1990
- دكتوراه في السوسيولوجيا

"أناضل ضد كل أشكال التمييز."

صرية موقيت، حاصلة على شهادة دكتوراه في علم الاجتماع. وهي أول مغربية تفوز بجائزة الأكاديمية الألمانية للتبادل الجامعي. كما أنها كرست نضالها في الحركة الطلابية بمدينة تريز لصالح الطلبة الأجانب إلى جانب عملها الجمعوي في المركز الدولي الجامعي والمجلس الاستشاري لمدينة تريز. تناولت في أطروحتها الديمقراطية والمساواة بين الجنسين والمشاركة السياسية للمرأة المغربية. تعد عضوا مؤسسا لشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا وهي الآن رئيستها الشرفية. تعمل الآن كأمينة عامة في منظمة داميغرا الحقوقية. وتوجت في 2016 بوسام الاستحقاق الألماني وشحها به الرئيس الألماني آنذاك يوآخيم غاوك بمناسبة اليوم العالمي للمرأة.

عزيزتي السيدة موقيت، هاجرتِ إلى ألمانيا ودرستِ وعملتِ هنا وتعيشين الآن في برلين. حدثينا في البداية من فضلك عن حياتك في المغرب قبل هجرتك إلى ألمانيا.

صرية موقيت: ولدت في القنيطرة بالمغرب ولدي ثلاثة أشقاء: أخت وشقيقان. كان والدي يعمل في وزارة الداخلية المغربية وكانت والدتي ممرضة. أنا أكبر إخوتي وطفولتي كانت سعيدة. أولى والداي أهمية كبيرة لتعليمنا، لذا كنت أصر بعد الحصول على الباكالوريا على دراسة الطب. لم تجر الأمور في المغرب كما كنت أتمنى، لذلك بحثت عن فرص في الخارج. وفي ألمانيا كان ذلك ممكنًا في البداية بالحصول على مقعد لدراسة علم الأحياء. فالحصول على مقعد في كلية الطب مباشرة من المغرب في أي جامعة ألمانية شبه مستحيل. وهكذا هاجرت إلى ألمانيا من أجل الدراسة.

قلت للتو إنك أتيت إلى ألمانيا من أجل الدراسة. كيف جاء ذلك؟

صرية موقيت: في السنوات الثلاث الأخيرة التي سبقت الباكالوريا، كنت قد اخترت شعبة العلوم الطبيعية، وكانت مادة علم الأحياء مصدر سعادتي. لذا كانت أمنيتي الكبيرة دراسة الطب، وكانت هذه رغبة والدي أيضا. وهكذا أردت تحقيق رغبتي ورغبته أيضا. عندما حصلت على قبولي الجامعي من جامعة دارمشتات، قررت الالتحاق بدورة اللغة في ألمانيا. ففي التسعينيات، عندما أتيت إلى ألمانيا، كان من الممكن للطلاب الأجانب الالتحاق بدورة اللغة في ألمانيا، بخلاف اليوم، حيث يشترط انهاء هذه الدورة في المغرب. كان الأمر أسهل مما هو عليه الآن. بناءً على ذلك، كانت محطتي الأولى في ألمانيا دورة لغة مدتها ستة أشهر في مدينة فرانكفورت. بسبب ضغوط الإقامة من طرف سلطات الهجرة، كان من المهم جدًا العثور على مقعد للدراسة بعد دورة اللغة. وهكذا حصلت على مقعد في جامعة تريز. غير أن ذلك يتطلب مني الالتحاق بما يسمى بالسنة التحضيرية في مدينة ماينتس عاصمة ولاية راينالد بفالس التي تتواجد بها مدينة تريز، بعد اجتياز الامتحان المخصص لذلك. وهي دورة مخصصة للطلبة الأجانب في ألمانيا، لأن شهادة الباكالوريا المغربية لم تكن تخول لصاحبها الالتحاق بأي جامعة ألمانية إلا بعد اجتياز سنة تحضيرية. بعد الانتهاء من السنة التحضيرية، أردت التقدم للحصول على مقعد في كلية الطب، فاكتشفت أن دورة W التي شاركت فيها لا تخول لي الالتحاق بكلية الطب أصلا. كانت

تصوير: صرية موقيت - بورتريه

تصوير: صرية موقيت ـ برفقة والدتها

صدمتي كبيرة، فسبب استشارة خاطئة، ضيعت سنة كاملة في دورة تخول لي الالتحاق بكليات العلوم الانسانية بدلا من كلية الطب التي تشترط اجتياز دورة تحمل إسم M . وهو ما يتطلب مني أن أعيد السنة التحضيرية، إذا ما أردت تحقيق رغبتي. شعرت بانهيار أحلامي، وزاد من حيرتي عندما تم اخباري أن إعادة السنة واجتياز هذه الدورة بنجاح لا يخول لي الالتحاق بكلية الطب بشكل مباشر. إذ لابد من اجتياز امتحان آخر يسمى في ألمانيا Numerus Clausus وهو امتحان موحد في ألمانيا يحدد عدد الطلبة الذين يقبلون في كليات الطب وكليات أخرى. بل ينبغي تسجيل إسمي في قائمة انتظار على الصعيد الوطني للحصول على مقعد في كلية الطب في ألمانيا بحسب المقاعد الشاغرة. وهو ما قد يحدث بسرعة أو يطول لسنتين أو ثلاث سنوات. كانت أوقاتا صعبة. بالرغم من أن لي عمة في فرانكفورت، فإن بعدي عن أسرتي ووالداي وثقافة جديدة، ولغة جديدة، كل ذلك كان جديدًا بالنسبة لي. كان ذلك كله سيهون أمام حصولي على مقعد للدارسة في كلية الطب وتحمل هذا الحنين الفياض تجاه الأسرة والوطن. لذا كنت حريصة على إنهاء الدراسة بسرعة والعودة إلى المغرب، لكن الصدمة كانت قوية بسبب عدم حصولي على مقعد للدارسة في كلية الطب. انهار العالم من حولي وعشت حالة تمزق مستمرة. فأنت هنا الآن، أتيت إلى ألمانيا، إما أن تخرجي بشيء من هذا أو تضعي حدا لكل شيء وتعودين إلى المغرب. في بعض الأحيان وفي لحظات كانت فيها العواطف جياشة، كانت أفكار العودة إلى المغرب تتلاعب بعقلي. لقد جئت إلى ألمانيا لتحقيق حلمي، لكن الأمر الآن لم يعد ممكنًا أو صعبًا للغاية. في تلك اللحظات كان تدخل أمي حاسما. كانت مكافحة وتحفزني دائما. لقد صممت حياتها بطريقة جعلها تحصل على أفضل النتائج من ظروف حياتها. فكانت نصيحتها: "نعم ، حاولي أن تدرسي شيئًا آخر يحقق لك المتعة ويكون قريبا من حلمك. أنت هناك الآن ، أتممت عامًا في السنة التحضيرية ، ثم ستة أشهر من دورة اللغة. وهذا في المجموع سنتين تقريبا. لا ينبغي أن ترمي كل شيء وراء ظهرك". كانت تُظهر لي دائما أولى الخطوات التي تفتح لي الطريق. " احصلي على شهادة استكمال السنتين الأولين، وبعدها يمكن لك العودة إلى المغرب لاستكمال دراستك". وهكذا اخترت علم الاجتماع كبديل للطب. أثار علم الاجتماع اهتمامي لأنه كان من المهم دائمًا بالنسبة لي دراسة شيء يمكنني من خلاله أن أفهم الطواهر المجتمعية. وقلت مع نفسي ربما يناسبني علم الاجتماع أيضا. كانت أفكاري أيضا تحوم حول علم النفس، لأنني اعتقدت أنه في يوم من الأيام يمكنني العودة إلى الطب من خلال علم النفس، ولكن بعد ذلك قررت دراسة علم الاجتماع. والآن لم أندم على هذا القرار أبدا. لقد كانت أوقات جيدة وممتعة في جامعة ترير.

قلت إن الأوقات الأولى لم تكن سهلة بالنسبة لك، بسبب

تصوير: صرية موقيت ـ والدة صورية خلال زيارة لها 1994

الحنين إلى الوطن وإلى وأسرتك والعائلة. كيف حدث أنك بقيت هنا في ألمانيا وما هي التجارب التي مررت بها بشكل عام مع الهجرة إلى ألمانيا؟

صرية موقيت: قرار بقائي في ألمانيا كان بفضل والدتي أيضًا ، لأنها استمرت في دعمي. بالإضافة إلى ذلك، كانت التجارب التي خضتها في ألمانيا وما زالت إيجابية للغاية. سواء كان ذلك في فرانكفورت، حيث أكملت دورة اللغة، أو في ماينتس، أو لاحقًا في تريير، وزاربروكن أو الآن في برلين. في فرانكفورت وعلى الرغم من الحنين إلى الوطن ، قضيت وقتًا رائعًا بفضل مُدَرسة اللغة التي كانت منفتحة ومتمكنة للغاية. لم تعلمنا اللغة فحسب، بل أثرت أيضًا بشكل كبير في معرفتنا بالبلد والثقافة والناس الذين يعيشون في ألمانيا. في وقت لاحق بالسنة التحضيرية في ماينتس، كنت الطالبة الوحيدة من المغرب. فبقية الطلاب المغاربة كانوا كلهم ذكورا، وكان تواصلي معهم شبه منقطع وكانوا يعتقدون أن أصولي من أمريكا اللاتينية أو إيران، بسبب علاقة الزمالة القوية التي كانت تربطني بفتاة إيرانية وأخرى برازيلية. هنا لا بد أن أفتح قوسا لأشير أن الطلبة المغاربة كان جلهم في دورة T التي تخول الدراسة في شعب الهندسة والتقنية، بخلاف دورة W التي تفتح الباب نحو العلوم الإنسانية والقانونية والاقتصادية. لذا كان عدد المغاربة في هذه الدورة ضعيف للغاية إن لم نقل منعدما. وهو الأمر نفسه في دورة M الذي يخول الدراسة في كليات الطب، حيث يكاد ينعدم فيه التواجد المغربي. ظل أمر أصلي مخفيا على جل الطلبة إلى أن زارني أبي، ودخل في حديث مع بعض الطلاب المغاربة، ليدركوا وقتها أنني أيضا مغربية. بعد ذلك حاولوا ربط الاتصال بي، لكنني رفضت بطريقة ما، بسبب العقلية الذكورية وبعض التجارب السلبية التي كنت أسمعها من شابات مغربية أخريات. كنت أقول مع نفسي، إنني هنا من أجل هدف واحد هو الدراسة وأنهاء ما أنا بصدده بأقصى سرعة ممكنة. عندما ذهبت إلى مدينة تريير لدراسة علم الاجتماع ، عشت لدى أسرة ألمانية التي أجرت لي غرفة. كان هذا المنزل خارج مركز المدينة بحوالي عشرة إلى خمسة عشر كيلومترًا. هناك لدي أيضًا ذكريات جميلة للغاية، خاصةً عندما علم الجيران، على سبيل المثال، أنني مسلمة. امرأة مسلمة بمفردها في ألمانيا. كان ذلك دائما مصحوبا بالدهشة إلى جانب الإعجاب لكوني امرة جاءت بمفردها إلى ألمانيا ووالديها سمحا لها بذلك. فمعظم الألمان، كما أدركت فيما بعد، كانت لديهم صورة نمطية مختلفة حول "النساء الشرقيات".

بعد عام حصلت على غرفة في الحي الجامعي. غرفة مستقلة تضم حماما ومطبخا. هناك أيضًا، كانت علاقتي مع زملائي الطلاب الألمان مرتبطة بالدراسة. وقد كنت متساوية معهم في إيقاعهم الدراسي، فيما يخص نظام الدراسة أو الامتحانات. وهو ما كان يثير استغراب زملائي من أصول مهاجرة. إذ كان أغلبهم يسخر من إصراري على مواكبة إيقاع الطلبة الألمان في الدراسة، على اعتبار أن مشاكلنا مع اللغة كبيرة، وبالتالي علينا التركيز أولا على اللغة. كان استغرابهم أكبر عندما سجلت نفسي للتقدم إلى الامتحانات بعد ستة أشهر. وهو ما كنت أرد عليه بأنني سأدخل هذا التحدي، وسأبحث عن الدعم إذا كان ذلك ضروريا. وكذلك كان. إذ اجتزت امتحاناتي تماما مثل زملائي الطلاب الألمان. من ناحية أخرى ، يجب أن أقول ، بالطبع ، إني قضيت بالفعل كل وقتي تقريبًا في المحاضرات وفي المكتبة. ومع الطلاب الآخرين من دول مختلفة مثل المنطقة العربية أو أوروبا أو اليونان أو إيطاليا وأيضًا من تركيا، كنت أقضي معهم أوقات الفراغ، سواء كان ذلك أثناء العطل أو في عطلة نهاية الأسبوع ، كنا نزجي أوقاتنا أو نحتفل معا.

بالإضافة إلى دراستي ، كنت ناشطة في الحركة الطلابية، حيث تقدمت بالترشيح إلى لجنة تسيير شؤون الطلبة الأجانب، وحصلت على منصب نائب رئيس لجنة الطلبة الأجانب في البرلمان الطلابي بجامعة تريير. وبعد عام، تم انتخابي رئيسة اللجنة. كان ذلك بمثابة تحدٍ لي، لأنه كان حضور الرجال قويا، وكانت مشاركة النساء ضعيفة. ومع ذلك، تمكنت من تأكيد نفسي وتم انتخابي بالفعل.

تصوير: صرية موقيت ـ تحفل تسليم شهادة الديبلوم في السوسيولوجيا

لقد كانت أيضًا تجربة إيجابية بالنسبة لي ونجاحًا كبيرًا. حرصت في هذه الفترة على تقديم خدمات ملموسة للطلبة الأجانب، فيما يخص السكن وتسهيل ولوجهم للجامعة. وكنت حريصة على تقديم استشارة فعالة للطلبة حتى لا يتكرر معهم ما حدث لي. وتمكّنا من إحداث خدمة الاستشارة القانونية للطلبة الأجانب، تُوجت الآن بإحداث الرابطة الألمانية للطلبة الأجانب بقيادة الصديق يوهانس غليمبك الذي كان يشرف على الاستشارة القانونية في جامعة تريير. لابد من الإشارة هنا أيضًا، إلى أنني كنت المرأة الوحيدة المنحدرة من المنطقة العربية الإسلامية في هذه الجامعة. كان هناك أيضًا طلاب أتراك يدرسون في الجامعة، غير أنهم ولدوا في ألمانيا أو ترعرعوا فيها. لكن لم يكن هناك أي شخص آخر جاء بالفعل من الخارج إلى ألمانيا للدراسة في جامعة تريير. كنت الوحيدة بهذه الخلفية العربية المسلمة. وهو ما جلب لي أيضا انتقاد بعض الرجال العرب الذين تساءلوا كيف لامرأة مسلمة أن تأتي بمفردها إلى ألمانيا. هذا لم يكن ممكنا في نظرهم. لكن هذا لم يكن يثير اهتمامي: كان هدفي الرئيسي آنذاك هو إنهاء دراستي والعودة مباشرة إلى المغرب بشهادتي، لأنني حتى ذلك الوقت كنت أرغب دائمًا في العودة إلى المغرب.

لهذا السبب ، اخترت في دراستي التركيز على "العلاقات الدولية والبلدان النامية" أو "التعاون الإنمائي" لأنني اعتقدت أنه في هذا الاتجاه يمكنني بناء جسور بين ألمانيا والمغرب. لم أكن ناشطة في الحركة الطلابية وحدها، بل بسبب الأحداث العنصرية التي وقعت في التسعينيات – أثناء بداية دراستي - أسسنا المركز متعدد الثقافات في جامعة تريير ثم المركز الدولي لاحقًا. إن أهداف المؤسستين حتى يومنا هذا هي تعزيز التبادل الثقافي وخلق الانفتاح والتوعية. تجربة أخرى لطيفة وجيدة للغاية وهي أنني نظمت مظاهرة كبيرة ضد التمييز. قمت بتعبئة كبيرة في الجامعة، انطلقت من الجامعة وصولا إلى مركز المدينة. وهي التظاهرة التي انضم إليها عدد من سكان تريير أيضًا. مر كل شيء بسلاسة وسجلت التظاهرة مشاركة كبيرة للطلاب. كانت تلك تجارب جيدة للغاية، أتذكرها بفخر خاصة مع الأشخاص الذين شاركوني هذه التجارب.

كما كانت لدي علاقة جيدة مع الأساتذة. نظرًا لأن جامعة تريير ليست كبيرة، وهو ما كان يتيح التواصل المباشر. وبالطبع كان الزملاء الطلاب منفتحين للغاية ومتعاونين. ففي البرلمان الطلابي، أتيحت لي الفرصة للتطور السياسي وتنظيم الفعاليات والندوات أو الموائد المستديرة. وهو ما ساعدني في فترة لاحقة إلى الذهاب خطوة أخرى إلى الأمام وترشحت لعضوية المجلس الاستشاري للأجانب على مستوى مدينة تريير. في ذلك الوقت كانت هناك قوائم مختلفة وكل قائمة مدعومة من قبل حزب سياسي. كانت هناك قائمة مدعومة من طرف الحزب المسيحي الديموقراطي، وقائمة مدعومة من الحزب الاشتراكي، وقائمة ثالثة سميت بالقائمة الدولية أيدها حزب الخضر. وقد ترشحت ضمن قوائمها في المركز الأول. تم انتخاب ثلاثة أشخاص من القائمة وهكذا حصلت على عضوية هذا المجلس الذي أعطانا فرصة للاطلاع على عمل المجلس البلدي للمدينة والتأثير في قضاياه إلى حد ما، بالرغم من وظيفة مجلسنا التي لا تعدو أن تكون سوى استشارية. كما ذكرت سابقًا ، فإن مدينة تريير ليست كبيرة، حيث كان يبلغ عدد سكانها في ذلك الوقت حوالي 100.000

تصوير: صرية موقيت ـ أول ندف الثلج

تصوير: صرية موقيت ـ مدرسة تعلم اللغة في فرانكفورت

نسمة. وهو ما أتاح لنا فرصة للظهور والتعبير عن مشاغلنا.

بسبب نشاطي الطلابي ونشاطي في المركز الدولي، وطبعا بسبب تفوقي الدراسي وإنهاء دراستي في وقتها المحدد، تم تتويجي بجائزة خدمة التبادل الأكاديمي في عام 1998. كنت في الواقع أول مغربي يحصل على جائزة DAAD حتى ذلك اليوم في ألمانيا. وكان ذلك طبعا شرفاً عظيماً لي. وقد أشادت بذلك أثناء الاحتفالية التي نظمتها المنظمة على شرف الفائزين، نائب رئيس جامعة تريير آنذاك ، البروفيسور د. هيلغا شنابل-شول. كانت تلك أوقاتًا أخرى جميلة أتذكرها باعتزاز.

دعينا الآن نلقي نظرة على نشاطاتك الاجتماعية. أنت عضو مؤسس لشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا، وحصلت أيضًا على وسام الاستحقاق من طرف الرئيس الألماني في عام 2016. كيف وأين بدأ هذا النشاط المجتمعي؟

صرية موقيت: بدأ في الأساس في مرحلة الدراسة الجامعية خطوة خطوة، والتي حكيت عنها سابقا. رفقة البرلمان الطلابي والمركز الدولي ومركز الثقافات المتعددة والمجلس الاستشاري للأجانب في تريير. وطبعا كانت العدالة دائمًا قضية محورية بالنسبة لي، حتى عندما كنت لا أزال في المغرب. ففي الجامعة الألمانية أدركت بعد ذلك أن الطلاب الأجانب لا يُعاملون بالطريقة نفسها التي يُعامل بها الطلاب الذين ليس لديهم أصول مهاجرة. كان هذا أحد أسباب رغبتي في النضال. سعيت للقيام بشيء حيال هذا التمييز. بعد دراستي أردت بالفعل العودة إلى المغرب. لكن كانت هناك مرة أخرى عقبات لم أكن أتوقعها. إذ قيل لي في المغرب: "حسنًا ، لقد درست بالفعل، وحصلت على درجة جيدة جدًا، لكن علينا أولاً أن نرى ما إذا كانت شهادتك معترفا بها هنا في المغرب وما إذا كان يمكنك العمل بهذه الدرجة."

ثم قيل لي إن هذا الدبلوم الذي في حوزتي "لن يتم الاعتراف به ويتعين علي إجراء بعض الامتحانات". تحدثت إلى البروفيسور كسوس، أستاذ علم الاجتماع بجامعة الرباط ، وأوصاني بأن أحصل على الدكتوراه لأن درجة الدكتوراه معترف بها دوليًا. لذلك قررت أن أحصل على درجة الدكتوراه في ألمانيا. وعند اختيار الموضوع ، بحثت عن جسر نحو المغرب وقررت أخيرًا الاشتغال على موضوع "المشاركة السياسية للمرأة المغربية". كان السبب الحاسم لذلك بالنسبة لي هو أن المرأة محرومة في مناطق معينة في المغرب من المشاركة السياسية ، على الرغم من أن القانون ينص على خلاف ذلك. فإذا نظرت إلى مؤسسات معينة أو هيئات إدارية معينة ، سترى أن تمثيل المرأة منخفض للغاية. مثال آخر هو دور المرأة ومشاركتها في استقلال المغرب. إذ لم يتم ذكر النساء على الإطلاق ولم يتم التطرق لمشاركتهن في هذه المعركة المهمة من تاريخ البلاد. كان من المهم بالنسبة لي استكشاف ذلك وعرض منظور المرأة ودورها.

لكن بالعودة إلى سؤالك: ففي شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا ، كنا أشخاصًا بخلفيات مختلفة نشيطة في مجالات متعددة لصالح المغرب. أغلبنا جاء إلى ألمانيا في تسعينيات القرن الماضي للدراسة والعودة إلى المغرب. ولأسباب مختلفة بقي الكثير منا في ألمانيا وكانت لنا رغبة مشتركة في عدم فقدان هذا الاتصال مع المغرب وفي الوقت نفسه القيام بشيء من أجل المغرب وألمانيا. وهكذا قررنا تجميع جهودنا وأفكارنا في عام 2007 وعقدنا العزم على تأسيس شبكة للكفاءات المغربية في ألمانيا. فهذه الآلية ستتيح لنا إمكانية الوصول إلى تنفيذ مشاريع ذات نفع عام ممولة بأموال عمومية. وبدعم من جهات مختلفة تمكنا أخيرًا من عقد جمع عام في برلين وتأسيس الشبكة في مارس 2009.

وقتها انتخبت نائبا للرئيس. وفي الوقت نفسه، أدرجنا في القانون الأساسي أن نضالنا ونشاطنا لن يقتصر على المغرب فقط، بل سيسعى لتعزيز التعاون بين ألمانيا والمغرب، وبمشاريع هنا في ألمانيا بهدف دعم جاليتنا هنا وكل من له علاقة بالمغرب. وتمكينهم من المشاركة وإبراز دورهم في المجتمع. كنت عضوة في مكتب الشبكة كنائب للرئيس من ألفين وتسعة إلى ألفين وإحدى عشرة وكرئيسة من

تصوير: صرية موقيت ـ تظاهرة ضد التمييز 1993

ألفين وإحدى عشرة إلى ألفين وأربعة عشرة. وعن طريق ذلك، أنجزنا العديد من المشاريع، سواء في ألمانيا أو في المغرب، وقمت بتنظيم فعاليات وأنشطة من بينها فعاليات "50 عامًا من الهجرة المغربية في سنة 2013 ". ولإنجاز هذه المشاريع، تلقينا دعما من المؤسسات الألمانية أيضا. وراسلنا المستشارة ووزراء اتحاديين، وما إلى ذلك، على أمل المشاركة في الاحتفالية الافتتاحية. وبهذه الطريقة أصبحت الشبكة مرئية وحاضرة أيضًا على المستوى الألماني. منذ ذلك الحين أصبحت لنا تمثيلية في عدد من اللجان على المستوى الاتحادي: كقمة الاندماج أو في المؤتمرات الاتحادية حول قضايا الهجرة.

وحظيت احتفالية "50 عاما من الهجرة المغربية في ألمانيا" بالرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس. وتميزت بحضور شخصيات سياسية وازنة من بينها البروفيسور نوبيرت لامرت، رئيس البوندستاغ آنذاك ، والبروفيسورة ريتا زيسموت، وشاركا بكلمة مهمة. وكان حضورهما وكلمتهما تكريما للهجرة المغربية. هذا بالإضافة إلى مشاركة ممثل المستشارة لشؤون إفريقيا . كما حضر وزير الهجرة المغربي والسفير المغربي في برلين وممثلو هيئات كثيرة من المغرب أيضا. فإلى جانب الدعم المادي واللوجيستيكي الذي قدمته لنا المؤسسات الألمانية، ساندتنا أيضا عدة مؤسسات مغربية كوزارة الهجرة ومجلس الجالية المغربية في الخارج ومؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين في الخارج. وبهذا صنعنا اسمًا لأنفسنا في المغرب وألمانيا. أنجزنا مشاريع كبيرة مع وزارة التربية والتعليم في ألمانيا ، من خلال مؤسسة أوتو بينيديكت في ألمانيا. كان الهدف منها تعزيز

تصوير: صرية موقيت ـ رفقة والدها في زيارة له لبرلين

تصوير: صرية موقيت ـ حفل تسليم جائزة الأكاديمية الألمانية للتبادل الثقافي

مهارات أولياء الأمور من أصول مغربية في ألمانيا في علاقتها مع نظام التعليم. بالإضافة إلى هذه الأنشطة على المستوى الألماني، عملت كثيرا في إطار الحوار بين الأديان وبين الثقافات من أجل تعزيز مشاركة المهاجرين، ليس فقط المهاجرين المغاربة ، ولكن جميع الأجناس في ولاية زارلاند. وقد جعلني هذا على اتصال برئيسة وزراء الولاية آنذاك السيدة أنغريت كرامب كارينباور. وهي التي اقترحتني كممثلة لزارلاند لوسام الاستحقاق الذي تسلمته في 8 مارس 2016 في برلين من الرئيس الألماني يوآخيم غاوك ضمن أربعة عشرة سيدة يمثلن مختلف الولايات الألمانية. أستطيع أن أقول بكل فخر إنني المرأة الوحيدة التي تم تتويجها من ولاية زارلاند بهذا الوسام. وهذا ما كتبته عني وقتها صحيفة "زاربروكر تسايتونغ". كان شرفاً عظيماً لي ، كمهاجرة أن أحظى بهذا التتويج الكبير كممثلة لولايتي السابقة وطبعا هذا تتويج لعملي ونضالي سواء داخل الجامعة أو داخل شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا وغيرها من الجمعيات.

إنها أحداث كثيرة مثيرة للاهتمام. ما الذي تودين تحقيقه في المستقبل من خلال نضالك هذا؟

صرية موقيت: من المهم بالنسبة لي أن يكون الناس محور المجتمع وأن لا نحكم على الناس على أساس دينهم أو ثقافتهم. بدلاً من ذلك، من المهم بالنسبة لي أن يُنظر إلى الناس كأفراد لا تُنتهك حقوقهم، سواء كانت امرأة أو رجلاً أو شخصًا متدينًا أم لا. قد يقول أحد أن هذا ليس ممكنًا بنسبة مئة بالمئة، فسأقول لهم إن هذا هو

التزامي وهو نضالي بأن لا يتم التمييز بين الأشخاص بسبب جنسهم أو لون بشرتهم أو دينهم أو إعاقتهم الجسدية. فالناس أحرار في طريقة عيشهم ولا ينبغي فرض الوصاية عليهم. هذا يكتسي أهمية كبيرة بالنسبة لي.

أنا أناضل كي يتمكن الناس من تقرير مصير حياتهم واختيار لنمط عيشهم كما يريدون، وألا يعوقهم في سبيل تحقيق ذلك أي شيء. لا أطيق سماع، على سبيل المثال، أن الأشخاص الذين ينحدرون من أوساط أو بلدان معينة أو لأن لديهم أصول مهاجرة، فإن فرصهم التعليمية أقل وأن لا مستقبل لهم. لهذا السبب أقول: يجب أن يتحرك شيء ما ، يجب أن يتغير شيء ما حتى تتاح للناس فرص التعليم لكي يتمكنوا من تغيير حياتهم بشكل مستقل. الحق في التعليم هو أيضًا حق من حقوق الإنسان وحماية جميع حقوق الإنسان هي دائمًا محور تركيزي.

قلت مرارًا وتكرارًا إنك تدافعين عن حقوق المرأة وحقوق الإنسان وتحاولين بناء جسور بين ألمانيا باعتبارها بلد الاستقبال والمغرب بلد الأصل، حيث توجد جذورك. كيف يمكنك الجمع بين هاتين الثقافتين المختلفين والمواقف المتنوعة؟

صرية موقيت: أنا دائمًا أقول: "إن الإنسان مثل قطعة صورة مجزأة " Puzzle " وهذه الأجزاء المختلفة تشكل الشخص، أي التجربة والسيرة الذاتية التي يمتلكها هذا الشخص". فالتنشئة الاجتماعية والاختلاف ليسا عائقًا بالنسبة لي ولكنهما إثراء. هناك أشياء جميلة جدًا في الثقافة المغربية و في الثقافة الألمانية أيضا، وهي مرنة للغاية وليست ثابتة. ثم هناك دائمًا عبارة: "لا تستطيع المرأة المسلمة، أن تفعل هذا أو ذاك". وأقول: "لا ، أنا مسلمة وأنا مؤمنة، لكن في الوقت نفسه لا أرى أن ذلك قد منعني بطريقة ما من إدراك نفسي أو القيام بأشياء معينة ". لهذا السبب أحاول تحقيق أقصى استفادة من كل هذه الاختلافات، بحيث يدفعني هذا التنوع الذي أحمله في سريرتي وحياتي وطريقة تفكيري، إن جاز التعبير، إلى الأمام لا أن يحدني. بالنسبة لي هذه ليست حواجز بل محفزات تجعل الانسان مختلفا من حيث مصيره والسؤال هو كيف نستفيد من كل هذا الاختلاف.

أرى نفسي ناشطة في مجال حقوق الإنسان وفاعلة مجتمعية مسلمة ونسوية أيضًا. يقول البعض نسوية ومسلمة هذا تناقض في حد ذاته. مرة أخرى أقول لا، ليس هناك أي تناقض. ولكن هذا ممكن إذا أراد الشخص ذلك، لكن هذا ليس بالأمر السهل. أريد أن ترى النساء الأخريات الأمر بالطريقة نفسها ومن ثم يكون بمقدورهن السير في دربهن بطريقتهن الخاصة. أشعر دائمًا بهذا التنوع، سواء كان ثقافيًا أو لغويًا، باعتباره عنصرا إيجابيًا ومُثريًا. كنت أعمل في السابق بمجال تداخل الثقافات وكانت ثنائية اللغة أو حتى ثلاثيتها، موضوعًا مثيرًا للجدل. لأنه في ذلك الوقت قيل في ألمانيا إنه يجب على الآباء التحدث باللغة الألمانية فقط مع أطفالهم. وقتها، كنت أنظم في

تصوير: صرية موقيت ـ رفقة والده

تصوير: صرية موقيت ـ احتفالية 50 على الهجرة المغربية في ألمانيا

تصوير: ميشائل فون لينغن ـ حفل تسليم وسام الاستحقاق

ولاية زارلاند في إطار عملي السابق، فعاليات لصالح أولياء الأمور وكنا نشجعهم على تربية أطفالهم بلغتهم الأم، وترك اللغة الألمانية للمدرسة. طبعا أظهرنا لهم أيضًا كيف يمكنهم دعم هذا الغنى اللغوي لأطفالهم بالممارسة العملية. بالنسبة لي، هذا التنوع هو دائمًا إثراء وليس عقبة.

ما هي طموحاتك وأمنياتك فيما يتعلق بمغاربة ألمانيا؟

صرية موقيت: من خلال احتفالاتنا بـ "50 عاما من الهجرة المغربية" قمت برفقة الاستاذ الجامعي رحيم حجي والدكتورة خاتمة بوراس أوستمان والأستاذ الجامعي أندرياس بوت رئيس معهد دراسات الهجرة في جامعة أوزنابروك، بنشر كتاب حول الهجرة المغربية في ألمانيا. وقد رصد هذا المألف تطورات إيجابية فيها، ولكننا لاحظنا أيضًا أن هناك تحديات يجب التصدي لها في المستقبل من أجل تغييرها. من المهم أن يشارك هؤلاء الأشخاص، بعد 50 عامًا من الهجرة المغربية ، على قدم المساواة في المجتمع ، وأن لا يتم تهميشهم ، وأن تكون فرصهم التعليمية أفضل ، وأن يكونوا أكثر نجاحًا في سوق العمل ، وأخيراً أن تصبح ألمانيا بالنسبة لهم وطنا. بالطبع هناك دائمًا الصالح والطالح في كل مجتمع ، لا علاقة لهذا الأمر بالأصول الثقافية. لذلك علينا التفريق أثناء ارتكاب جرائم وعدم اتهام ثقافة معينة أو وضع الأشخاص الذين ينحدرون من هذه المناطق في سلة واحدة. أتمنى أن يجد الأشخاص من أصول مهاجرة مغربية هنا في ألمانيا أنفسهم، وأن تُتاح لهم كل الإمكانيات وأن يُنظر إلى أصولهم الثقافية على أنها إثراء. يجب فهم جذورهم وأصول آبائهم وأجدادهم المغربية على أنها جسر يمكن استخدامه لتحسين العلاقات مع ألمانيا. يجب أن يصبحوا، إن صح التعبير ، سفراء لثقافتين يمكن للبلدين الاستفادة منهم، سواء كان ذلك اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً.

عندما تنظرين إلى سيرتك الذاتية وطريقتك في الحياة حتى الآن: ما هو شعارك في الحياة؟

صرية موقيت: عندما أنظر إلى الوراء ، سيكون شعاري أنه ينبغي أن يكون للمرء هدف يستحق الكفاح من أجله. بالطبع هناك دائمًا تغييرات وليس كل شيء يمشي بالطريقة التي يتمناها المرء. كنت أرغب في دراسة الطب، لم ينجح الأمر. لكن عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء أقول: "على الرغم من كل شيء، كان في اختياراتي خير لي. كان عليّ فقط أن أبذل قصارى جهدي لأحولها لصالحي. ولهذا السبب شعاري في الحياة هو الكفاح وعدم الاستسلام، وأن يؤمن

المرء بنفسه وبالعدالة وأن يكون مرنا في اختياراته. عليه فقط التصميم والعزم على هذه الخيارات لأنها غير مرئية دائمًا. لكن عليه الإقدام عليها من أجل إعادة تشكيلها والتأثير فيها. هذا هو شعاري بكل بساطة: عدم الاستسلام وأن يكون للمرء هدف يؤمن به ويكافح من أجله."

هنا كانت والدتي نموذجًا يحتذى به بالنسبة لي لأنها كانت مكافحة. كان والداي يدعمانني دائمًا. لقد آمنا بنقاط قوتي ولم يميزا بين الأولاد والبنات في تربيتنا. كان التعليم مهمًا جدًا بالنسبة لهما ودعمانا بأفضل ما لديهما. عندما تلقيت وسام الاستحقاق، تذكرت والدتي لأنها هي الأخرى سبق لها أن تلقت في المغرب أيضا وساما ملكيا نظير التزاماتها المهنية كممرضة. فالتمريض بالنسبة لها لم يكن مهنة بل رسالة. وهي الأخرى شاركت أيضًا في جميع السياقات المختلفة وساعدت ودعمت الأشخاص ولهذا حصلت على هذا الوسام. عندما تلقيت هذا الوسام كانت والدتي قد غادرت دنيا الناس هذه. بطريقة ما دارت فكرة ما بخلدي وقلت: "نعم لقد نجحت."

كانت تلك لحظة مؤثرة للغاية. كانت والدتي مكافحة وقدوة بالنسبة لي. لم تستسلم أبدًا، آمنت بقضيتها وواصلت عملها. لذلك أود أن أشكر والداي على تعزيز قدراتي، وإيمانهما بي، وأنهما منحاني الفرصة للتطور ولأصبح ببساطة ما أنا عليه اليوم. شكرا أيضا لزوجي، لأنه بدون دعمه لم أكن لأتمكن من الاستمرار في القيام بما بدأته.

شكرا لك السيدة موقيت على هذه الإرتسامات القوية.

تصوير: صحيفة زاربروكنتسايتونغ 2018 ـ حفل تتويج أفضل الشخصيات لولاية زارلاند

الجيل الثاني

تصوير: رحيم حجي

جواز السفر

ناريمان حموتي راينكه

• من مواليد هانوفر
• ضابطة في البحرية الألمانية
• رئيسة جمعية الجنود الألمان

"أنا جندية ألمانية، هل هناك اندماج أكثر من هذا؟"

ولدت ناريمان حموتي راينكه عام 1979 في هانوفر، من والدين مغربيين. في عام 2005 بدأت حياتها المهنية كرقيب في القوات المسلحة الألمانية. وفي منتصف عام 2016، انتقلت إلى مدرسة الضباط. وهي الآن ضابطة في البحرية الألمانية. بضفتها عضو في "لجنة الهجرة والمشاركة في ساكسونيا السفلى "، تنشط من أجل سياسة اندماج حديثة في ألمانيا. وترأس جمعية الجنود الألمان، ولها مواقف عديدة أثارت الجدل في ألمانيا، كما هي الحال بعد صدور كتابها" أنا أخدم ألمانيا". في هذا الحوار نقترب من عدة قضايا تشغل بالها.

كيف حدث أنك جمعت بين موضوع "الاندماج والجيش؟

ناريمان حموتي راينكه: داخل صفوف الجيش لا يهم لون البشرة أو الدين أو الأصل. التقييم هناك يكون بناء على الأداء والجدارة. أردت فقط أن أنقل شيئًا من الشعور حول كيفية عملنا داخل الثكنات وخارجها.

شاركت في مهمتين عسكريتين بأفغانستان ، وكان من الممكن أن تموتي من أجل ألمانيا وقلت في مناسبات عديدة: "أن تكون جنديًا في الجيش الألماني من أصول مهاجرة وأن تخاطر بحياتك من أجل ألمانيا، لا يوجد اندماج أكثر من هذا. لماذا هذه القولة وما هي رسالتك؟

ناريمان حموتي راينكه: ليس لدي أي مشكلة على الإطلاق بسبب أصولي داخل الثكنة، بل داخل المجتمع. ويأتي أشخاص مثل تيلو ساراتسين ويقول إن الأشخاص ذوي الأصول العربية أوالتركية، غير قابلين للاندماج بسبب عيب وراثي. هذا ما دفعني للقول إن أعلى شكل من أشكال الاندماج بالنسبة لي أو بالنسبة لنا في جمعية الجنود الألمان من أصول مهاجرة هي التضحية بحياتك في سبيل ألمانيا.

في عام 2019 نشرت كتابا تحت عنوان" أنا أخدم ألمانيا. نداء من أجل تغيير الجيش". ما الذي دفعك إلى تأليف هذا الكتاب؟

ناريمان حموتي راينكه: تتوفر في العديد من الأشياء التي يمكن أن تكون سببا لممارسة التمييز العنصري ضدي. أن يكون المرء جنديا أو ضابطا هذا شرف. أعتقد أن سبب التمييز ضد الناس في ألمانيا لهذا السبب، أمر مبالغ فيه تمامًا. من الطبيعي تمامًا أن تنضم النساء إلى صفوف الجيش. غير أنه بطريقة ما يتم توجيه السؤال لي مرارًا وتكرارًا لماذا اخترت الجندية بدل مهنة مربية أطفال في روض للحضانة. وهو أمر غير مفهوم، خاصة وأننا احتفلنا في العام الماضي بمرور مئة عام على حقوق المرأة ، والمساواة مكرسة في الدستور الألماني. بالتأكيد لدي أصول مهاجرة، ولكن كما قلت سالفا، فإن هذا الأمر غير ذي أهمية في الجيش. وأنا ألمانيا تشبه ملامحي أيضا. هذا ما سعيت إلى إظهاره في الكتاب والتنصيص عليه.

تصوير: دينيس ميشلمان - بورتريه

تصوير: باريمان حموتي راينكه ـ أمام المسجد الأقصى

ما هي الرسالة الأساسية لكتابك؟

ناريمان حموتي راينكه: هناك العديد من الأطروحات المختلفة وبعض الرسائل الأساسية في الكتاب. وهذا يشمل، على سبيل المثال أن الجيش جزء من المجتمع. إننا كجنود ضامنين للسلام والحرية لا ينبغي التمييز ضدنا كجنود. كما أن المساواة مضمونة بموجب الدستور. وأن هناك تنوع في المجتمع. كما أن الإسلام واليهودية أصبحا منذ فترة طويلة جزءا من تاريخ ألمانيا.

كيف هي الأصداء حول الكتاب لحد الآن؟

ناريمان حموتي راينكه: حتى الآن، كانت الردود في غالبيتها إيجابية. إنه كتاب جدلي يطرح زوايا مختلفة. يدفع الناس للتساؤل عمن يكون هذا الجندي الذي يضحي في سبيل حمايته؟ وعن المهام التي نقوم بها. وهناك وجهات نظر أخرى اعتبرت الأمر عادي. هناك تقييمات مختلفة. وهذا أمر عادي جدا.

الرعاية الدينية الإسلامية للجنود الألمان المسلمين غير متاحة. لماذا؟

ناريمان حموتي راينكه: لأن الأمر ليس مهما في نظر صناع القرار. بعض الأشياء في الجيش تتحقق عند حدوث شيء ما. وغالبا بعد فوات الأوان. غير أن الأوان لن يفوت أبدا. لأن هذا الأمر مهم بالنسبة لنا وسنظل نطالب به.

لماذا من الأهمية بمكان اعتماد رعاية إسلامية في صفوف الجيش؟

ناريمان حموتي راينكه: الأمثلة مذكورة في كتابي: أن يتم مرافقة ورعاية المعني بالأمر روحيا وتلقينه التعاليم الدينية بطريقة صحيحة. فالرعاية الروحية هي الشيء الأكثر طبيعية في مهنة الجندي. كم مرة جلست وحيدة ولم تكن هذه الإمكانية متاحة لي. وهذا أمر غير لطيف. سيكون جيدا لو أن عائلة المعني بالأمر تم إخبارها بلحظاته الأخيرة وبما حدث بالفعل هناك ، وتقديم الدعم الروحي لهم. ففي الأمر اليومي الصادر في ٢ أبريل، قررت الوزيرة السابقة إبرام اتفاق مع المجلس المركزي لليهود لإقرار الرعاية الروحية اليهودية داخل مؤسسة الجيش الألماني. لقد أقرت الآن رسميًا هذا الأمر وقالت أن الأمر نفسه فيما يخص الرعاية الروحية الإسلامية. لكنني لن أصدق الأمر إلا عندما أراه على أرض الواقع.

أنت أيضا رئيسة جمعية الجنود الألمان. ما الذي تقومين به داخل الجمعية؟

ناريمان حموتي راينكه: بصفتي رئيسة الجمعية لدي الآن واجبات تمثيلية أكثر منها تنفيذية. لكن أنا أيضا باسم الجمعية عضو في لجنة قضايا الهجرة والمشاركة التي أقرتها ولاية برلمان ساكسونيا السفلى . نحاول تقديم يد المساعدة لاعتماد سياسة اندماج حديثة. ونحن الآن عضو في مؤتمر الاندماج الذي أسسته المستشارة الألمانية. إننا ننشط في لجان مختلفة. نحاول تعزيز الوعي بالتنوع من خلال تنظيم مؤتمرات ومحاضرات. وكما سبق أن أشرت في كتابي، فإننا نقوم بأشياء كثيرة في قضايا اللجوء. ونشرف على توفير الرعاية العائلية في هذا المجال. كما نقوم مرة في كل سنة بتنظيم مهرجان الشارع في هانوفر على هامش ماراثون المدينة. نحاول أن نكمل بعضنا البعض. أصبحنا الآن أحد البرامج الأساسية ضمن ماراثون هانوفر. أصبحنا ورقة أساسية لا يمكن تجاهلها. وهو ما أتاح لي فرصة إقرار عدة مشاريع من خلال لجنة برلمان الولاية. وهذا جسم فريد من نوعه في كل ألمانيا. يمكننا اقتراح قوانين واتخاذ قرارات مشتركة وإخراج مشاريع إلى الوجود. أتمتع هناك بكامل العضوية ولدي حق التصويت.

ما هو أهم نجاح حققته الجمعية لحدة الآن؟

ناريمان حموتي راينكه: حقيقة أننا تمكنا من حضور مؤتمر الاندماج كان هذا نجاحا كبيرا. وفي الأثناء تعرف المستشارة جمعيتنا. وشاركت في جلسة الجمعية العامة لانتخاب رئيس البلاد. إنها كلها نجاحات أفتخر بها.

ما الذي يجب أن يتغير مستقبلا في الجيش؟

ناريمان حموتي راينكه: بعض الأشياء. إدارة التنوع ينبغي أن تكون أوسع بكثير. وسيكون الأمر أكثر أهمية في الواقع ألا يقتصر الأمر على مجرد منصب إداري أو بضعة موظفين، لأن إدارة التنوع تكتسي أهمية بشكل متزايد وأصبحت جزءًا من جوهر المهام. هذا بالتأكيد ينبغي مراجعته. كما ينبغي إعادة النظر في إدارة المشتريات بحيث يمكن تنفيذ مشاريع التسلح بشكل أفضل وأسرع حتى لا يصل إلينا وهو في حالة قديمة. يتعين على الجيش الألماني الانفتاح أكثر. إذا كنت تسعى لجذب عناصر جديدة، ينبغي عليك إظهار حقيقة التنوع الموجود داخل الثكنات، وليس فقط عناصر شقراء بأعين زرقاء. يوجد الآن إعلانات دعائية قليلة التي تظهر المزيد من النساء ، ولكن لا تظهر الصورة الكاملة. هذه هي المواضيع الرئيسية. بالإضافة بالتأكيد إلى مسألة الرعاية الروحية. سيكون ذلك علامة سياسية فارقة .

كيف يمكن للجيش جذب الشباب على وجه الخصوص؟

ناريمان حموتي رايكنه: ينبغي إظهار الأمور كما هي. يجب سلك سياسة أكثر انفتاحًا، عكس ذلك سيكون دون نتيجة. هناك حزب في الائتلاف الحاكم في ولاية برلين يرفض دخول عناصر الجيش إلى المدارس لأنه يعتقد أننا نقوم بالدعاية لتجنيد التلاميذ. فهم لم يحضروا لأي حصة أشرف عليها ضباط. فهذه الحصص تدور حول السياسة الخارجية والأمنية. كما أنني لا أرغب في الإجابة طوال الوقت على أسئلة معينة، لأنهم لا يفهمون ما نقوم به في أفغانستان. ويرجع هذا ببساطة لأنهم لم يتابعوا هذه الحصص المدرسية حول دور الناتو والتفويض والمهام الخارجية للجيش الألماني في أفغانستان. لا يمكننا أن نتقدم في هذا الموضوع، إلا إذا سمح لنا بممارسة مهامنا. ربما يجب إدخال هذا كموضوع إلزامي في المدارس. كما قلت، لا يتعلق الأمر بتجنيد الشباب. عندما تزور فرق الإطفاء أو الشرطة المدرسة، فإنهم يدخلونها بزيهم الرسمي أيضًا. هذا الأمر متاح للجميع وممنوع علينا نحن كجنود.

برأيك ، ما الذي يتعين على ألمانيا فعله لجعل سياسة الاندماج الحديثة ممكنة اجتماعيًا؟

ناريمان حموتي راينكه: أشياء كثيرة. سيتعين على المرء التحرر تدريجيا من ضغط اليمين. يجب التوقف عن الحديث هل نحن بلد هجرة أم لا، والتركيز على مشاكل اللجوء فقط. فالناس هناك يعانون من ويلات الحرب. وعندما يفرون لأسباب اقتصادية ، فإنهم يتركون كل شيء من أجل الحصول على حياة أفضل. هذا ما سنقوم به نحن أيضا. ربما يجب أن نجعل النقاش أكثر شفافية كي لا نحصر النقاش فقط حول قضايا اللجوء. هناك أيضًا أشخاص يعيشون هنا لسنوات وما زالوا يعيشون على هامش المجتمع. إذا نظرت إلى أجيال الهجرة الأولى أو ما يعرف بالعمال الضيوف، فترى أناس يعيشون في مناطق بعينيها. وهذه الأحياء هي اليوم مثل حي نويكولن البرليني. فهي بالنسبة للكثيرين، ما يعرف بالمجتمع الموازي. ربما يمكن تقديم شروحات في هذا الإطار بشكل أكثر شفافية وبدل المزيد من الجهود ضد الفكر اليميني ومعاداة السامية ومعاداة الإسلام. الاستثمار في التعليم وتعزيز القانون وتشديد العقوبات ضد أي انفلات. فالتعامل باستخفاف والاكتفاء بغرامة مالية كما حصل مع الجماعة التي وضعت رؤوس خنازير ميتة في أحد المساجد، لن يحل المشكلة. ينبغي إعادة النظر في القوانين أيضا.

ما الذي يجب تغييره على مستوى التعامل الإعلامي مع هذه الظواهر؟

ناريمان حموتي راينكه: سيكون من الرائع اعتماد التقارير الصحفية كثيرا على الإحصائيات والبيانات الرقمية. فعلى سبيل المثال في حالة جريمة ارتكبها لاجئ. لا أفهم لماذا خبر مثل هذا يتصدر عناوين الصحف على عكس ما إذا كان الفاعل ألمانيا أبيض. أعتقد أن على المعالجة الصحفية أن تعتمد معايير موضوعية وأكثر شفافية.

تصوير: دينيس ميشلمان - بورتريه

جواز السفر

زينب المسرار

- من مواليد هانوفر
- كاتبة وصحفية
- ناشرة مجلة غزيله

"المغرب هو موطن جذوري الدينية والثقافية."

تعيش الكاتبة الصحفية زينب المسرار في برلين. وهي ناشرة مجلة غزيله النسائية، أول مجلة ألمانية تعكس التعدد الثقافي في المجتمع الألماني. كما تكتب لعدة وسائل إعلام ألمانية كهاندلسبلات وفيلت وتسايت وتاتس .

طنجة - مدينة عطلتي الصيفية السنوية والزيارات العائلية. الكثير مما رأيته وعشته فيها بصم حياتي إلى يومنا هذا. حتى صورتي تجاه المرأة كانت ستظل ناقصة إلى درجة كبيرة لولا ملاحظاتي وتجاربي التي عشتها هناك. لولا هذا المكان وتأثيره علي، ما كنت بالتأكيد ما أنا عليه اليوم. بلا شك أن جذوري الإسلامية هناك في المغرب. هذا البلد الذي كانت جاذبيته تثير اهتمام مختلف الإمبراطوريات والقوى بسبب موقعه الجغرافي الاستراتيجي منذ العصور القديمة. ونتيجة لذلك، كان السكان المحليون مرارًا وتكرارًا عرضة لتغيرات سياسية مستمرة، كما هي الحال اليوم في أجزاء كثيرة من شمال إفريقيا والشرق الأدنى والشرق الأوسط. ويفترض أن التحركات الإمبريالية في بداية القرن العشرين كانت لها تأثيرات على عائلتي أيضا، خاصة من جانب والدي. قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، اتفقت القوى الاستعمارية ألمانيا وفرنسا وإسبانيا في مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906 على تقسيم المغرب فيما بينها. فإلى غاية استقلال البلاد في عام 1956، كان شمال المغرب والصحراء محميتين إسبانيتين، وكانت تطوان عاصمة المغرب الإسباني، بينما كانت باقي مناطق المغرب خاضعة للحماية الفرنسية وعاصمتها الرباط. أما طنجة فكانت في الفترة الممتدة بين عامي 1923 و1957 منطقة دولية خاضعة لإدارة دولية متعددة الأديان. ويُظهر عدد أماكن العبادة في عام 1942 أن التعايش الديني كان ناجحا، ففي تلك الفترة كانت طنجة تحتضن ثلاثة عشر مسجدًا وخمسة عشر معبدًا يهوديًا وست كنائس كاثوليكية وثلاث كنائس بروتيستانتية. جميعها في مدينة واحدة في جو من الاحترام والأمان، وهي أجواء ما زالت سائدة إلى يومنا هذا - والحمد لله!

جدي الأكبر، الذي عاش وعمل قاضيًا في طنجة قبل الحماية، تلقى تعليمه في منتصف القرن التاسع عشر في أماكن عديدة كان من بينها جامعة القرويين في فاس. وتعد هذه الجامعة واحدة من أعرق المؤسسات الأكاديمية في العالم وهي لا تزال قائمة إلى اليوم.

تصوير: هيردر - بورتريه

وقد تم تأسيسها في عام 859 م ـ حتى قبل جامعة الأزهر في مصر التي فتحت أبوابها عام 970 م ـ على يد فاطمة الفهرية، ابنة رجل الأعمال الثري محمد الفهري الذي ينحدر من أصل تونسي. ويعود اسم الجامعة إلى القيروان مسقط رأس فاطمة الفهرية، التي مما لا شك فيه سيُحسب لها إلى الأبد أنها كامرأة لعبت دورا هاما في تاريخ الفكر الإسلامي. وهي ليست الأولى ولا الأخيرة في الماضي الإسلامي، بل حتى العقول الأجنبية وجدت طريقها إلى فاس، من بينها العالم في الإنسانيات واللاهوتي البلجيكي نيكولاس كلينارتس، الذي أتقن معرفته باللغة العربية في القرويين عام 1540. بالإضافة إلى ذلك، تضم مكتبة الجامعة العديد من الوثائق والمخطوطات التاريخية والإسلامية القيمة. هذا فضلا عن بعض المجلدات منها كتاب الموطأ الشهير، لصاحبه مالك بن أنس، مؤسس المذهب المالكي. كما تضم نسخة من سيرة النبي لابن إسحاق، ومخطوط كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر لمؤلفه ابن خلدون، الذي ينظر إليه اليوم على أنه كان أحد رواد علم الاجتماع.

بعد مرور جيل كامل وفي ظل الحماية، واصل جدي مسيرة أبيه الدينية، وأصبح إماما في المغرب الإسباني. وفي أواخر الخمسينيات

تصوير: سيناتس زيكر ـ في نقاش مفتوح

وافته المنية، ليصبح والدي، وهو الأكبر بين إخوته الأربعة، رب الأسرة. وسرعان ما قاده حماسه للسيارات إلى ألمانيا، واختار طريقا آخر غير الطريق الذي سلكه أجداده بالرغم من أنه من حفظة القرآن. يُظهر موقف العديد من علماء الدين الإسلامي أن التعليم ليس مقصورًا على الأولاد فقط، فعمتي هي الأخرى كان لها نصيب من التعليم أيضا، حيث أصر جدي على تعليمها، على عكس العديد من الفتيات الأخريات في سنها. وهو الوضع الذي ظل قائما إلى حدود تسعينيات القرن الماضي. فخلال سنوات الحماية، لم يعتن الإسبان بتعليم الشعب المغربي، ولم يكن هناك تعليم إلزامي للأطفال المغاربة. كان على الشعب المغربي أن يتولى الأمر بنفسه. وهو منطق السياسة العالمية آنذاك بامتياز. وقد وصفتُ بالفعل في كتابي "الفتيات المسلمات" كيف تؤثر الأحكام المسبقة والمخاوف على انصهار المسلمين في المؤسسات التعليمية الأجنبية.

هناك حقيقة مثيرة للاهتمام على نحو خاص، وتتجلى في أنه كلما كان الوالدان، خاصة الأب، أكثر دراية بالإسلام بشكل غير دوغمائي، زاد هامش الحرية لدى بناتهما. كثيرا ما أخبرتني والدتي بأنه في طفولتها وفترة المراهقة، كان كثير من القضاة والأئمة يسمحون لبناتهم من الطالبات ارتداء التنانير القصيرة والبيكيني. وأفضل مثال على ذلك هو العائلة الملكية المغربية، فملك المغرب هو أيضا أمير المؤمنين، ولم تكن النساء في المحيط العائلي للسلطان المغربي آنذاك ولا للملك محمد الخامس لاحقا من المحجبات. لم تكن لالة عائشة، إحدى بنات محمد الخامس؛ سفيرة المغرب في بريطانيا العظمى واليونان وإيطاليا فحسب، بل كانت أيضًا ناشطة في مجال حقوق المرأة وكان يساندها والدها في ذلك. ولم يفرض شقيقها الحسن الثاني، الذي أصبح فيما بعد ملك المغرب، الحجاب على بناته أيضا. وقد كان ابنه، الملك الحالي، أول ملك في تاريخ المغرب يطلق على زوجته اسم أميرة، وسمح لها بالظهور في الفضاء العام. فإلى ذلك الحين، كانت زوجة الملك ووالدة الأمراء والأميرات، والأهم من ذلك، والدة العاهل المستقبلي، مختفية عن الأنظار. فكلما كان المرء على بينة بجوهر الإسلام وتاريخه ونأى بنفسه عن الأفكار المتزمتة تجاه المرأة، فإنه لن يكون لقمة سائغة لأي أفكار تقلل من شأن المرأة باسم الإسلام. كان العامل الوحيد الحاسم حينئذ هو آراء العلماء والأئمة والقضاة الذين بالرغم من معرفتهم الجيدة بتعاليم الاسلام، أيدوا التمييز ضد المرأة. ويوجد ما يكفي من هؤلاء حتى يومنا هذا، على سبيل المثال، في العديد من البلدان الإسلامية وفي الغرب كالدعاة السلفيين وأنصار عقيدة الإخوان المسلمين، الذين ينشطون في ألمانيا بشكل كبير عبر العديد من المنظمات، من بينها المجلس المركزي للمسلمين. ومنهم أيضا القرضاوي الزعيم الروحي للإخوان المسلمين، وكذلك طارق رمضان

السلفي الإصلاحي الذي يعيش في سويسرا وحفيد مؤسس الإخوان حسن البنا. فإزالة الغطاء والغموض عن أفكارهم المتزمتة والمنتشرة في الغرب مهم للغاية خاصة بالنسبة للشباب المسلم ذي معرفة بسيطة بالإسلام. كما ينبغي على الآباء والمدارس نقل ذلك لأطفالنا لتحصينهم ضد التطرف والعنصرية ومعاداة السامية باسم الاسلام، ولمحاربة الجهل بثقافاتنا الإسلامية والعرقية الغنية أيضا.

فعندما يتعلق الأمر بشكل ملموس بدور المرأة في الإسلام، فإن علماء الإسلام هم بالتحديد من همشوا النساء بعد وفاة الرسول. وبالرغم من أن حديثا رواه البخاري عن النبي ويقول بأنه لا يسمح بإبعاد النساء عن المساجد، فإن بعض علماء الحنبلية الذين لم يتمكنوا من مخالفة الحديث علانية، أصروا على إبداء الأسباب التي تجعل هذا الإبعاد ممكنًا. وقد أدى ذلك إلى إعفاء النساء من أداء صلاة الجمعة في المساجد. وبما أن الصلاة هي أحد أركان الإسلام الخمسة، فإن عمل العلماء، الذي تحول إلى تقليد بعيد المدى، يبدو أكثر من تعسفي. وفوق كل شيء يتضح كم حدَ العلماء من دور المرأة في الإسلام بحسب هواهم ومصلحتهم، كما فعل العديد من رجال الدين والحكام المسلمين مع بناتهم وزوجاتهم، وكان من الممكن أن يسلكوا طريقًا مختلفًا لا يتعارض مع المصادر الإسلامية والقرآن، فلم يكن من قبيل الصدفة أنهم لم يفعلوا ذلك. لقد ساعد ذلك في الحد من التأثير المتزايد لدور المرأة في الفضاء العام. ربما كان الرجال يدركون ضعفهم الفكري وحدود قدرتهم على التحمل ومواكبة معظم النساء في هذا المجال. من يدري ما هي المساهمة التي ربما كانت المرأة ستقدمها في الطب أو الزراعة أو علم التنجيم لو سُمح لها بالانخراط في المجال العام. خطوات تعزز سلطة النظام الأبوي تجاه الفتيات والنساء وعزلهن اجتماعيًا وسياسيًا. وقد كان من السهل بالنسبة لعلماء المسلمين الاعتماد على النص المكتوب وتفسيره وتأويله بطريقة تمييزية تجاه المرأة. قد تكون الزوجة هي المسيطرة في المنزل، ولكن نشاطها ظل مقيدا عندما يتعلق الأمر بالأماكن المقدسة للفكر الإسلامي، حيث نصب الرجال أنفسهم أولياء على المرأة.

كبنت لوالدين مسلمين مغربيين يمارسان الشعائر الدينية، فأنا كسائر الأسر المغربية المنتمية للمذهب المالكي السني، المنتشر بشكل أساسي في شمال وغرب ووسط إفريقيا باستثناء مصر. كان للإسلام حضور قوي وسط عائلتي، سواء في ألمانيا أو في المغرب. تلقيت نشأتي الإسلامية من والداي وبخاصة من أبي، واستفدت بشكل خاص من تعاليمهما الدينية التي تلقياها عبر الأجيال. كان جدي الأكبر قاضياً وعمل في مدينة طنجة قبل بدء الحماية الإسبانية عام 1912. وهو العالم الشرعي الذي كان يؤدي في المقام الأول وظائف قضائية نيابة عن الخليفة والسلطان ويسترشد بقواعد الشريعة، في ظل

تصوير: دار النشر أيشبورن ـ تقديم كتاب المسرار

سلالة السلطان العلوية الحاكمة. الأمر نفسه حدث مع جدي في ظل الحماية الاسبانية، فنظرًا لأنه كان أيضًا حاكمًا إقليميًا في هذا الجزء من المغرب، فقد وظف مدرسًا خاصًا كي يشرف على التعليم الديني لوالدي وأعمامي وعمتي. هذا أبقى تربية والدايّ الدينية خالية من التأثيرات الخارجية، ومن تأثيرات من نصبوا أنفسهم كرجال دين، مثلما هي الحال في ألمانيا، حيث جعلوا أنفسهم رجال دين، لا يخطبون في كثير من الأحيان في مساجد الفناءات الخلفية فحسب، بل اعتمدوا الإنترنت كمنابر لنشر الفكر السلفي.

منذ هجرة المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا، يعود عدم تأهيل رجال الدين والدعاة والمشرفين على المساجد إلى حقيقة أن معظم المساجد المستقلة حاولت رعاية جاليتها المسلمة داخل المساجد بمواردها المالية المحدودة. من كانت لديه الإمكانيات المالية وقتها لتوظيف إمام ذكي تلقى تكوينا دينيا جيدا؟ في ذلك الوقت، لجأت المراكز الدينية في معظم الحالات، لاستيراد رجال دين من الخارج، لعدم وجود معاهد دين إسلامية لتكوين الأئمة في ألمانيا. ولا أحد من الجالية المسلمة آنذاك كان قد حفظ القرآن وهو طفل في بلده الأصل. وهذا يعني أن الجيل الأول من المهاجرين كان قادراً على فهم الخطيب لغة ومحتوى، على عكس أغلب أبناء الجيل

تصوير: سيناتس زيكر - حفل توقيع

الثاني والثالث الذين لم يكونوا قادرين على استيعاب خطاب رجل الدين لأسباب لغوية. ولهذا السبب كان للدعاة السلفيين الناطقين بالألمانية على وجه الخصوص حضورا قويا بين الجيلين الثاني والثالث، وهم من سهل التواصل مع هؤلاء الأطفال والشباب. غير أن ذلك خلق بالمقابل مشكلة أكبر، تمثلت في تسرب الأفكار السلفية إلى عقول أجيال مرتبكة. كما يرى المرء، فإن مطلب اعتماد اللغة الألمانية كلغة للخطيب، والذي غالبا ما تتمناه العديد من الأطراف، ليس دائمًا الحل التلقائي لجميع مشاكل التطرف لضمان اندماج أفضل. فهؤلاء السلفيون تحديدا، هم الذين زرعوا التطرف ويتطلب من المجتمع ككل محاربته مرة أخرى.

شخصياً أجد أنها نعمة عظيمة أن والداي، وفرا علي هذه الفوضى. وهذا غالبا ما يعني أن الناس مثلي يشعرون ببعض الغرابة في فهمنا للإسلام. فعلى الرغم من دروس القرآن المؤقتة في مساجد الفناءات الخلفية، استمر التلاميذ في التطور ولم يقبلوا كل محاولات المعلم الاستبدادي بغرس هذه الأفكار في عقولهم. إذ غالبًا ما كانت الأسئلة الحرجة غير مرغوب فيها. وفي الوقت الذي يعد فيه التسامح وقبول الآخر حجر الزاوية الأساسي في نشأتي الدينية، فإن الأمر مختلف بالنسبة للعديد من الشباب المسلم الذين يدعون للإسلام في الشارع اليوم من خلال توزيع القرآن أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو من خلال جمعيات الطلاب المسلمين، بغض النظر عما إذا كانوا من معتنقي الاسلام أو مسلمين بالفطرة. فلا يبدو أن روح التسامح والرحمة هذه تلعب دورا لديهم. بدلاً من ذلك ، فإنهم يعطون انطباعًا بأنهم خائفون من الاستسلام للتناقضات والتنوع الذي يمثلونه بأنفسهم من خلال تنوعهم العرقي أو عبر ما يعيشونه من تنوع في ألمانيا. وهذا على الرغم من حقيقة أن القرآن نفسه يتحدث في سورة الحجرات الآية 13 عن هذا الأمر بقوله:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ". لم يكن والداي من مؤيدي تفسيرات الشباب المسلم التي تفيد بأن المسلم الحقيقي هو شخص ذو لحية طويلة أو أن تغطي المرأة نفسها بالكامل. والداي يمارسان أركان الإسلام الخمسة ويتبعانها مثل العديد من المسلمين الآخرين في العالم وفي ألمانيا، يمارسان عقيدتهما ويؤديان الصدقات ويصليان ويصومان ويحجان. لقد علماني هنا في سن مبكرة كيف أتعامل بمسؤولية مع أهمية الحج بالنسبة للمؤمنين، والتي نادراً ما ألاحظها لدى العديد من المسلمين اليوم. فالحج هو الوحيد من الواجبات الإسلامية الخمسة التي ليس من الضروري أدائها، لأنه مرتبط بشروط معينة.

يجب أن يكون المال المخصص للحج قد تم كسبه من خلال عمل صادق، ويفضل أن يكون مما كسبه المرء بنفسه. هذا صعب بعض الشيء خاصة بالنسبة لربات البيوت اللائي يعتمدن على أموال أزواجهن

أو أطفالهن. بالإضافة إلى ذلك، يجب ألا يكون مصدر تلك الأموال من معاملات أسعار الفائدة أو السندات المصرفية. كما لا يجوز أن يكون قرضا، على غرار ما يفعله بعض المسلمين حتى اليوم لكسب الاحترام داخل مجتمعهم والحصول على قروض للحج بها حتى لعدة مرات. ولا يمكن تحصيل الأموال من مصادر إجرامية كالمخدرات أو الاتجار بالبشر أو الرهانات أو الدعارة. حقيقة أن مغني الراب الألماني المغربي والمسلم فريد بانغ الذي يفتخر بكونه جامع عدد من الأمهات، ويغني في أغنيته "في وقت ما" عن رغبته في دفع تذكرة سفر جدته إلى مكة هو بالتأكيد أمر جيد. غير أن الطريقة التي يكسب بها ماله مقابل هذه التذكرة هي طريقة غير محترمة تجاه النساء، وهذه الوظيفة لا تعد ربما من الوظائف التي يُسمح لأموالها بتمويل الحج. يجب أيضًا التأكد من رعاية الأطفال وألا يكونوا عرضة للضياع. وهذا ما يرجح ذهاب كبار السن للحج لإتمام أركان الإسلام، اللهم إلا إذا كان الفرد قد كسب رزقا وفيرا في سن مبكرة. عندئذ سنكون بالأحرى أمام نقص في النضج الروحي والديني، وهو الأمر الذي يجب ضمانه أيضًا، لكنه غير متوفر في بعض الأحيان. لذلك ليس من المستغرب أن تجد اليوم في كثير من الأحيان على منصات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وانستغرام شبابًا يشاركون صور سيلفي للحج من مكة والمدينة، وهم يتفاخرون بقلة نضجهم الديني والروحاني. فالتفسير بأن المرء يريد فقط من خلال هذه الصور إخبار العائلة في الوطن بأنه بخير، أمر غير معقول للغاية في ظل توفر المكالمات الهاتفية القديمة أو الرسائل النصية القصيرة أو رسائل واتساب. وفي بعض الحالات يبقى الأطفال الصغار مع أجدادهم، حتى تتمكن الأم والأب من أن يمنحا لنفسيهما لقبًا فخريًا "الحاجة والحاج"، بعد الطواف الكبير على الكعبة والرجم الرمزي للشيطان. لقد أصبح ذلك بمثابة مظاهر الوجاهة التي تميز إسلام القرن الحادي والعشرين عند البعض، فلا فرق بين الشخص الذي يقتني ساعة رولكس الفارهة أو آخر يذهب للحج وكأنه في رحلة ترفيهية بالمملكة العربية السعودية. وهذا يعني في كثير من الأحيان أن الأمر مرتبط بالمظهر أكثر من الارتباط بماهية الدين. ومن المحتمل أن يكون لهذا التفكير تأثير على أنجاب وتربية الأطفال أيضًا. فغالبًا ما يعتمد هؤلاء الآباء في تصورهم بشأن الانجاب على تقليد إسلامي انتشر عند الجيل الأول من المهاجرين ويتعلق الأمر بإنجاب ما لا يقل عن أربعة أطفال، وبأن الله يضمن لكل مولود رزقه. لكن يقال أيضًا إنه بينما يمكن للمسلمين أن يتوكلوا على الله، ينبغي عليهم أيضا التمسك بالحديث القائل" اعقل ناقتك وتوكل على الله".فالإسلام لا يعفي الفرد من المسؤولية الشخصية. وكطفلة وحيدة يمكن هنا إثبات الاستثناء في القاعدة. صحيح أنني حظيت باهتمام مركّز من والدين مسلمين يمارسان شعائرهما، غير أن هذا لا يعني أنني كنت مدللة إلى ما لا نهاية. على العكس! كان يتم دائما تنبيهي ـ وأحيانا بشكل محرج ـ على ضرورة أن أكون حسنة السلوك ومهذبة ومؤدبة ومتعاونة ومؤمنة. بالنسبة لي لم تكن هناك استثناءات. كلما استسلمت لتمثل دور الطفل الوحيد، كانت أمي توقفني عند حدي دون لف أو دوران. حتى عندما تعلق الأمر بالألعاب أو المجلات، لم يكن هناك أي تساهل، فالاستثناءات الوحيدة كانت الكتب والملابس. وإذا أردت شيئًا مختلفًا من عالم الاستهلاك، كنت أتوجه إلى أبي، على أمل ألا تتدخل والدتي. وخلال إجازتنا في المغرب، كان الاصرار على التعامل معي على قدم المساواة مع الأطفال الآخرين في الأسرة، لم يكن يسمح بأي مواقف غير لائقة. ولم يسمح لي بالتحدث بالألمانية أمام الآخرين، لأنه من غير المهذب التحدث بلغة لا يفهمها غيرنا. كما اضطررت إلى ارتداء ملابس محتشمة أمام أجدادي أو غيرهم من كبار السن الذين كانوا يزورننا أو عندما كنا نزورهم، حيث ارتداء السراويل أو الفساتين إلى ما تحت الركبتين على الأقل. لم يُسمح لي بارتداء

تصوير: زينب المسرار ـ فعالية الاعلام والهجرة

تصوير: مؤتمر الإسلام

تصوير: رحيم حجي - مسجد الرحمن بهيلدن

السراويل القصيرة أو بدلات السباحة إلا على الشاطئ أو في المنزل عندما يكون خاليا من جدي أو أحد أعمامي الأكبر سناً، على الرغم من أن أجدادي وأعمامي شجعوا مرارًا الابنة والأخت الصغرى، أي والدتي، على أن ما أقوم به لا يزعج أحدا. غير أن والدتي لم تكن تتساهل مع هذا الأمر، وظلت تشرح أنه لا ينبغي أن أعامل بشكل مختلف عن أبناء العائلة، فلا مجال للاستثناءات، فقط لأنني نشأت في ألمانيا، ولأن أفراد الأسر الأخرى أو الجيران الذين يعيشون في أوروبا مثلنا، بفرنسا أو بلجيكا أو هولندا، غالبًا ما كان سلوك أطفالهم وشبابهم، صاخبًا وغير محترم، وهو ما كانت والدتي ترفضه بشدة. فغالبًا ما كانوا يعاملون أقاربهم في المغرب كخدم ويرفضون مشاركتهم حياتهم اليومية، بل كان ينبغي فجأة لهذه الأسر تَكييف يومها بناء على رغبات هؤلاء المهاجرين، وليس غريبا أن هؤلاء الزوار القادمين من الخارج، لا يتمتعون بسمعة طيبة لدى بعض العائلات، خاصة أولئك الذين يعيشون في ضواحي المدن الفرنسية الذين يتفاضلون على أقاربهم المتواضعين. فغالبًا ما يقومون بتسخيرهم كخدم في المنازل أثناء فترة عطلهم الصيفية التي يقضونها في منازلهم أو شققهم، وبخاصة الفتيات غير المتزوجات. إذ يتعين عليهن الطهي والتنظيف والغسيل، تحت أنظار الوالدين وبرضاهم، على أمل إيجاد فرصة لتزويج إحدى الفتيات لأحد أبناء عمومتها أو الأقارب الذين يعيشون في أوروبا. وهو ما يسمح بقبول هؤلاء الآباء بتعرض بناتهن أحيانًا للإذلال من قبل هؤلاء الأقارب المقيمين في أوروبا.

من الناحية الدينية ، قيل لي دائمًا إن الله أقرب إليّ من حبل الوريد، وإنني لا أستطيع أن أغش الله أبدًا، أو أن أخفي عليه سرا، وينبغي أن تكون نيتي دائما حسنة. لا يجب أن أخاف الناس أبدًا أو أسمح لأي شخص أن يخيفني، فالله فوق الجميع. ولا يجب أن أخشى شيئا أبدًا، طالما أنني لم أنس الله، فالله لن ينسى عباده أيضا. ويجب أن أفعل الخير بانتظام، ليس طمعا في أجر ولكن خالصا لوجه الله، بنية صادقة. وأظهر صيف ألفين وخمسة عشرة، بالنظر إلى قضية وصول اللاجئين إلى ألمانيا، أمرا غريبا خاصة لدى بعض المسلمين الذين تجندوا لتقديم يد المساعدة في هذا المجال. إذ كانوا دائما يقولون إن أنشتطهم كانت في سبيل أن يكافئهم الله نظير ما قاموا به. إنه سلوك صبياني في نظري. إذ تعتبر هذه الشريحة المسلمين والعديد من هؤلاء الدعاة الهواة أن أفعالهم التي يزعمون أنها جيدة، نوعا من نظام المقايضة.

يقال إنه قبل دخول شهر رمضان بفترة وجيزة، يتعين على المرء القيام ببعض الأعمال الصالحة من أجل الحصول على بعض من الحسنات. فقراءة سورة الفاتحة خمس مرات في اليوم، تؤمن سبعة آلاف حسنة، وثلاثون نقطة مقابل تحية "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" مع ضمان الدخول للجنة. فهل نظام التنقيط هذا كفيل بضمان الدار الآخرة؟ يا له من منطق! وبعدها ينبغي التوجه إلى فيسبوك، بورصة الحسنات للحصول على إعجابات البركة. من يحتاج لنظام البنوك العقارية هذا؟ فحتى أتباع داعش لديهم فرصة لمحو كل أفعالهم السيئة، ما عليهم سوى ذكر سبحان الله وبحمده مئة مرة في اليوم.

نظام التفكير هذا هو فكر قديم عند الكثير من الناس. إذ يعتقد الكثير من المسلمين أن لله نظاما للتقييم والتنقيط بحسب الأعمال الصالحة. والنتيجة هي أنه أصبح لنا إسلام لا نمارسه بدافع الإيثار، بل إسلام مادي سطحي. ومن المفارقات أن هؤلاء المسلمين الذين يسعون للحصول على مكافآت دنيوية يتباهون في انتقاد الرأسمالية، لكنهم لا يدركون أن تفكيرهم الديني يخضع تمامًا لهذا النظام الاجتماعي. أخبرني والداي دائمًا أنه إذا ما كانت للمرء ثروة كبيرة

وأراد أن يترك شيئًا ما على الأرض، فيجب أن يكون شيئًا يخدم عامة الناس. لذا بدلاً من بناء مسجد في منطقة يوجد بها أصلا مسجد، ينبغي حفر بئر أو إنشاء دارٍ للأيتام أو مدرسة أو زاوية، ويكفي زرع شجرة فقط. عندما كنت طفلة، كنت أواجه بالغضب، عندما أحلف على أنني أقول الحقيقة. وقد أدى ذلك إلى أنني اليوم دائمًا ارتاب عندما يجعل المسلمون الصغار كلمة "والله" لازمة في أحاديثهم. أكلت "والله" دونر كباب، والله رأيت الملابس الداخلية للمعلمة. أو أنني أعاني من صداع في الرأس - والله. "من لم يف بوعده عليه صيام ثلاثة أيام كفارة. هل هذا معروف لدى المسلمين الكبار والصغار أصحاب لازمة "والله"؟ وهي اللازمة التي أصبحت منذ سنوات، تحظى بشعبية كبيرة حتى لدى الشباب غير المسلمين، أي ما يعرف بلغة شباب الدرب.

من ناحية أخرى، كان يُسمح لي دائمًا بطرح الأسئلة الدينية التي كان والدي يشرحها لي أفضل من والدتي. وهي التي لم تذهب إلى مدرسة ولا قرأت قرآنا. غير أن الحكمة التي تحدثت بها رغم عدم تمدرسها، أجدها أحيانا معجزة. لأنني التقيت في كثير من الأحيان بأناس، على الرغم من تعليمهم، كانت تنقصهم شرارة الدفء والمعرفة. فقوة معرفة والدتي راجع بالأساس إلى التعددية الدينية التي عاشتها وهي طفلة في طنجة، حيث كان اليهود والمسيحيون والأجانب على اتصال دائم. كان أجدادي يعاملون الناس باحترام، بغض النظر عن مذاهبهم الدينية ووضعهم الاجتماعي، وبغض النظر عن المسار الذي سلكوه كمسلمين. كان جداي من جهة أمي كريمين ويقدمان يد المساعدة، بالرغم من إمكانياتهما المتواضعة. لم تكن الأحكام المسبقة تسيج علاقاتهما بالآخرين. ولم يسبق لي أن سمعتهما يغتابان في أحد ما. ذات مرة أخبرتني والدتي كيف أنها، عندما كانت لا تزال صغيرة جدًا، كانت تقضي بعض الأمور رفقة أمها في المدينة العتيقة، وفي طريق العودة إلى الجادة الكبيرة بالقرب من شاطئ المدينة، مرا بحانة، كان بجوارها أرض فارغة من المباني، ينام فيها بعض الرجال المسلمين والشبان من فرط ثمالتهم ـ فالخمر وفق معظم العلماء غير مباح ـ كان العديد منهم مدمنا وفقيرا، غير أن جدتي بدل أن تلعنهم أو تنظر إليهم بازدراء بسبب حالهم، طلبت لهم الهداية والرحمة. لم يكن احتقار الآخرين من صفاتها.

كتب الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي ذات مرة أن ابن الحسين، حفيد النبي وابن بنته فاطمة، قال إن الإسلام جاء ليرفع من شأن المستضعفين وإنه دين يجلب الكمال إلى غير المكتمل ويعلم الكرم لضيقي الأفق. على الرغم من أن هذا الاقتباس يشير إلى الإماء في ذلك الوقت للائي سُمح لهن بالزواج، فإن الرحمة تفيض على هذا الأمر. الاسلام دين رحمة، الإسلام هو العفو، قالها والدي عندما تابعنا في نهاية عام 2014 صور تنظيم "الدولة الإسلامية" المستعرة في سوريا والعراق عبر نشرات الأخبار. وقبل كل شيء؛ الاسلام هو ما نعيشه نحن المسلمين بوعي ودون وعي، على أنه الإسلام.

تصوير: زينب المسرار ـ مؤتمر الإسلام 2013

جواز السفر

ميمون عزيزي

- من مواليد 1972
- طبيب أخصائي في أمراض الأعصاب
- باحث في العلوم السياسية
- باحث في العلوم الاجتماعية

"مبدأ الأمل أو كيف نمضي قدما في الحياة."

ميمون عزيزي هو طبيب مختص في طب الأعصاب والطب النفسي والعلاج النفسي وطب الطوارئ. وهو إلى ذلك باحث في العلوم السياسية والاجتماعية والفلسفة وأستاذ محاضر وناشر . كرس حياته منذ سنوات للعمل في مجال الرعاية الطبية والرعاية الاجتماعية النفسية والاجتماعية العصبية للمرضى المسلمين.

الهجرة من الوطن هي أسوأ مصير يمكن أن يواجه الإنسان. هذا ما قاله والدي الذي توفي في عام 2011. هذا الأمر أثر عليه بشكل لم يتمكن من تجاوزه طيلة حياته. اضطر والدي إلى مغادرة المغرب عام 1960، ووصل إلى ألمانيا مرورا بعدة محطات. وفي ألمانيا تمكن من الحصول على عمل بسرعة، وارتقى في عمله. غير أن الشعور بالوحدة وعزل العمال الضيوف، كما كان يسمى وقتها الوافدون الجدد إلى ألمانيا، عن السكان أزعجه كثيرا. في البداية عاش كمعظم العمال الضيوف في مساكن خشبية. وكان عليه أن يعتاد على البرد الشديد وعلى إيقاع الحياة المختلف هنا. استغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل أن ينتابه الشعور أنه بدأ يفهم وطنه الثاني بشكل ما. تسلق بسرعة السلم الوظيفي وبالسرعة نفسها حصل على شقة وتمكن من إعالة أسرته في المغرب. خطوة حققت له الشيء الكثير، إلا أنه لم يشعر قط أنه صار جزءا من مجتمعه الجديد، وظل الشعور بالغربة يلازمه حتى وفاته. لذلك ظلت فكرة العودة النهائية إلى المغرب تداعب أفكاره، لكنه حتى هناك لم يعد مرحبا به هناك، على عكس النقود التي كان يرسلها، هذا ما كان يكرره دوما. ومع ذلك، قرر في وقت مبكر جدًا جلب عائلته إلى ألمانيا، في إطار ما يطلق عليه بلم شمل الأسر.

وقتها لم يكن عمري تجاوز الأربع سنوات، وكنت قد التحقت بمدرسة لتعلم القرآن. عندما أحاول أن أتذكر هذه الفترة، تقفز إلى مخيلتي صور مدرسة القرآن مصحوبة برائحة الحقول المزهرة المحيطة. عندما وصلت إلى ألمانيا، تولد لدي شعور خانق بالوحدة التامة، بالرغم من، وجود والدي من حولي. لكنني افتقدت عماتي وأعمامي وباقي أقاربي. وكنت أسمع عبارات المواساة من والدي دوما بأننا سنزورهم في كل صيف. وبالفعل صدق والدي الوعد، كنا نسافر إلى المغرب كل عام. كانت زيارة مسقط الرأس والأقارب والأكل هناك ترفعنا إلى قمة السعادة. كان الأمر شبيها بعودة الروح إلى الجسد. لكن ألم الوداع كان يزداد في كل مرة، ومع مرور السنين تعودت حتى على ذلك. في البداية شكلت اللغة لي أكبر الصعوبات في المدرسة بألمانيا. لم تكن

تصوير: ميمون عزيزي - بورتريه

تصوير: ميمون عزيزي ـ لحظة استرخاء

لغتي الألمانية في المرحلة الابتدائية كافية وبذلك أصبحت معزولا و مقصيا، لم أتمكن من الانخراط مع الآخرين ولم يكن لي خيار آخر.

لم يكن أحد من التلامذة يدعوني إلى حفلة عيد ميلاده. كنت أشعر وكأني جسم غريب في الفصل. أدرك والدي الموقف وألحقني بدروس خاصة لتعلم الألمانية على يد مدرسة متقاعدة من المرحلة الثانوية، السيدة الدكتورة بيغر التي توفيت قبل عقد من الزمن. كنت أتلقى على يدها ثلاث حصص خصوصية كل أسبوع. كنت أحس بالبهجة وأنا أرى كيف كانت قدراتي اللغوية تتحسن شيئا فشيئا. لم تكن تواجهني صعوبات في مادتي الرياضيات والرياضة، لكني صرت الآن ألحظ التحسن حتى في مادة اللغة الألمانية. وصرت في السنة المدرسية الثالثة أحصل على تقييم يتراوح بين جيد ومقبول. وفي الصف الرابع، بدأت الحصول على علامات جيدة بشكل متواصل. مدير المدرسة الابتدائية " فرايهيرفون شتاين" بمدينة هاغن؛ السيد براند قبل انضمامي إلى نادي الشطرنج، وكان ذلك نقطة تحول هامة في حياتي. فمنذ ذلك الحين أصبحت بدأت أثير انتباه زملائي الذين بدأوا يحترمونني، ولكنهم ما زالوا لا يدعونني إلى حفلات عيد ميلادهم. وفي احتفالات المدرسة، كنت ألاحظ كيف كان أولياء أمور زملائي يتفادون الاختلاط بي أو بوالدي. ومع ذلك، تمكنت من اجتياز المرحلة الابتدائية والتحقت بالمدرسة الثانوية. السنتان الأوليان في المرحلة الثانوية هما بمثابة تجربة، وفي حال كان المستوى التعليمي عال بالنسبة للتلميذ ينقل حينها إلى المدرسة العملية متوسطة المستوى. كان معظم أساتذتي في ذلك الوقت أن يكون مصيري كذلك، بحسب ما قيل لي بعدها. مع ذلك، كنت مقتنعا أنني سأنجح في هذا التحدي. في الفصل نفسه كانت معي تلميذة تركية وتلميذ من شرق أسيا، والباقون ألمان. ولكن مع الوقت جاء آخرون من أصول أجنبية. في هذه الأثناء كنت وصلت في أدائي إلى مستوى عال. وكان مستوى التقييم الذي أحصل عليه يتراوح بين جيد وجيد جدا. لم يختلف الأمر كثيرا في النشاط الرياضي، إذ أصبحت من اللاعبين الأساسيين خاصة في مجال كرة القدم والرياضات القتالية. من يسمع هذا يعتقد أني أصبحت مندمجا في محيطي، لكن في الحقيقة، كلما حققت مزيدا من النجاح ، كلما زادت المشاكل. بعض أساتذتي كانوا يحاولون بكل قوتهم إقناعي بالتوجه نحو التأهيل المهني. وفي بعض المواد لم أحصل على ما كنت أستحق من تقييم، لكن وعلى الرغم من ذلك تمكنت من إثبات نفسي. أدركت أيضًا بسرعة كبيرة أن البعض من الأستاذة كانت لديهم أحكام مسبقة، خاصة وأن بعضهم لم يكن يعرف عن ثقافتي إلا القليل. كنت بالنسبة لهم "المغربي" الذي تمكن من الالتحاق بمدرسة ثانوية ألمانية. وكنت كلما وقعت في خطأ ما غالبا ما أسمع عبارة "اللغة الألمانية، لغة صعبة" والمقصود بها تذكيرك بأنك أجنبي ولن تجيد ما يجيدونه. كنت أغلي غضبا في داخلي، ولكني لم أكن أظهر ذلك. كنت أقرأ كثيرا حتى أصبحت المكتبة بمثابة بيتي الثاني. وجدت بوصلتي، فالرياضة منحتني التقدير الذي كانت روحي في أمس الحاجة إليه، والقراءة باتت بوابتي على العالم. وبالرغم من مقاومة بعض الأساتذة، تمكنت من إحراز تقدم كبير في المدرسة. وابتداء من السنة السابعة فصاعدًا، أصبحت بين أفضل ثلاثة تلاميذ في المدرسة. لم أتوقف عن القراءة وأصبح وقت فراغي موزعا بين الرياضة والقراءة. صار هذا الوضع بمثابة درع واق يحميني ويفتح لي إمكانيات لا حصر لها. أصبحت الأفضل في الفصل وصرت دائما على لائحة المدعوين إلى حفلات أعياد ميلاد التلامذة. أنجزت المهمة وصرت واحدا منهم، صرت أشارك مثل الآخرين في الرحلات المدرسية كما تحسنت تدريجيا علاقتي مع الأساتذة. نظمت بطولات في كرة القدم والكرة الطائرة بالقاعة الرياضية بمدينة هاغن. ومع السنة التاسعة صرت انتخب دائما كعريف للفصل. غير

أنني رفضت منصب ممثل التلامذة على صعيد المدرسة، لأنه كان لا يزال هناك أشخاص في مدرستي لا يريدونني في هذا المنصب. لكني لم أعد أكترث لذلك، وانصب اهتمامي على المدرسة وممارسة الرياضة. ثم بدأت أهتم بالأدب الألماني والفلسفة. واتسعت قائمة اهتماماتي إلى مجالات أخرى مثل الفن والدين. كانت رحلة إلى عالم مختلف تمامًا. فاكتشاف الكون، إحساس لا يزال يسيطر علي حتى اليوم، ولا تزال القراءة رفيقي إلى اليوم. في فترة لاحقة من الدراسة الثانوية شاركت في برنامج للتبادل المدرسي فأقمت لفترة معينة في الولايات المتحدة ثم لاحقا في فرنسا. بعد اجتياز امتحانات الثانوية العامة بنجاح ودون أية صعوبات، أحسست بالفخر بالتفوق الذي حققته. والآن أصبحت ذلك التلميذ المثالي وليس الأجنبي الذي تشير له البنان. أثبت للجميع ما لم يكن يتوقعه أحد. لا أحد كان يصدق أنني سأنهي دراستي الثانوية كأفضل تلميذ في ذلك العام. وهو ما جعلني فخورا للغاية ومبعث فخر لأبي أيضا.

صممت وقتها على دراسة الطب، وكان علي اجتياز ما كان يعرف حينها باختبار اللغة للأجانب بالإضافة إلى ضرورة الحصول على درجة معينة في الثانوية العامة للالتحاق بكليات الطب. اضطررت لإجراء الاختبار على الرغم من أنني تجاوزت الدرجة المطلوبة للالتحاق بكلية الطب. وتمكنت هنا أيضا من إنجاز المهمة. بعد الانتهاء من امتحانات الثانوية كافأت نفسي برحلة طويلة إلى إيطاليا، دفعت تكاليفها مما ادخرته من مال كسبته من عملي خلال العطل المدرسية. بعدها التحقت بكلية الطب في مدينة إيسن بغرب ألمانيا. كانت دراسة صعبة، لكني استفدت منها كثيرا. بشيء من سذاجة الشباب، اعتقدت أن أساتذة الجامعات هم أشخاص مثقفون ومتمرسون وعلى اطلاع بالثقافات الأخرى. عبثا، كنت أتوقع المزيد من التفهم والانفتاح في الجامعة. ففي اليوم الأول الذي لا زلت أذكره جيدا، بدأ أستاذ خلال كلمته الترحيبية، في عد الطلاب الأجانب المحتملين في الفصل. وأنهى كلمته بأن "أعداد الطلبة الأجانب في تزايد، لنرى إلى أين سيقودنا هذا". موقف سبب لي انزعاجا ظل يرافقني طيلة فترة الدراسة.

كانت الأحكام المسبقة في تلك الأيام منتشرة على نطاق واسع في المستشفيات. إذ كنت دائما في نظر الجميع ذلك الطالب الأجنبي الذي سيعود إلى وطنه في وقت ما. هنا أيضا، سارت الأمور على عكس ما كان يأمله البعض. فبخطى ثابتة أكملت دراستي بنجاح، لأبدأ أخيرًا العمل في الوظيفة التي حلمت بها. كان الأمر ممتعا للغاية وبسرعة كبيرة واصلت فترة التخصص كطبيب أعصاب، ثم في الطب النفسي والعلاج النفسي. كنت أرغب في التعرف على الطب من جوانبه المختلفة. لذا عملت لفترة طويلة بشكل مواز كطبيب طوارئ وطبيب تخدير، تسلقت سلالم المهنة درجة درجة، ووصلت مناصب عالية في المجالين وكنت قادرا على الاختيار بين منصب في طب الأعصاب أو في طب الطوارئ، فاخترت الأخيرة وعملت لسنوات كثيرة كطبيب طائر. كنا ننقل المرضى من شتى أنحاء العالم، على متن طائرات تم تحويلها إلى وحدات عناية مركزة إلى ألمانيا أو هولندا. خلال هذه الفترة، زرت أكثر من 96 دولة. أما اليوم، فأطير في المناسبات فقط. وفي الوقت نفسه واصلت الاهتمام بالأدب والفلسفة الألمانية مع الانفتاح على الأدب والفلسفة العربية والفكر الاسلامي أيضا. أنهيت دراسة الفلسفة بالتركيز على الفيلسوفين نيتشه وكانط. غير أنني انغمست في الفلسفة الإسلامية لأكثر من عشر سنوات لاكتشف ثقافتي. كان صوتًا داخليًا يدفعني نحو ذلك، فبدأت بالقراءة لفلاسفة العرب والتاريخ العربي الإسلامي. بدأت الأسئلة تدور في خلدي، من أنا؟ ولماذا نعيش في كنف ثقافة أجنبية؟ ومن أين جئت؟ ومن أجل تعميق معرفتي، درست العلوم السياسية وعلم الاجتماع. في العلوم السياسية، أنهيت عملي الذي دام لفترة طويلة حول الربيع العربي ونشرته في كتاب. وتمخض اهتمامي المتزايد بالكتابة عن عدة كتب في مجالات مختلفة. وهي بالتأكيد ليست آخر ما كتبت. وشرعت في القاء المحاضرات، وهو ما فتح لي بابا جديدا. شعرت بأنني قريب جدًا من المفكرين العرب الإسلاميين، ولكن أيضًا من المفكرين الألمان مثل غوته وروكرت وريلكه. هذا بالإضافة إلى هامر بورغستال و آنا ماري شيميل التي تعرفت عليها

تصوير: ميمون عزيزي - مستشفى الحسن الثاني بالداخلة

تصوير: ميمون عزيزي - تمرين التوازن على شاطئ البحر

شخصيا. وواصلت الغوص في عالم الأدب والمعارف وما زلت كذلك إلى اليوم.

تعرفت على ديني من جديد، وجدت دينًا أنتج شعراء وفلاسفة رائعين. جذبني البعد الصوفي للإسلام، على حد تعبير آنا ماري شيميل إلى مداراته. اكتشفت في رباعيات جلال الدين محمد الرومي عالم الروح والرحلة إلى الامتدادات اللانهائية للروح. ملأتني ولا تزال تملأني بالتواضع مجلداته المثنوية. يا له من رجل حكيم يبشر بالخير في أعماله ويصف معنى الحب الذي لا مثيل له. اكتشفت الصوفية ومحيطها اللامتناهي من خلال جلال الدين الرومي. محيط تنبعث منه الأرواح على شكل قطرات وتغرق مرة أخرى بعد التجارب الحسية. بحر من النعيم! غصت فيه مع الحلاج المتمرد الذي كان عليه أن يموت لأنه ادعى أنه "الله". قرأت "ترجمان الأشواق لابن عربي ومنطق الطير للعطار. تعرفت على الروح الشعرية لهذا الدين، روح ناعمة ودافئة وخَيرة ورحيمة بلا حدود. قارنت هذه التجارب بتجاربي في الواقع، كان قلبي يعتصر ألما لأني شعرت أن هؤلاء العظماء في العالم الإسلامي قد تعرضوا للتغييب. قراءاتي لزيغريد هونكه وآنا ماري شيمل ولأعمال العظيم روكرت والمعلم الكبير غوته علمتني كيف أُعجب هؤلاء بالإسلام. فهمت أيضا كيف كان العرب يتبارزون بالشعر في أوقات سابقة. ففي الأندلس إبان العصر الذهبي للإسلام، كان الأمر عاديا، أن يناقش فلاسفة مثل ابن رشد بالقرب من المسجد ما إذا كان العالم قد نشأ في الزمن أم خارج الزمن، محدث أم قديم، أو ما إذا كان الله قد وُجد قبل أو في الزمن. كانوا يتناقشون ما إذا كانت الروح خالدة أم لا، وبعد ذلك يدخلوا للمسجد للصلاة. كانوا مسلمين متدينين لا يخشون طرح أسئلة من المفترض أنها تتعارض تمامًا مع الدين نفسه. كان بالنسبة لهؤلاء من الطبيعي مناقشة دور النبي والسؤال والتساؤل إذا كان يجب أن يكون النبي فيلسوفًا في الآن نفسه. رأى ابن رشد أنه من واجب رجل الدين أن يكون فيلسوفًا أيضًا.

ودوى كلام الرومي العظيم في أذني:

"تعالى لا يهم من أنت، و لا إلى أي طريقٍ تنتهي
تعالَ .. لا يهم من تكون
عابر سبيل .. ناسكاً .. أو عاشقاً للحياة
تعالَ .. فلا مكان لليأس هنا
تعالَ .. حتي لو أخللتَ بعهدك ألف مرة
فقط تعالَ لنتكلم عن الله"

اجتماع علم اللاهوت والفلسفة، أثمر ليس فقط في هذين المجالين، ولكن أيضًا في العلوم الطبيعية. كان علماء الدين المسلمون فلاسفة ورياضيين وعلماء فلك في الوقت نفسه، كانوا متعددي الاختصاصات. المثير للإعجاب هو أن حكام ذلك الوقت كانوا أيضا متعطشين للمعرفة. جمعوا بين أشكال المعرفة من جميع أنحاء العالم وترجموها على مدى قرون إلى اللغة العربية، لغة العلم والفلسفة. لقد اتبعوا ما دعا إليه النبي من انفتاح في الحياة وإبداع وطلب للعلم والمعرفة، النبي الذي قال: "اطلبوا العلم ولو في الصين". والقرآن نفسه حث على التعلم ومعرفة الخلق. اكتشفت دينًا جعل المعرفة واجبا وسمح للعلماء والفلاسفة بطرح أي نوع من الأسئلة، حتى عن الدين نفسه. وهو ما تمخض عن اكتشافات هائلة في العلوم الطبيعية. ولم يقف الأمر عند علوم الرياضيات فحسب، بل حقق الطب على وجه الخصوص إثر ذلك قفزة نوعية خلال تلك الفترة. فالأطباء العرب لم يكن لهم مثيل في المعرفة والقدرات فحسب بل أن عقيدتهم ثابتة أيضا. فأول محاولة للطيران في العالم، كانت مع ابن فرناس. يعتبر الإسلام الفلسفة والشعر والعلوم الطبيعية مكملا للدين. كما أن اكتساب المعرفة ركن مهم في العقيدة الإسلامية. ليس هذا فقط، بل أن نشر المعرفة كان أمرًا طبيعيًا بالنسبة لهؤلاء الأشخاص. كانت الشوارع في قرطبة وغرناطة مضاءة، وكانت هناك مراحيض عامة وكان التعليم إجباريا. أما الطلاب المنحدرين من أوساط فقيرة، فكانوا يتلقون دعمًا ماليًا من حكام ذلك الوقت حتى يتمكنوا من الذهاب إلى المدرسة وساد التطور جميع المجالات. لم يكن ابن فرناس صاحب أول تجربة طيران ناجحة فقط، بل كان صانع أزياء أيضا. وكانت الخلافات حول مفهوم الدين وممارسة شعائره في الإسلام تدور على شكل حوارات. حوارات جعلت الدين أحيانا موضع تساؤل، لكنها لم تضر بالإسلام بل زادته قوة. هؤلاء الناس هم الذين

اقتدي بهم في حياتي. لكني أعيش في زمن يدار فيه هذا الحوار الجدلي للأسف بشكل مختلف. لذلك تجدني أديره مع نفسي، أحاول أن أنقل للأخرين ما أتعلمه عن ديني. بهذه الطريقة أحاول أن أعيش الإسلام وأدمجه في حياتي. اليوم وبعد بضعة قرون، تواجهنا مشاكل من نوع آخر. اليوم لدينا مسلمون مصابون بفيروس نقص المناعة المكتسبة. وقد نذرت نفسي لمساعدة هؤلاء وتنويرهم قدر الإمكان. أرى العديد من النساء اللاتي أصبحن حوامل دون وعي، هنا أسعى إلى تأسيس مراكز استشارية لمساعدتهن. والمدمنون على المخدرات من الشباب المسلم هم أيضا، بحاجة إلى مرافق مناسبة للتعامل معهم، تقدم لهم رعاية من نوع خاص، تأخذ جذورهم الثقافية بعين الاعتبار. كما أن أزمة اللجوء أدت إلى أزمات نفسية حادة لدى العديد من اللاجئين، وحتى المهاجرين الذين قدموا إلى ألمانيا قبل عدة عقود يعانون من أمراض نفسية أيضا. لقد كرست حياتي لمساعدة هؤلاء الأشخاص والعمل على إيجاد مراكز اتصال تعنى بشؤونهم. وفي الوقت ذاته أشعر براحة كبيرة عندما أتمكن من مساعدة أشخاص مصابين بأمراض صعبة يواجهونها بمفردهم.

شد أزر أقارب المرضى والإجابة عن تساؤلاتهم الهامة، هو أيضا جزء كبير من عملي. ومرافقة الأشخاص الذين يحتضرون في أيامهم الأخيرة هو الأخر جزء من عملي كطبيب. وأنهل القوة للقيام بذلك من عقيدتي. مساعدة الغير وحب الآخر وعمل الخير تجاه كل الكائنات الحية، هذا ما يعلمه الإسلام الحقيقي وهذا هو فهمي للإسلام. التقدير المتبادل واحترام الآخر، هذا هو إسلامي. المساواة بين الجنسين هذا هو إسلامي! لذلك ليس من الصعب علي القيام بهذه المهام، أنا لست أكثر من قطرة في محيط لانهاية له. من المهم بالنسبة لي أن يكون الإنسان دائما في مركز الاهتمام، بغض النظر عن دينه أو جنسه أو لون بشرته. وهنا أطبق ما ورد في القرآن سورة 49 الآية 13: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "

قبل عشر سنوات بدأت العمل التطوعي، بما في ذلك في المستشفيات، ثم في مرافق رعاية المحتضرين، وما إلى ذلك. كان لهذه التجارب تأثير قوي جدًا علي. لهذا السبب كنت من الأوائل في ألمانيا الذين روجوا للعناية على أساس الجذور الثقافية، وأنا ملتزم جدًا بهذا الأمر حتى يومنا هذا، سواء عبر المحاضرات التي ألقيها أو من خلال ورش التي أشرف عليها حول هذا الموضوع. منذ أكثر من سبع سنوات تعاملت مع مسألة الموت الرحيم والرعاية للمرضى المسلمين أثناء احتضارهم، وأنا منخرط في تدريب العاملين النفسيين من المسلمين. فأنا أؤيد هذا النوع من الرعاية، وصار صوتي مسموعا في السنوات الأخيرة. وعندما تسمح لي الفرصة، أزور وطني الأصلي لتقديم المساعدة في مستشفياته، ومع ذلك ، لاحظت أن الأطباء هناك على وجه الخصوص غير مرتاحين لهذا العمل. غير أن هذا الموقف لن يؤثر على عملي، فالتعامل مع آراء مختلفة عن آرائي ومع الأحكام المسبقة هو جزء من حياتي مثلما هو الهواء جزء من الحياة.لم أصل بعد إلى نهاية الطريق، ورحلتي مستمرة. إذا سألني شخص ما اليوم من أنا؟ سأقول له أنا شخص نجح في مزج عدة ثقافات ليخلق ثقافة جديدة لنفسه، نجح في توحيد عدة ثقافات في قرارة نفسه دون أن يفقد بوصلته أو يضل طريقه. لو سئلت عن قدوتي لأجبت: أبي. هو الذي كان يقول دائما إنها حكمة القدماء وعلماء الإسلام الصادقين مثل الفارابي والكندي وابن رشد و الرومي، ولكن أيضًا علماء الغرب مثل جوته وروكرت وآنا ماري شيميل الذين أثروا في حياتنا. إذا سألتني عن ديني ، فسأقول:" الإسلام ". ليس لأنني ولدت مسلما ولكن لأنني اخترت هذا الدين عن وعي. إذا سألتني عما إذا كنت أشعر أنني مغربي أو ألماني، فسأقول: "كلاهما وطني". ما الحياة إلا تراكمات من الخبرات. أريد المضي في جمع المزيد من الخبرات. العلم سيرافقني طالما حييت. أنا الآن أنهيت دراسة الفلسفة، وأواصل عملي على صعيد العلوم بنجاح. الفضل في هذا كله يعود لهذا البلد. وعندما أزور المغرب، أرى البلد من منظور مختلف عن الذين يعيشون فيه. عندما أعود إلى ألمانيا، أدرك روعة البلد الذي نشأت فيه. أريد أن أقدم شيئا للمغرب مما منحتني إياه ألمانيا. هذه الجملة تختزل نيتي وأمنية القلب الخالصة.

أخوكم ميمون عزيزي

تصوير: ميمون عزيزي - فندق المامونية مراكش

جواز السفر

تصوير: مليكة العبدلاوي

مليكة العبدلاوي

- من مواليد بني بويحي في شمال المغرب في ألمانيا منذ سن الثانية عشرة
- طبيبة ومعالجة نفسية
- رئيسة المجلس المركزي للمسلمين في ولاية راينلاند بلاتينات

"التنوع في مجتمعنا هو فرصة لنا جميعًا، يجب الاستفادة من إمكانياته الكبيرة."

وصلت مليكة العبدلاوي إلى ألمانيا وعمرها لا يتجاوز اثني عشر عاما. وهي اليوم طبيبة ومعالجة نفسية، ومعالجة متخصصة في المشاكل الزوجية والأسرية. كما أنها متخصصة في العلاج من الصدمات. إلى جانب ذلك تمارس الكتابة وتقوم بأعمال تطوعية في العديد من الجمعيات لتعزيز التعدد والتعايش المشترك. كما تشغل منصب رئيسة فرع المجلس المركزي للمسلمين في ولاية راينلاند بلاتينات، وهي عضو مجموعة العمل الإسلامية للمهن الاجتماعية والتعليمية.

شغف دراسة علم النفس

في وقت مبكر من حياتي أثار اهتمامي السلوك البشري. شغف تولد لدي منذ فترة الدراسة، مادفعني إلى دراسة هذا التخصص. فكثيرًا ما سألت نفسي، لماذا يعمل الانسان بهذه الطريقة، ولماذا أتفاعل أنا بهذه الطريقة وليس بشكل مختلف؟ كنت مصرة على فهم سلوك الناس الذي لم أفهمه بشكل كامل إلى يومنا هذا. على أي حال، كان هذا هو حافزي لدراسة مجال في هذا الاتجاه. بعد الحصول على الباكالوريا، تقدمت بطلب للحصول على مقعد في كلية الطب وعلم النفس. حصلت على الفور على مقعد في مجال علم النفس، أما بالنسبة لكلية الطب فكان عليّ الانتظار قليلاً. بعد دراسة علم النفس، عملت كطبيبة نفسية في مركز إرشاد تربوي تزوره أسر مغربية والعديد من الأسر ذات الأصول المهاجرة. تجربة مكنتني من الوقوف على الحاجة الماسة لهذه الأسر إلى عمل مكثف أكثر مما كان يوفره المركز. لذا فكرت في تطويري مهاراتي في مجال العلاج العائلي. تطلب مني ذلك المشاركة في دورة تدريبية متقدمة لمدة أربع سنوات في العلاج الجهازي. هذا التخصص الذي يركز على السياق الاجتماعي للاضطرابات النفسية، أتاح لي فرصة العمل كمعالجة اجتماعية متخصصة في النزاعات الأسرية لفترة طويلة. لسوء الحظ، اكتشفت وقتها أن هذا النوع من العلاجات لا تتحمل تكاليفه مؤسسات التأمين الصحي. للأسف، لا يزال هذا الأمر ساريا حتى يومنا هذا، ما يعني أن المرضى الذين يقبلون على الحصص يجب أن يتحملوا بأنفسهم مصاريف العلاج. لذا كانت دائمًا معضلة بالنسبة لي أنّ العائلات أو الأزواج الذين يأتون إلي ويعانون من مشاكل كبيرة ويحتاجون إلى مساعدتي، لا يمكنهم دفع هذه التكاليف. كان ذلك أحد الأسباب التي دفعتني لإكمال تأهيل إضافي معمق في العلاج النفسي الديناميكي معترف به من طرف مؤسسات التأمين الصحي. بعد هذا التأهيل تمكنت من فتح عيادتي الخاصة ومواصلة عملي لاستثمار معارفي في هذا المجال.

مركز الإرشادات التربوية

بدأت العمل في مركز الإرشادات التربوية في مدينة ماينتس عام 1998. في ذلك الوقت كان يوجد في المدينة فقط ثلاثة من هذه المراكز: واحد كاثوليكي والثاني بروتستانتي والثالث، حيث كنت

تصوير: إبراهيم ريشوف ـ بورتريه

أشتغل، تابع للبلدية. فباستثناء عدد قليل من العائلات الإسبانية والإيطالية التي كانت تزور مركز الارشادات التربوية الكاثوليكية تحت رعاية مرشدين إسبان وإيطاليين، لم تكن هناك أي عائلات من أصول مهاجرة تقدم على هذا النوع من الحصص، ما عدا نزر قليل جدا من المهاجرين العرب والأتراك والمغاربة. بعد أن بدأت العمل هناك، تغير الوضع في غضون عام، وكانت مفاجأة كبيرة لجميع الزملاء. فجأة رأينا عائلات وأزواجًا من تركيا أو المغرب أو سوريا لديهم مشاكل مع أطفالهم. إذ انتشرت هذه الاستشارة بين عائلات من أصول مهاجرة ومسلمة تعمل في المركز، فأقبلوا علينا طلبا للاستشارات. كان من بينهم بعض العائلات المغربية التي تعاني من مشاكل أسرية كحال العديد من العائلات المهاجرة الأخرى. كانت هناك أحيانا حالات أكثر تعقيدًا وتحتاج إلى حلول معينة. عادة كانوا يأتون عندما تواجههم مشاكل كبيرة تتطلب تدخل مكتب حماية الطفولة والشباب. أتذكر حكاية عائلة هربت ابنتها مع صديق لها ألماني. وهو ما شكل وقتها كارثة كبيرة بالنسبة لهذه الأسرة. فبعد عدة أيام اكتشفت العائلة أن ابنتها كانت رفقة الصبي في كولونيا. كان تبلغ من العمر 15 عامًا فقط، وكان والداها في حيرة من أمرهما بشأن كيفية التعامل مع هذا الأمر. في هذه الحالة، كان دوري مهمًا جدًا، حيث وضع الآباء ثقتهما في وافترضا أنني أستطيع تفهم وضعهما ومخاوفهما. كما أنهما كانا مقتنعين بأنني آخذ المكونات الثقافية والدينية بعين الاعتبار. بعد عودة الفتاة، اتصلت مباشرة بمكتب حماية الطفولة طلبا لحمايتها من والديها، وتم إيواؤها في ملجأ للأطفال. في هذه المرحلة الأولى من العمل المكثف مع الوالدين، كان هدفي أن يتفهم الوالدان سلوك الفتاة. حاولت أن أشرح لهما أن الأطفال أثناء نشأتهم في ألمانيا قد يقعوا في الحب بطريقة مختلفة عما هو عليه الحال في المغرب. أما المرحلة الثانية فتمثلت في تأهيل الوالدين للاستعداد من أجل التحدث مع ابنتهما. وفي المرحلة الثالثة، تمكن الوالدان أخيرًا من الاتصال بالصبي بعد أن تعرفا على والديه. كان من المهم بالنسبة لي أن أجعلهما يفهمان أن الأمر يتعلق بفترة من حياة ابنتهما، وأن عليهما الوثوق في الفتاة والسماح لها باتخاذ قراراتها بنفسها. بعد أسابيع قليلة من تعرف الوالدين على الصبي، كان هناك حديث عن خطوبة، ثم عن زواج في وقت لاحق. كان هذا الالتزام مهمًا للغاية بالنسبة للوالدين، فالأمر لم يعد يتعلق بمجرد علاقة عابرة، بل بعلاقة مفتوحة على المستقبل. كان الدين هو العقبة التالية، وهي مشكلة كبيرة أيضًا. حاولت تشجيعهما على التعرف أكثر على الصبي وتعريفه بتقاليدهما ودينهما، على أمل أن يعتنق الإسلام. لقد عملت معهما على تلطيف الموقف والخروج شيئا ما من حالة الدراما. والآن أصبحت جميع السيناريوهات ممكنة، من بينها احتمال الانفصال، لأن الأمر كان مجرد حماسة ولم يتمكنا من اتخاذ قرار بشأن مستقبلهما في هذه المرحلة من حياتهما. ولكن من الممكن أيضًا أن يظلا معًا، وفي هذه الحالة يمكنهما منح الصبي فرصة لكي يصبح جزءا من الأسرة، وأن يساعدا في تشكيل مستقبل ابنتهما. لقد مكنهما ذلك من حفظ ماء الوجه ومناقشة احتياجاتهما مع والدي الصبي. حتى بالنسبة للأسرة الألمانية لم يكن من السهل أن يرتبط ابنها بشابة من أصول مغربية. فهي ليست مهاجرة وحسب، بل مسلمة أيضا. بالإضافة إلى ذلك، كانت الأسرة المغربية تنتمي إلى الطبقات المحرومة، بينما تتمتع الأسرة الألمانية بوضع اجتماعي ميسور إلى حد ما. بشكل عام، كانت هناك مشاكل متنوعة للغاية. تمكنت الأسرة الألمانية أخيرًا من فهم قلق الأسرة المغربية ومخاوفها ووافقت على إجراء الخطوبة. لم ينتشر الأمر بشكل كبير نحو الخارج، لكن كليهما قدم وعودًا للآخر. كان هذا التطور مهمًا جدًا للأسرة المغربية: فهذا الوضع سمح لها بتوجيه دعوة للصبي لزيارتها في المنزل، إذ أصبح الآن هناك ارتباط يمكن للأسرة التعامل معه بشكل أفضل. ولكن كما كان متوقعًا، فقد الفتى والفتاة الاهتمام ببعضهما بعد فترة معينة، ربما بسبب تخفيف الضغط من قبل عائلتيهما. وهو ما أدى إلى حل المشكلة لتبقى الفتاة وسط أسرتها.

تصوير: ياسين دوالال – رفقة مالو دراير، رئيسة وزراء راينلاند بلاتينات

العلاج الجهازي

من الأهمية بمكان في العلاج النفسي تعلم عدة طرق من أجل الحصول على ذخيرة واسعة من التطبيقات. ففي عملي كطبيبة

تصوير: إبراهيم ريشوف ـ مشاركة في إحدى الندوات

نفسانية ومعالجة أسرية أستفيد كثيرًا من العلاج الجهازي. هنا لا يكون المريض فقط تحت المراقبة، ولكن أيضا نظام العلاقات ككل. ففي هذا النوع من العلاجات لا نتحدث عن "مريض"، بل عن "حامل أعراض"، لأن النظام بأكمله معطّل، ولأن المريض لا يحمل للعيادة سوى الأعراض.

إحدى التقنيات في العلاج الجهازي التي أحبها حقًا هي كوكبة الأسرة، أي ما يسمى بإعادة ترتيب الأدوار. هنا يتم دعوة العائلة لطرح مشكلة معينة على أفرادها في علاقاتهم مع بعضهم. ثم يقوم الحاضرون بتقمص أدوار أفراد الأسرة المعنيين، بما في ذلك أدوار المريض. على سبيل المثال، يتعلق الأمر بالمشكلة الخاصة بقضية الأب، حيث يتم إعادة ترتيب أدوار الأشخاص المعنيين بشكل مباشر في علاقاتهم مع بعضهم. وهو ما يتيح لي بصفتي معالجة معرفة مكامن المشكلة. يبدأ المريض أيضًا في فهم مصدر الصعوبات التي تواجهه، حيث تتضح العواطف وأنماط العلاقة من خلال هذه القائمة. وهو ما يظهر أحيانا تأثيرا هائلا! فالأشخاص الذين يتولون أدوار أفراد الأسرة، يختبرون بعد ذلك مشاعر وأفكارا غريبة جدًا عنهم تكون مفيدة جدًا للعائلة. ففي كوكبة عائلية كهذه، حيث تتراجع العلاقة، يبدأ الزوج بالبكاء. ففجأة يتضح له كمراقب حجم العبء الذي تتحمله زوجته، ولماذا أصبحت المشاكل الزوجية خطيرة للغاية. إنها معرفة مفيدة للغاية للعملية العلاجية، ومفيدة أيضًا في إنشاء رابطة كبيرة بين الزوجين، وتعتبر أساسًا مهمًا لمزيد من العلاجات النفسية.

ما هي عوامل نجاح العلاج الأسري؟

أهم شيء هنا هو التأمل الذاتي وأن يفهم المعنيون بالأمر أن مشكلة العلاقة ليست مشكلة طرف واحد، بل إنها ناتجة عن التفاعل بين جميع الأطراف، بغض النظر عن الجاني أو الضحية، فكلاهما مشارك في هذا الموقف. أحاول من خلال عملي أن أجعل هذه الروابط واضحة، كما أقوم ببعض الأشياء بشكل مختلف عن الفاعلين السابقين. لذلك سمحت لنفسي، على سبيل المثال بعدم التأثر بالعديد من الشكاوى، حتى لو كان الأمر يتعلق بالعنف. في أحد الأمثلة كان الأمر يتعلق بامرأة تونسية أكاديمية متزوجة برجل من أصل ألماني هو أيضا أكاديمي. جاءت إلى العيادة مكتئبة للغاية وخائفة، وقالت إنها عاجزة عن التعامل مع تربية ابنها البالغ من العمر ست سنوات. أقرت أنها تُعنفه أحيانا، وتتعامل معه بقسوة شديدة. كما أن الأب كان هو أيضًا يضرب الطفل، كما لو أن الاثنين اتفقا بطريقة ما على أنه لا يمكن تربيته إلا بالضرب، لأنه صعب المراس بحسب قولها. هنا قلت للسيدة بكل حزم إنني أتحمل مسؤوليتي منذ اللحظة التي أخبرتني فيها بهذه الأشياء. في الواقع، كان لزاما عليّ ربط الاتصال مباشرة بمكتب حماية الطفولة والشباب. ومع ذلك، استطعت التوصل معها إلى اتفاق يقضي بوقف اللجوء إلى العنف

تصوير: صهيب الوايساني - لحظة تفكير

بكل أنواعه. وهو الأمر الذي يسري على الزوج أيضا. واشترطت عليها أنه في هذه الحالة فقط يمكن لي أن أواصل حصص العلاج معها. كان عرضي الذي قدمته لها يتمثل في نقل أساليب تربية من شأنها أن تمكنها من معاملة طفلها بشكل مختلف. مع مرور الوقت اتضح أن المريضة نفسها قد ترعرعت في ظروف يشوبها الكثير من العنف أيضا، وأنها كانت عرضة للإساءة والإهانة من طرف والديها خلال فترة طفولتها. كما أن زوجها الألماني عانى هو أيضًا من أب استبدادي لم يستطع معه تطوير مساعيه من أجل الاستقلال الذاتي، لأن ذلك كان يعرضه للعقاب فورا. لذا تعامل الاثنان مع الطفل، ذي المتطلبات العالية والمراس الصعب، انطلاقا مما تعلماه من مسار حياتهما. لم تدرك المريضة فظاعة وضعها المأساوي للغاية جراء تعاملها مع طفلها إلا من خلال المحادثات. ففي حصص العلاج تعلمت بناء علاقة مع طفلها، وهو ما ساعدها على تخفيف حدة اكتئابها. أصبحت علاقتها مع أطفالها جيدة للغاية. من الصعب اليوم، تصديق أنها تقدم دورات توعوية ودورات للأمهات الشابات حول كيفية تربية أطفالهن دون عنف. لم أقابل زوجها مطلقًا، لكن مجرد أن شيئًا ما قد تغير لديها أثر على الأسرة بأكملها. لو كنت قمت بإقحام مكتب رعاية الطفولة والشباب على الفور، لما كنا لنحقق شيئًا. ذكرت هذه الهيئة، لأن موظفيها غالبًا ما يتجاهلون التعامل مع محنة الوالدين في قضية العنف تجاه الأطفال، ويلجؤون بسرعة إلى الإجراءات الصارمة. غالبا ما يتم في هذه الحالة فصل الطفل عن الأسرة كقاعدة عامة ووضعه في مؤسسة خاصة برعاية الأطفال، مما يعني انسحاب الأسرة تمامًا من المشهد. هناك مثال آخر أستشهد فيه بفتاة تبلغ من العمر 16 عامًا كنت أتابع حالتها. كانت تعيش رفقة والدها وزوجته. يتعلق الأمر برجل مغربي تزوج للمرة الثانية، غير أن الفتاة لا تتفاهم بالمرة مع زوجة أبيها. فبسبب عطالة الأب عن العمل وظروف أخرى، لم يتمكن من فرض صورة الرجل المغربي كسيد للأسرة وراعيها وضامنا للسلام والنظام فيها. لذا كانت تواجهه مشاكل كثيرة تمس قيمة الرجولة لديه. وهو ما أدى إلى تعزيز سلوكه العدواني ضد ابنته. كان هذا العنف في الواقع هو غضب ضد نفسه، لأنه لا يستطيع أن يمثل دوره الذكوري الذي تعلمه في تنشئته الاجتماعية. كان عاجزا عن ممارسة هذا الدور، ما أدى إلى تدخل مكتب رعاية الطفولة والشباب. وفي مقابلة خطة المساعدة كان الأخصائي الاجتماعي يوجه تعليماته للرجل بأنه ليس من حقه تعنيف ابنته أو منعها من مقابلة أصدقائها أو الذهاب إلى المسبح وأشياء أخرى كثيرة، باعتبار أنه هنا في ألمانيا وأن ذلك السلوك لا يتوافق مع القوانين الألمانية، وأنه إذا لم يكن راضيا عنها، فما عليه سوى مغادرة البلاد. طبعا، مثل هذه المواقف لن تدفع الرجل أبدا لكي يكون متعاونا. وبعدما دخلت على الخط وشرحت للزميلة لاحقا محنة الرجل، بدأت المحادثات تأخذ منحى آخر، وبدأ الرجل في الانفتاح تدريجيا. كنت قد أجريت بعض المحادثات الفردية معه وقلت له: "بالتأكيد ليس من السهل عليك التعامل مع مثل هذا الموقف الصعب. مكتب الرعاية يطلب منك شيئا وابنتك تطلب منك شيئا، وزوجتك تريد هي الأخرى شيئًا منك وأنت ضائع بينهم جميعا، ولا يمكنك حل الموقف بالطريقة التي تريدها." هذه المحادثة فتحت لي الباب وأتاحت له فرصة مناقشة مشاعره ووضعه وحاجته. شعر بأنه مخاطب، وهو ما أثر فيه بشكل كبير. أصبح بهذه الطريقة قادراً تدريجياً على الانفتاح والعمل على حل مشاكله، وكذلك على إدراك اعتداءاته بشكل مختلف. تمكن من تطبيع العلاقة مع ابنته، ما أتاح لها البقاء في حضن الأسرة. أعتقد أننا إذا لم نأخذ محنة الأشخاص والمهاجرين العالقين كمعضلة بين النموذج الذي يرغبون في تبنيه والواقع الذي يتعارض معه، فإننا لن نساعدهم، بل سندفعهم إلى مزيد من الرفض والاقصاء.

بعض الأنماط التفسيرية عند المرضى المسلمين

غالبًا ما تتعلم النساء تجرُّع كل شيء وجعل كلمة الصبر فضيلة سيكافئهن الله عليها في وقت ما. غير أن الجسم في مرحلة ما لا يعود قادرًا على امتصاص كل ذلك، ويبدأ في الرفض، ما يؤدي إلى المرض. لهذا السبب كثيراً ما أقول للمرضى: "إذا كان الشخص لا يتكلم، فإن جسده يتكلم". إذا، غالباً ما يُساء فهم مصطلح الصبر. فمن الجيد والمعقول أن يحاول المرء التعامل مع الأمور بهدوء وروية

تصوير: حمزة أونر – رفقة ميغيل فيسينتي، ممثل شؤون الهجرة والاندماج في ولاية راينلاند بلاتينات، أيمن مزيك رئيس المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا ومالو درايرر، رئيسة وزراء راينلاند بلاتينات

والتفكير في كيفية إيجاد الحلول. غير أن هذا المصطلح الذي يعني فقط البقاء في الملعب، بل والإصرار على ذلك، غالبًا ما يُفهم على أنه يعني أيضا ضرورة أن يتقبل المرء الأشياء كما هي، وأن يقبل الظلم أيضا. الكثيرون يختبئون أيضًا وراء هذه الكلمة لأنهم لا يجرؤون على معالجة النزاعات، ويعتبرون ذلك واجبا دينيا وقيمة دينية سيكافأ عليها المرء. وهذا الموقف تواجهه الشابات عندما يشعرن أن شيئا ما ليس على ما يرام في حياتهن الزوجية. لذا، غالبا ما تتدخل الأسرة وتطلب من الابنة الصبر، الذي لن يضيع أجره حتى لو تطلب الأمر قبول الظلم!. أنا من جهتي أشرح لهن أن ذلك غير جائز على المستوى الديني، ولا يسمح لأي كان بانتهاك كرامة الإنسان. فعلينا كمسلمين حماية كرامتنا، لأن الله لا يقبل ذلك أبدا. تتفهم الشابات على وجه الخصوص هذا بسرعة، ويجدن أن زواجهن سيكون أفضل على المدى الطويل، إذا اتخذن موقفًا ودافعن عن شيء ما. ففي

تصوير: مليكة العبدلاوي ـ رفقة عبد الصمد اليزيدي الأمين العام للمجلس المركزي للمسلمين

النهاية لا يريد الرجال أن تضحي زوجاتهن بأنفسهن، أو أن يتخذن دور الضحية باستمرار، لأن هذا يخلق شعورًا بالذنب لديهم، ما يجعلهم عدوانيين. الأمر الذي ينعكس على زوجاتهم.

في هذا السياق، هناك وجهة نظر ذات طابع ديني مفادها أنه ينبغي للمرء أن يطيع دائمًا أمه أو والديه. وتظهر علاقة التبعية هذه بشكل خاص بين الأم والابن. فعندما يقال إن الجنة تحت أقدام الأمهات، غالبًا ما يُفهم ذلك من الناحية المجازية. غالبًا ما تسيء الأمهات فهم هذه الطاعة المفترضة، وبالتالي يبقين أبنائهن تابعين لهن. وكمثال على ذلك رجل ترعرع هنا في ألمانيا وتزوج من فتاة جلبها من المغرب. فمجرد أن تصل تلك الفتاة إلى ألمانيا، تعتقد حماتها أن عليها إعادة تربيتها، بالرغم من أن العروس امرأة بالغة وتلقت تربية في منزل والديها ودرست واشتغلت لحسابها الخاص. من الناحية النفسية، يمكن القول إن الحماة لا تريد أن تفقد ابنها لصالح زوجته. لذلك، فهي تبدل كل ما في وسعها دون وعي، وأحيانًا عن وعي للحيلولة دون تطور أي علاقة حميمة بين الزوجين. يرى الابن هذا ويلاحظ أيضًا أن الأم ظالمة وتسيء معاملة زوجته، ومع ذلك يلتمس لها الأعذار خوفا من اتهامه بأنه عاص وشرير. إذا، ماذا عليه أن يفعل؟ فزوجته الشابة تشكو إليه من حماتها، ويرى هو أيضًا أن وضعية زوجته سيئة، ومع ذلك يبقي نفسه خارج هذا الأمر. وعندما تسير الأمور بشكل جيد، يعترف الرجل أن والدته غالبًا ما تكون غير عادلة، ومع ذلك فإنه يغض الطرف عن سلوك والدته على حساب زوجته، التي يطلب منها الصبر وتحمل ذلك بدعوى أنها أمه، وأنه لا يحق له مواجهتها خوفا من العقوق. فبالنسبة للكثيرين الأم شيء مقدس ولا يمكن التصدي لها ووضعها عند حدها. كما أن كلمة الإحسان في الإسلام تعني ضرورة أن يكون المرء طيبا مع والديه ومحترما لهما وأن يعتني بهما.

تصوير: حمزة أوتر - كلمة ترحيب في حفل الإفطار من قبل المجلس المركزي للمسلمين في راينلاند بلاتينات

ومع ذلك، غالبًا ما يتم الخلط بين ذلك وبين الخضوع لهما. بالطبع يمكن الاعتناء بالوالدين دون أن يعني ذلك التعرض للظلم. فالآباء ليسوا آلهة ولديهم أخطاؤهم أيضا. إنهم بشر بكل نقاط ضعفهم وكل مخاوفهم وجوانبهم السيئة. لهذا السبب لا ينبغي للمرء ببساطة أن يطيعهم في كل ما يطلبونه. لا ينبغي وضعهم في موضع القداسة، وعدم مخاطبتهم إذا ما فعلوا شيئا غير مسموح به، أو عدم وضع حد لهم. أعايش أشياء كثيرة من هذا القبيل لدى الأسر المنحدرة من ثقافات شرقية، حيث لا يمكن مواجهة الوالدين، ويتركان يفعلان ما يريدان حتى وإن كانت مواقفهما شريرة.

الجن والإيمان بالأشباح

المشاكل النفسية غريبة جدًا. فعلى عكس معظم الشكاوى الجسدية، فإن المرء يشعر بالضيق ولا يعرف السبب. فمن تؤلمه ساقه يذهب إلى الطبيب، ومن يشعر بمشاكل في القلب يذهب إلى الطبيب المختص، لأنه يوجد ألم واضح يعاني منه عضو ما في الجسم. أي هناك ألم وهناك اسم لهذا الألم. أما في حالة الاضطرابات النفسية، فلا يوجد اسم أو عضو مطابق لما يعاني به المرء. فإذا أصابه مكروه وشعر بالخوف والقيود والاكتئاب وبأن كل شيء مظلم من حوله، وإذا شعر وكأنه في هوة سحيقة لا يمكنه الخروج منها، فإن المرء يبحث عن تفسيرات، وبالطبع يجد الحل في تفسيرات لا علاقة لها بالواقع. هناك إيمان بالجن في ثقافتنا. وهذا الأمر مترسخ في ثقافتنا الدينية أيضا. إنه عالم موازٍ من كائنات روحية على غرار الملائكة تعيش معنا، ولكنها غير مرئية لنا. لذا، فإن الدين نفسه يقول لا ينبغي أن نشغل أنفسنا بهذا العالم. غير أنه من المنطقي أن يحاول الناس شرح أشياء غير مفسرة. فيقولون مثلا إن المرء تملّكه الجن أو شيء من هذا القبيل، أو أنه إذا سمع أصواتا مجهولة في المنزل فينسبها للجن. إلى جانب ذلك هناك الإيمان بالعين السحرية الموجودة في الثقافة الدينية أيضا، وهناك أشياء كثيرة مرتبطة بهذا التفكير. هناك الكثير من الأفكار الغريبة المرتبطة سلبا بتعويذة الشر هذه، والتي تؤثر على الصحة والعلاقات بشكل خاص. فعندما تسوء الأمور في الزواج، فغالبا ما يتم تفسير الأمر على أنه سحر. أسمع الكثير من هذه الحكايات خلال حصص العلاج، فأشرح للناس أنني لست خبيرة في طرد الجن، وأن عليهم البحث عن شخص آخر غيري، لأنني متخصصة في العلاج النفسي. وقد أظهرت التجربة أن هذا يكفي لكي تتحسن صحة المريض. أتذكر حكاية مؤثرة للغاية لإحدى المريضات، وهي امرأة شابة لديها ثلاثة أطفال. أتت إليّ بعدما تناولت دواء لمرض انفصام الشخصية، وتلقت توصية طبية بتحويلها إلى مستشفى للأمراض النفسية. وفي أثناء استعدادها للذهاب إلى المستشفى، علمت بأنني معالجة نفسانية مسلمة. كانت تصر أن تراني قبل الذهاب إلى المستشفى. ولذا حددت لها موعدا. كان الأمر غريبًا بعض الشيء، لكنني قلت: لا بأس لنرى ما القصة. اتضح أنها كانت حاضرة أثناء نوبة صرع عاشتها فتاة صغيرة. هذه الفتاة كانت تقيم مع جدتها التي كانت تعيش لوحدها. وكانت الجدة مقتنعة تماما أن ما تعاني منه حفيدتها هو بسبب الجن. كانت مريضتي تعلم بقصة الفتاة وبرأي الجدة في الموضوع. وعندما أصابتها حالة جديدة من الصرع، طلبت منها الجدة أن تأتي لزيارتها لتقرأ على الفتاة آية الكرسي لإبعاد الجن عن حفيدتها. كانت السيدة متحمسة وخائفة للغاية لدرجة أنها لم تستطع تذكر الآية التي كانت تحفظها عن ظهر قلب. كانت تبدأ في الاستظهار ثم تتوقف لتعيد من جديد. وهو ما جعلها تؤمن بفكرة أن الجن انتقل إليها أيضا، خاصة وأن وظائف جسدها بدأت تتغير. إذ أصاب ساقيها الهوان، وأصبح قلبها ينبض بسرعة شديدة، وكان كامل جسمها يرتجف، وأصبحت تعيش حالة من الهوس. ومما زاد الأمر تعقيدا أن صادف ذلك أنها كانت مشغولة بصورة الشيطان من خلال حكايات والدها المتكررة عن الشيطان وأفعاله وقدراته الكبيرة. بهذه الطريقة ربطت ما عاشته مع قصص والدها. وفي ظل هذا الخوف عادت إلى منزلها، وكانت مخاوفها تزيد بشكل كبير. كانت تخشى التعرض للهجوم من الخلف، ولم يعد بإمكانها البقاء بمفردها ولا النوم بشكل طبيعي أيضا. عندما كان زوجها يعمل في ورديات الليل، كان على والدتها أن تنام إلى جانبها في السرير. ولم يُسمح للأطفال بمغادرة الشقة أو حتى اللعب أمام الباب، خوفًا عليهم من الجن. لم تعد قادرة

حتى على الذهاب بمفردها إلى الحمام. بدأت تقيد حركتها، ما أدى في نهاية الأمر إلى عدم قدرتها على القيام بأي شيء بمفردها، ولا النوم بدعوى توخي الحذر. بغض النظر عمن كان ينام بجانبها لتهدئتها، فإنها كانت بمجرد أن تسمع أنفاسه أثناء لحظات السكينة تعتقد أنها أنفاس جن ينام بقربها. أصبحت حياتها كلها تدور حول هذا الجن الذي تعتقد أنه يسكنها ويعيش معها. وكانت قد وصفت كل هذه الصور إلى طبيب العائلة الذي أحالها فورا إلى طبيب نفساني بعد اشتباهه بإصابتها بمرض الذهان. ثم نقلت كل هذه الصور إلى الطبيب النفساني أيضا، الذي بدوره أحالها مباشرة إلى مستشفى للأمراض النفسية، بعدما شخص إصابتها بمرض انفصام الشخصية ووصف لها دواء زيبريكسا. جاءت إليّ بكل هذه الملابسات، ترددت في البداية باعتبار أنها قد تكون فعلا مصابة بانفصام في الشخصية. فتركتها تصف لي مرة أخرى قصتها وما حدث معها، وتمكنت من تحديد أن السيدة تعاني من صدمة، حيث يشعر المريض في لحظة ما بالعجز المطلق. لذا عاملتها على هذا الأساس، ورتبت معها عشر جلسات للعلاج احتجنا منها لتسعة فقط. بعد ذلك عادت طبيعية تمامًا وبصحة جيدة. فهي لم تكن تعاني لا من انفصام في الشخصية، ولا من مرض الهوس. رأيتها بعد ذلك عدة مرات، فهي تعيش بالقرب من المنطقة. لم تظهر عليها هذه الأعراض مرة أخرى خلال السنوات الثماني الماضية وهي تعيش الآن بصحة جيدة. في حالة هذه المريضة كانت الخطوة الأولى نفسية تربوية. تركتها في البداية تشرح لي الموقف برمته وتصف لي مشاعرها. تابعتها خطوة بخطوة وبشكل مكثف للغاية. ثم قمت بعد ذلك بتقريب العلاقات الطبية والعلمية المعقدة إليها بطريقة تمكنها من فهمها بشكل جيد، لأن فهم مرضها كان الشرط الأساسي للشفاء الناجع. لقد ساعدتها على فهم أهم المعلومات عن مرضها وإجراءات العلاج اللازمة. أخبرتها عن الصورة السريرية للصرع وبأن تلك الفتاة كانت تعاني من مرض الصرع ولم تكن ممسوسة. ثم شرحت لها الروابط السابقة، أي القصص عن الشيطان. وفي النهاية، لم يكن علي فعل الكثير، لأنه بمجرد أن ذهبنا في المسألة خطوة بخطوة وتعرفنا على القصة بأكملها تدريجيا، فهمت هي بنفسها ما حدث لها، وهو ما أدى فعلا إلى تهدئتها. في الخطوة التالية من العلاج، استخدمت تقنيات علاج الصدمات. وعندما استقرت أوضاعها قمت بتنشيط مواردها الإيجابية. بعد إحداث مسافة معينة مع قصة معاناتها بدأت المرحلة الأخيرة بإزالة التحسس والمعالجة عبر تقنية التقليل أو القضاء على رد الفعل السلبي للكائن تجاه مادة ما أو محفز ما. إنها طريقة علاج الصدمات النفسية التي طورتها عالمة النفس الأمريكية فرانسينا شابيرو. وهي التقنية التي يمكن من خلالها علاج الاضطرابات المرتبطة بالصدمات. كان العلاج سريعًا وناجعا أيضًا، لأن التجربة كانت جديدة، وكانت شخصيتها مستقرة إلى حد ما. لذلك سار كل شيء بشكل جيد. ومع ذلك، أعتقد أنها لو دخلت مستشفى الأمراض النفسية وتلقت علاجا نفسيا، لكان سيتم تعميق هذا التخيلات أكثر لديها. فبصرف النظر عن الآثار الجانبية الخطيرة للمؤثرات العقلية واحتمال ترسيخ دور معين كشخص مريض، فإن المرأة الشابة ستعاني من وصم اجتماعي مع كل العواقب الشخصية والاجتماعية. يحدث شيء من هذا القبيل بسرعة إذا كنت لا تعرف الخلفية الثقافية والأنماط التفسيرية التقليدية.

تصوير: مليكة العبدلاوي ـ رفقة الرئيس الألماني شتاينماير

جواز السفر

حفصة البوحموشي

• من مواليد ١ أبريل 1992 في ألمانيا •
• متخصصة في سوسيولوجيا الأديان •

"على المسلمين استعادة سلطة النقاش"

تقول حفصة البوحموشي: "على المسلمين استعادة سلطة النقاش، ليس فقط في قضايا الإسلام، وإنما بشكل عام". "لا أحد يمنحك الفرصة، بل عليك أن تأخذها بنفسك." كان جيل والديها يفتقر إلى الشجاعة للقيام بذلك. "لقد جاؤوا كعمال مهاجرين. أما نحن فعلينا أن نفتح أفواهنا للقضاء على الأحكام المسبقة." حتى لو لم يسبق أن تعرضت هي نفسها لهجوم مباشر، إلا أنها تعرف الأحكام المسبقة في أذهان الكثيرين. "كوني امرأة، وكوني مسلمة ترتدي الحجاب، فأنا في حد ذاتي هدف، لكنني أكثر دقة - الناس في محيطي حريصون على الانضباط السياسي".

تدخل النحلة مايا من الباب وخلفها بيبي ذات الجوارب الطويلة، يتبعهما قرصان أعور. أنا اليوم الجمال الشرقي وأرتدي قفطانا كلاسيكيا بتطريز ملون وأضع كُحْلا على عينيْ قد يبدو كثيرا بالنسبة لتلميذة في الصف الثاني. لكني لا أكترث حقًّا لذلك، فمظهري يعكس الجمال المثالي للمرأة الشرقية. الشيء المؤسف فقط هو أن هذا المظهر المثالي غريب على زملائي التلاميذ، تمامًا مثل نقش الحناء على يديْ، الذي يعتقدون أنه مرض جلدي أو يفترضون ربما أشياء أخرى أكثر بذاءة. فلا أحد هنا يعرف ما هي الحناء، ربما باستثناء المعلمة. لكنها تتجنب عن قصد الدخول في النقاشات. إنه موسم الكرنفال، وكما اعتاد الناس على الاحتفال به في منطقة شرق وستفاليا نجتمع ونحن نلبس أزياء مميزة ونأكل كعك "برلينر" ونغني أغاني مسلية في جوقة بأصوات عالية وصخب كبير. من بين الأغاني التقليدية أغنية الأقنعة، والأغنية المدوّية عن الحصان الأحمر الذي يستدير فجأة ويصد الذباب بذيله. وبالطبع لا تغيب عن هذا المشهد أغنية الكرنفال الشهيرة عن العمة المغربية التي تأتي على متن جملين، وللاحتفاء بقدومها يتم ذبح خنزير. وبما أنها قد تكون ربما عمتي التي يفترض زملائي التلاميذ قدومها من المغرب على متن جملين، فقد عبرت عن رفضي لذلك وحاولت بفهم تلميذة في الصف الثاني أن أشرح لهم أنه من غير المعقول أن يأتي شخص من المغرب إلى ألمانيا على متن جمل، وأن المغاربة لا يأكلون لحم الخنزير على الإطلاق! غير أنني لم أكن أعلم حتى تلك اللحظة أن زملائي التلاميذ لا يعرفون أين يقع المغرب أصلا، ولا حتى أن معظم الناس هناك مسلمون بمن فيهم أنا أيضا.

تصوير: حفصة البوحموشي - بورتريه

تصوير: حفصة البوحموشي - أيام الطفولة

ما لم أفهمه حتى اليوم – بعد مرور 20 عامًا – هو كيف أن أغنية روحية أفرو-أمريكية تبشر بعودة المسيح، تم إهداؤها إلى الناشطة النقابية ماري هاريس جونز، تحولت إلى أغنية عن عمّة قادمة من المغرب. قد يكون أحد التفسيرات المحتملة هو أن الأطفال قد توقفوا منذ فترة طويلة عن الاعتقاد بعودة المسيح، وأن النشاط النقابي ليس محبوبا بشكل خاص لدى تلاميذ الصف الثاني. في المقابل تعجبهم حكاية عمة تسافر من المغرب إلى ألمانيا على متن جملين.

المواجهة مع هذه الأغنية كانت حاسمة بالنسبة لي. كانت بداية ظهور شخصية مغربية واثقة من نفسها، لم تكن بعد قادرة حتى تلك اللحظة على أن تعبر عن نفسها في الحياة الاجتماعية للمدرسة خارج وسط الأسرة الآمن. إذا، أنا أنحدر من المغرب، وكان لدي عدد غير قليل من العمات اللاتي يعشن في المغرب. غير أن الفارق هو أن العمة في الأغنية كانت هناك لفترة قصيرة. بينما عمتي الحقيقية كانت تعمل وتعيش هناك، ولم تساعدها الظروف الاقتصادية على القدوم إلى ألمانيا، على عكس أبي الذي دفعته هذه الظروف تحديدا إلى المجيء إلى ألمانيا كعامل مهاجر مثل عدد لا يحصى من المغاربة الآخرين، الذين أتوا إلى بلد الرفاهية الموعود بناء على اتفاقية لجلب اليد العاملة.

كان واحدا من مجموعة من الشباب الرجال الأقوياء الذين كانوا يكدحون في مناجم الفحم في منطقة الرور. وكان أربعة أو ستة أو سبعة أشخاص يتقاسمون غرفة للسكن في ظروف عيش بسيطة، وكانوا يزورون عائلاتهم في المغرب كل عام في عطلة الصيف. كانوا يزورون وطنهم محملين بالحلويات والملابس والنقود طبعا، وكان يحتفى بهم كأبطال، لأنهم خففوا العبء المالي على العائلات إلى حد كبير. بالمال الذي ادّخره استطاع والدي الزواج من والدتي وتكوين أسرة. كان يكدح في ألمانيا على مدار السنة، باستثناء أيام العطلات القليلة جدا. فبعد حوالي 20 عامًا من الزواج، الذي أنجب منه خمسة أطفال، تمكن من جلب أسرته إلى ألمانيا الموعودة لمنح أبنائه مستقبلًا واعدًا. ففي قريتهم بني وليشك لم تكن الآفاق واعدة، حيث كانت غالبية العائلة تعيش على الزراعة، التي اتضح جليا قبل عشرين عاما أنه لم يعد بالإمكان ممارستها بالأساليب التقليدية. هكذا، جاء إخوتي من حياة ريفية بسيطة إلى مدينة بيليفيد الكبيرة في أقصى شمال ولاية شمال الراين – وستفاليا. هناك ولدت أختي الطفلة السادسة، ومن ثم أنا التي توجت عرش الأسرة كآخر أطفالها. أحب والداي، وخاصة أمي على الفور الترتيب والحياة المنظمة، والتآزر بين الجيران في وطنهم الجديد. وسرعان ما اندمجت الأسرة في هذا المجتمع المنفتح والديمقراطي. لهذا السبب لم تتردد والدتي في إرسالي إلى دروس الدين الإنجيلي، أو جعلي أرتدي ملابس شرقية أثناء الاحتفال بالكرنفال. وهذا ما طبع في سن مبكرة أسلوبي المريح في التعامل مع أناس ذوي معتقدات مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، علمتنا أمنا منذ سن مبكرة أن نتصرف ونفكر بشكل مستقل. هذا النهج في التربية نابع ليس فقط من تجربة السنوات التي عاشتها كأم عازبة في المغرب، بل أيضًا من سجيتها التي ترعرعت عليها. فوالداي مغربيان، لكن جذورهما أمازيغية من شمال المغرب. أي أنهما ينتميان إلى السكان الأصليين في شمال إفريقيا بلغتهم الخاصة وتقاليدهم العريقة، التي جلباها معهما إلى ألمانيا. ثقافة اتسم تاريخها بالنضال ضد العديد من الغزاة والمستوطنين والمستعمرين: ضد الفينيقيين، واليونانيين، والرومان، والوندالين، والألانيين، والبيزنطيين، والعرب، وأخيراً الفرنسيين والإسبان.

ومع ذلك، فإن المواجهة مع مثل هذه الثقافات المختلفة لم تؤد إلى تفكك الهياكل الاجتماعية الأصلية، بل على العكس قاوم الأمازيغ - أي الأحرار- من أجل الحفاظ على أساليب حياتهم التقليدية والمجتمعية وهياكلهم التنظيمية، التي تلعب فيها الأم دورا أساسيا.

تصوير: حفصة البوحموشي ـ أيام الطفولة

لطالما كانت النساء الأمازيغيات أكثر قدرة على اتخاذ القرارات، داخل الأسرة وخارجها، أكثر مما كان معروفا لدى المجتمعات الأخرى. وهو ما حرصت والدتي على تلقينه لجميع أطفالها. فهي ربتنا على قواعد واضحة، وعلى فهم تقليدي للإسلام، وقناعة راسخة بالمساواة بين الجنسين. لذا كان الاختلاف بين إخوتي بحسب شخصياتنا وأداءنا، وليس بحسب جنسنا. تعلمت منها أن الناس لا يختلفون من حيث الجنس أو العرق أو الجسد، بل من خلال استعدادهم للتعلم من إخوانهم البشر، والقدرة على التعاطف والتعامل المنفتح مع الأخرين.

لطالما كانت والدتي امرأة قوية. وقد ساهم الانشغال بقصة حياتها، التي أحاول رصدها من خلال عمل بيوغرافي، في تعزيز احترامي وإعجابي بقوتها وقدرتها على المقاومة. وهو ما سمح لها أيضًا بإتقان إدارة حياتها في ألمانيا. بيد أن سيرتها الذاتية ليست حالة فردية، فهناك عدد لا يحصى من النساء اللواتي يلهمن جيلًا كاملاً من الأمازيغ في ألمانيا، وقصصهن لم تسرد بعد. قصص تشكلت من خلال المقاومة التي تفجرت آخر مرة في عام 2017 عندما اندلعت مظاهرات وأعمال شغب في منطقة الريف احتجاجا على الأحوال الاقتصادية والسياسية السيئة في المغرب، حيث يسود النظام الملكي البرلماني. تطور تابعه الأمازيغ في ألمانيا بمن فيهم والداي باهتمام كبير وساندوه. فالفضائل الألمانية التقليدية تكتسي أهمية كبيرة بالنسبة لوالديْ، اللذين حرصا في الوقت نفسه على تعزيز الشعور لدي وأنا طفلة بالانتماء للمغرب. هوية مندمجة بقوة مع العقيدة الإسلامية التي علمنا إياها والداي، والتي رسخت نفسها على مر القرون بشكل طبيعي لدى الأمازيغ. السعي وراء الاستقلالية والاعتماد على الذات من الفضائل التي حرصت والدتي على غرسها فينا من خلال أشياء أساسية مثل التعليم. فالمدرسة والتعلم كانا يحظيان بأولية كبيرة في عائلتنا. ورغم أن والدتي نفسها لم تتعلم اللغة الألمانية إلا في سن الخمسين، إلا أنها قدمت لنا الدعم المعنوي والتحفيز دون التخلي عن الصرامة اللازمة من أجل مسيرتنا المدرسية. ويتعلق الأمر بأشياء تافهة كمتابعة الواجبات المدرسية خلال المساء عبر أشقائي الكبار، ولكن أيضا بحرص أمي الحثيث على مناقشة محتويات المنهج المدرسي والاستفسار عن المعلمين والتقدم المحرز. ومن خلال تبادل الأفكار الواسع داخل الأسرة، ظهر في وقت لاحق اهتمامي بالكتب والمجلات والمقالات، وبكل شيء آخر صالح للقراءة يمكن العثور عليه في محيطي. افتتنت بإمكانيات التعبير اللغوي، لذلك طوّرت – دون وعي تام آنذاك – ميْلي إلى مناقشة مواضيع العلوم الإنسانية خلال فترة التمدرس، ما جعلني في النهاية أختارها كشعبة لدراستي الجامعية. غير أن مادة اللغة الألمانية لم تكن تسترعي اهتمامي بسبب افتقاري لشغف المواجهة مع قواعد اللغة. أما اللغة العربية، فكنت متحمسة لها بما يكفي. ولهذا قررت الجمع بين التاريخ والعلوم الإسلامية في دراستي بجامعة فيلهلم وستفاليا في مدينة مونستر. دراسة مكنتني من الوقوف على مدى التداخل الكبير بين التاريخ الأوروبي والتاريخ العربي الإسلامي.

تصوير: حفصة البوحموشي ـ ضمن أنشطة مؤسسة ابن سينا

هذا أتاح لي ولأول مرة فهم أن العالم لا يتحرك في مسارات منفصلة، بل إن النسبية تحظى بأولوية قصوى، لأن الذاتية ميزة لا يمكن لأي شخص الخلاص منها. كتاب أمثال توماس باور هم الذين مهدوا الطريق لنا لفهم أن الثقافات في خصوصياتها ليست ثابتة، وأن التصنيفات تعبر أحيانا أكثر عن ذاتنا، وأن فهم الناس للأديان عبر القرون المختلفة ليس سوى إدراك لحظي. إنه إذا مدخل قد نحتاج جميعا للاستفادة منه أكثر. على الرغم من حبي للبحث والتحليل والتأمل لساعات طويلة، إلا أن المناقشة النظرية ليست كافية بالنسبة لي. لهذا السبب شاركت في رابطة الجامعات الإسلامية ونظمت حلقات لحوار الأديان وفعاليات صيفية وأمسيات مشتركة للإفطار في شهر رمضان. يبهرني الانشغال بالتدين المعاش وبأشكاله التعبيرية وبعمليات التفاوض المرتبطة به، وهذا دفعني إلى دراسة الماجستير في موضوع "الدين والسياق الثقافي" في جامعة لاينتس في هانوفر. هناك درست مجالات متعددة عن احتمالات الاندماج والصراع الكامنة في الأديان في مجتمع تعددي. وفي هذه المرحلة رافقتني مؤسسة ابن سينا بشكل مكثف أكثر من دراستي. شكّل قبولي في المؤسسة تحولا بالنسبة لي على المستويين الشخصي والأكاديمي نادرًا ما كنت متحمسة مثلما حدث أثناء مقابلة الاختيار. مقابلة تختبر مدى ملاءمة المترشحين من حيث الأداء الأكاديمي والنشاط الإجتماعي، ما ساعدني على توضيح المسار الذي أريد أن أسلكه. مسار أكاديمي يركز على الإسلام في ألمانيا، ويتيح لي بناءً على خبرتي وملفي الأكاديمي منظورًا داخليًا وخارجيًا حول تفسير وممارسة الدين.

تأسيس المؤسسة لا يمثل فقط خطوة هامة في الاعتراف المجتمعي والسياسي بالمسلمين في ألمانيا، بل أيضًا في الاعتراف بكل حاصل على منحة دراسية. فنحن المسلمين نستحق الدعم في مسار حياتنا. تتيح الشبكة الأكاديمية الواسعة إقامة علاقات وطنية ودولية مع الأكاديميين. ومن خلال مبادرات المنح الدراسية، التي كنا أول من ساهم في تنظيمها، اكتسبت المؤسسة طابعها المتفرد، والذي سيستمر بفضل مساهمة أكثر من 300 من الحاصلين على منح الدراسية. الدعم، والربط، والتطوير هي المبادئ التوجيهية لمؤسسة ابن سينا التي تُعاش وتُنقل إلى الآخرين.

الدعم المالي والفكري من قِبل مؤسسة ابن سينا أتاح لي شخصيا إمكانية الدراسة في الخارج، حيث ذهبت إلى الأردن أثناء مرحلة الماجستير، وتمكنت هناك من تعميق معرفتي باللغة العربية وبالعلوم الدينية. امتياز كبير بالنسبة لي، وتجربة علمتني كيف يناقش، ويفسر، ويعيش الناس الدين الإسلامي في مناطق أخرى من العالم.

حملت هذه التجربة معي إلى ألمانيا وسألت نفسي، كيف يحدد المسلمون في ألمانيا معايير ممارسة الشعائر الدينية ويطبقونها في بيئة علمانية. وهذا ما جعلني أكرّس بحث التخرج لموضوع "المجلس الأوروبي للفتوى والأبحاث ودوره في تحديد المعايير الدينية في ألمانيا". موضوع جعلني أتحدث مع أئمة من جميع أنحاء ألمانيا، حيث تعرفت ليس فقط على تنوع الأساليب، ولكن أيضًا على تحديات الهوية الدينية في ألمانيا.

وهذا يرتبط بعوامل مختلفة، لا سيما بالصراع مع أقليات دينية أخرى في ألمانيا. قادني الوعي بهذا الأمر في النهاية إلى المكان الذي أنا فيه الآن: حي كرويتسبيرغ في برلين، حيث يوجد المتحف اليهودي وأكاديمية المتحف التي تضم المنتدى اليهودي الإسلامي. المنتدى بمثابة منصة للنقاش والخبرة الأكاديمية. وبصفتي باحثة مساعدة لدي هنا الفرصة لمتابعة النقاشات الحالية وجعلها في متناول جمهور عريض على شكل محاضرات وندوات وورش عمل ومؤتمرات.

تصوير: حفصة البوحموشي - بورتريه

ينصب التركيز على فهم المسلمين واليهود كأقليتين دينيتين في ألمانيا لهما خصائص مشتركة أكثر مما ينعكس في النقاش العام. إن الهدف من المنتدى هو الوقوف على أوجه التشابه بين اليهودية والإسلام من منظور مقارن، دون إلغاء الخصوصيات والتفاصيل. من خلال الفعاليات المقترحة، نسعى للتصدي للتناقض اللافت للنظر في كثير من الأحيان بين الديانتين والذي ينتشر في ألمانيا لأسباب كثيرة من بينها التداعيات المباشرة للصراع في الشرق الأوسط. ولكن غالبًا ما تبرز أيضًا صورة استشراقية لكلا الديانتين من خلال الحوار مع الزوار: فهم لليهود والمسلمين كشرقيين يرفضون - حتى بعد عقود من الاندماج في وطنهم ألمانيا - بسبب أصولهم ودينهم تقبل قيم وقواعد هذا المجتمع. والعامل المهيمن هنا هو عدم تفهم أن معتقدا معينا وممارسته لا يتوافقان مع الحياة في مجتمع علماني. العمل في الأكاديمية يتيح لي هنا إظهار الاختلافات الهيكلية التي تغذي في ظروف معينة مثل هذا القصور في الفهم، ولكنه يمكنني أيضا من التوسط بين وجهات النظر والآراء الكونية.

لأنه حتى بعد مرور 20 عامًا، وإن لم تعد الفكرة الاستشراقية عن العمة المنحدرة من المغرب قائمة، وحلت محلها فكرة اللاجئ لأسباب اقتصادية الذي يجلب معه إلى ألمانيا تصوراته المخالفة لأسلوب الحياة، تبقى المشكلة هي نفسها: انفصال ظاهر بين المسلمين كأقلية وبين مجتمع الأغلبية. لا أدري إن كان زملائي في المدرسة ما زالوا يتذكرون اليوم العمة من المغرب. لكن بالنسبة لي، كانت تلك اللحظة الحاسمة لإدراك أن الحياة كألمانية مع والدين ينحدران من المغرب تعني شيئًا واحدًا: هو فهم وإظهار كيف تؤثر النقاشات على الناس، وكيف أن فهم مجتمع الأغلبية للأقليات له تداعيات حقيقية. وكوني أستطيع مواجهة ذلك من خلال عملي، يمثل بالنسبة لي فرصة كبيرة، سأستمر في بحثها بأسلوب علمي. وسواء تعلق الأمر بمؤسسة ابن سينا أو بالمنتدى اليهودي الإسلامي فهما بالنسبة لي مؤسستان تعارضان هذا الفهم، وتسهمان في تعزيز مجتمع منفتح وليس متسامحا كما يروج البعض، بل متقبل للآخر.

تصوير: حفصة البوحموشي ـ صحراء وادي رم بالأردن 2016/2015

جواز السفر

وسيمة لعبيش

- من مواليد 1994 في ألمانيا
- طالبة في السياسات العامة

"أحب أن أكون كما أنا وليس كما يراني الآخرون"

لطالما اهتمت وسيمة لعبيش بالقضايا السياسية. وتشمل مجالات اهتمامها الشؤون الخارجية وقضايا العنصرية وحقوق الأقليات. "إنني مفتونة بالعلاقة بين عدة دول وبفكرة الأمم المتحدة الرامية إلى ضمان الأمن والسلام من خلال مناقشة المشاكل وتقييمها لإيجاد حلول تفضي إلى اتفاقيات وتسويات جيدة. في الوقت نفسه، يثير افتناني أيضا النقد الراسخ والبناء للمؤسسات القائمة."

السيدة لعبيش، ما هي التجارب التي عشتِها خلال مرحلة التمدرس؟

سأبدأ بالحديث عن أصولي. لدي سبعة أشقاء: خمسة إخوة وأختان. أما تجاربي المدرسية فهي متباينة جدا. كنت طفلة ذكية وصاخبة للغاية. ونتيجة لذلك، نُصِحت والدتي بأن تتركني في روضة الأطفال لسنة أخرى، بدل الالتحاق بالمدرسة الابتدائية. غير أنها لم تعمل بهذه النصيحة وألحقتني بالمدرسة وعمري حوالي ست سنوات. في الفصل الرابع وبدعوى أن مستواي دون المدرسة الثانوية، تم توصية أمي بضرورة إلحاقي بالمدرسة المتوسطة Realschule أو المدرسة الشاملة Gesamtschule لأن قدراتي لا تساير مستوى المدرسة الثانوية والبكالوريا. غير أن والدتي كانت أكثر معرفة بي ووضعت ثقتها الكبيرة في قدراتي، وأصرت على التحاقي بالمدرسة الثانوية. وبما أن لدي شقيقتين كبيرتين كانتا بالفعل في هذا النوع من المدارس، التحقت أنا بثانوية مزدوجة اللغة، على عكس توصية المدرسة، وحصلت على شهادة الباكالوريا عام 2013. طبعا، واجهتني صعوبات خلال فترة دراستي. فوالداي اللذان كانا يدعماني دائمًا،

تصوير: وسيمة لعبيش ـ رحلة دراسية في بيروت 2019

تصوير: وسيمة لعبيش - في جامعة ماربورغ

كانا ولا يزالان يكدحان حتى الآن. اضطر كلاهما إلى ترك المدرسة في سن مبكرة من طفولتهما. لهذا، إعجابي بهما كبير للغاية، لأنهما بذلا أقصى جهودهما من أجلنا نحن الأطفال الثمانية، وشجعانا دائما من أجل التحصيل العلمي لتحقيق أحلامنا. فأختي الكبرى وهي الآن طبيبة نفسية، كانت بمثابة دعم كبير لي، وكانت مثالا يحتذى به في نواح كثيرة: حققت أشياء كثيرة بشكل مستقل ونقلتها إلي، كالحصول على المنح والسفر إلى الخارج. وأنا بدوري حاولت أن أنقل تلك الأشياء إلى إخوتي الصغار. والآن أخي الأصغر رجل شرطة ويعيش معي في برلين. تعلو محياي ابتسامة، عندما أتذكر كيف كنا نحن الستة في نفس المدرسة الثانوية لفترة من الوقت. نعم، يجب أن أقول إنني من ناحية أحببت المدرسة تمامًا، ولكن من ناحية أخرى كانت هناك بعض التجارب السلبية. لم يكن هناك الكثير من الأشخاص الملونين، وكنت الوحيدة التي ترتدي الحجاب. أن يتم تصويرك كشخص مختلف وغريب، بدأ في مرحلة الروضة واستمر ذلك خلال فترة المدرسة. كانت علاقتي مع المعلمين في ذلك الوقت معقدة للغاية أيضًا وتتصاعد حدتها أو تنقص بحسب تجارب المدرسة الجيدة أو السيئة. لكن بخلاف ذلك، كان لدي أصدقاء رائعون، وما زلت أحتفظ ببعض الصداقات إلى يومنا هذا، واللحظات التي خططنا ونفذنا فيها بأنفسنا مشاريع كتلاميذ. في وقت مبكر، تطوعت لممارسة العمل الجمعوي من خلال جمعية "الشباب المسلم في ألمانيا". كانت لي في البداية أنشطة كثيرة مختلفة، وفي الأثناء أصبحت عضوا في مكتبها المسير. كنت أحضِّر أنشطة الجمعية، ما ساهم في بناء هويتي كشابة ألمانية مسلمة. كانت ولا تزال هناك شخصيات مميزة وقوية تظهر لك أن كل شيء ممكن، وكيف يبدو حب الذات والقبول. فالجمع بين المحتوى القوي والفرص الترفيهية هو بالضبط ما كنت أحتاجه في ذلك الوقت. وبين هذا وذاك هناك

طبعا سؤال الهوية: هل أنا ألمانية؟ هل أنا مغربية؟ يضاف إلى ذلك أنني أمازيغية ولست مغربية عربية. إلى جانب هذا التمزق والتقلب بين كل هذا، فإنني أتكلم خمس لغات بطريقة ما. وهذه قوة! ثم قلت: حسنًا! بطريقة ما لم يكن كل شيء مناسبًا، وكان لدي مرحلة استكشاف صارخة جدًا. ثم غرقت في المسرح، والحمد لله، وجدت نفسي أعتلي خشبات المسرح لمدة ست سنوات أطلقت فيها العنان لكل مشاعري وتركتها تسبح بكل حرية. وكان هذا كله في فترة مراهقتي التي اتسمت بمراحل تقلب، تارة نحو الأعلى، وتارة أخرى نحو الأسفل. يضاف إلى ذلك المشكلات التي واجهتها مع نفسي، لأنني لم أستطع تصنيف نفسي، لأنني آمنت وكنت مقتنعة أنه لا يمكنني أن أكون إلا واحدًا، وأنه لا يزال يتعين علي الاختيار. وهذا بالطبع محض هراء. هذه الخلاصة التي وصلت إليها اليوم لم يكن باستطاعتي الوصول إليها وأنا في الرابعة عشرة من عمري.

التطوع هذا بالضبط ما أردت الحديث عنه. هناك مواد كنت قوية جدا فيها، مقابل مواد أخرى لم يكن الأمر فيها على ما يرام، كالرياضيات مثلا. كانت اللغات متعتي الحقيقة، إلى جانب مادة السياسة وكل ما يتعلق بالقضايا الاجتماعية. وأعتقد أن جذوري لعبت دورا بطريقة ما، عندما كان الأمر يتعلق بقضايا الفقر والعدالة والسياسات تجاه الأقليات. وهو ما يمكنني اليوم الوقوف عليه بوضوح شديد، وكان قد شدني أثناء النقاشات وأنا تلميذة، ولكن أيضا حيث لم أكن أدرك أحيانا أين يمكن لي توظيف ذلك. تم انتخابي بعد ذلك كعريفة للمدرسة الثانوية واكتشفت للمرة الأولى مدى روعة قيادة المجموعات، وتفويض المهام، وتنظيم حفلات التخرج. لقد قمت بذلك مع زملائي في الفصل. وبعد ذلك، وفي الثامنة عشرة من عمري، أي في سنتي الأخيرة من المدرسة الثانوية، ارتديت الحجاب. وكانت تلك خطوة أخرى جريئة. كانوا يعرفونني، ويعرفون جميع أفراد عائلتي في المدرسة، لأننا كنا ستة من بين ثمانية اخوة في هذه المدرسة.

يمكنكم أن تتخيلوا أننا كنا مثل عائلة "ويزلي" في سلسلة هاري بوتر. نعم كانوا يسمونا كذلك. نعم كنت المتحدثة الرسمية لمدة عام، وقمت بتنظيم حفلة التخرج، حيث أقمنا أمسية فنية. وهو التقليد الذي لايزال مستمرا حتى الآن. بعد ذلك قمنا بأداء مسرحية، وعزفنا الموسيقى. فعلنا كل ما يحركنا لتحرير أنفسنا من الضغط الشديد الذي عانينا منه أثناء التحضير لامتحانات الباكالوريا. ومن المثير للاهتمام، أننا من جهة احتفلنا بشكل لا يصدق، وتم الاعتراف بأنه كان إنجازًا رائعًا ما حققناه كتلاميذ نظموا أنفسهم وجلبوا الكثير من المال لتنظيم حفل التخرج. ومن ناحية أخرى، ظهر غرور بعض المعلمين، الذين لم يعجبهم الأمر إلى حد ما. ثم جاءت اللحظة التي وقفت فيها على المنصة مرتدية الحجاب لألقي الكلمة الترحيبية. لقد بدأت بالنكتة التي أكدت من خلالها على أنني لا زلت على حالي، وهذا صحيح بالطبع، ولكن كان للأمر تأثيرات مختلفة جدًا. ففجأة تم سحبي من الفصل من قبل المعلمين الذين كانوا يعرفوني على مر السنين، وتوجيه السؤال المباشر لي عما إذا كان كل شيء على ما يرام داخل الأسرة، رغم أنهم كانوا يعرفون عائلتي ووالدَيْ، خصوصا أمي التي كانت منخرطة في قضايا المدرسة. الجيد هو أنه كان قرارًا مهمًا للغاية بالنسبة لي. وهو قرار فكرت فيه لفترة طويلة للغاية، وقد منحني قدرًا لا يُصدق من القوة. وكان ولا يزال بالنسبة لي مظهرًا من مظاهر حريتي واستقلاليتي. لهذا السبب تمكنت من تجاوز الأمور بالرغم من التحضير للباكالوريا والتخطيط لحفل التخرج.

لو تركنا فترة المدرسة وانتقلنا إلى مرحلة الدراسة الجامعية، كيف كان قرار الدراسة؟

بعد حصولي على الباكالوريا بدأت الدراسة مباشرة في جامعة ماربورغ. درست علوم الشرقين الأدنى والأوسط مع التركيز على السياسة والسلام والأبحاث في قضايا النزاعات. قررت المضي قدما في هذه المادة، لأنني اكتشفت تدريجيا خلال الدراسة الثانوية أن ميولي كانت نحو السياسة، وأن شغفي كان يسير نحو الموضوعات المعقدة، خاصة في منطقة لدي ارتباط شخصي بها. لكن في نفس الوقت لدي شعور بوجود الكثير من الالتباس حول هذا الموضوع، بينما يتم الحديث كثيرا عن الصراع وقليلا عن الحلول مع إملاءات كثيرة. وكل طرف يحمل المسؤولية للطرف الثاني. قلت في نفسي إن الأمر أكثر تعقيدًا، وكنت مصرة على فهم ما يجري. أردت فعلاً تعلم اللغة العربية

تصوير: وسيمة لعبيش ـ ضمن حلقة نقاش في برلين

تصوير: وسيمة لعبيش - الأردن

لأن لغتي الأم هي الأمازيغية. كان هدفي من ناحية، بدافع ديني لفهم القرآن بشكل أفضل، ولكي أتمكن في نفس الوقت من قراءة الأعمال ذات الصلة. كنت أرى أنني إذا كنت أرغب في التعامل مع منطقة، فمن الضروري أن أتحدث بإحدى لغات تلك المنطقة، حتى لو تعلق الأمر بعدة لهجات. فوجدت هذا المزيج من اللغة العربية أو لغات المنطقة والسياسة في ماربورغ. وكان هذا هو القرار الأفضل أيضًا، وتُوّج بشهادة البكالوريوس. خلال تلك الفترة قضيت جزءا من الدراسة في الأردن، وشاركت في العديد من المؤتمرات، على سبيل المثال في نيويورك وأنطاليا. شاركت في مجموعات للبحث في كل من اسطنبول والبوسنة، وزرت فلسطين والعراق ومصر. تمكنت بالفعل من اكتساب قدر لا يصدق من الخبرة أثناء دراستي. إلى جانب ذلك، كنت نشيطة في العمل التطوعي. كنت متيقنة من أن ماربورغ هي أيضًا مدينة مثالية للتكوين السياسي. وهو أمر مهم بالنسبة لي، ساعدني في تعلم ثقافة الجدل والنقاش. وفي الآن نفسه، يعتبر مركز دراسات الشرق الأدنى والأوسط في ماربورغ من أفضل المراكز في ألمانيا. لذا كان حافزي هو الحصول فعليًا على درجة البكالوريوس في ماربورغ ثم السفر إلى الخارج لفترة من الوقت.

والآن أحضّر درجة الماجستير في برلين، ولذا انتقلت إلى هذه المدينة. خلال فترة دراسة البكالوريوس تعاملت كثيرًا مع الحركات الاجتماعية. صحيح أنني تعلمت من ذلك الكثير، ولكنني قلت لنفسي إن دراسات الشرق الأدنى والأوسط لا تعني فقط التعامل مع المنطقة على هذا النحو، بل كذلك مع الموضوعات المرتبطة بك والتي تحدث في ألمانيا أيضا. ففهمي هو شامل والعالم متداخل مع بعضه في كل شيء. بمعنى آخر، كل ما يؤثر على المسلمين في ألمانيا. فعلى سبيل المثال، إذا افترضنا الآن وجود عنصرية ضد المسلمين، فهذا مرتبط بفترة ما بعد الاستعمار، أو إذا تحدثنا عن حقوق اللاجئين وواقعهم، فيقتضي الأمر فهم الصراعات وآليات القمع، إلخ. أعتقد أن هذا بلغ ذروته في موضوع بحثي للبكالوريوس الذي خصصته للرعاية الدينية في السجون، خاصة تلك المتعلقة بالسجناء المنحدرين من أصول مسلمة وبالبعد الأمني. لقد شققت طريقي في هذا المضمار، ليس فقط لكوني مهتمة بشكل لا يصدق بالتطورات في ألمانيا فحسب، وليس فقط على أساس تطوعي أو عندما يتعلق الأمر بتمكين الشباب، بل أيضا لأنني أجد أن القضايا السياسية المتعلقة بحقوق الأقليات وحياة المسلمين مثيرة للغاية. في الوقت نفسه، ما زلت ألاحظ أن العادات الألمانية تتغير وأن هناك الكثير من سوء الفهم عندما يتعلق الأمر بحياة المسلمين في ألمانيا. نعم، أنا على طريق الأمان أكثر فأكثر. ماذا يعني الأمان في الواقع، وربط المسلمين بالمشكلة الأمنية كتهديد؟ لهذا بالضبط خصصت موضوع البكالوريوس للرعاة الدينيين المسلمين في السجون، ومدى التقييد الذي يواجه هؤلاء في عملهم، حيث يُفترض أن السجناء المسلمين ليسوا سوى متطرفين. فبصرف النظر عن حقيقة أنهم كانوا مجرمين ويقضون عقوبتهم الآن، إلا أنه في النهاية لديهم حقوق ويتم تقييدها بشكل كبير. لكنني لا أريد أن أبالغ. إذ تعلمت مجموعة أدوات مهمة أثناء تحضير شهادة البكالوريوس، للعمل بشكل تحليلي حتى أجد إجابات على الأسئلة وأستطيع بناء أسئلة أخرى عليها.

وقد ركزت على ذلك في عدد من الدروس التي أعطيتها في الجامعة. كما أنني طالبة مساعدة في فريق علمي للبحث، وأعرف أن تركيزي لن يقتصر فقط على الشرق الأدنى والشرق الأوسط وشمال إفريقيا. فخلال التحضير للبكالوريوس، صادفت في طريقي مدرسة هيرتي سكول للحوكمة، وهي الأبرز في ألمانيا وإلى حد ما في أوروبا في مجال السياسات العامة، وأبحاث الحوكمة، والعلوم السياسية، والسلوك العام. تعرفت على هذه الجامعة من خلال شخصين من معارفي، غير أنها كانت بعيدة عن منالي. من جهة، لأنها جامعة خاصة، ولأنني لن أطلب - ولم يسبق لي أبدا - أن طلبت مالا من والديّ لهذا الغرض. وأنا أشكر الله أن التعليم في ألمانيا مجاني. بيد أن هذه الجامعة شيء مميز، والشهادة التي حصلت عليها هناك مهمة للغاية. وقد تحقق ذلك بسبب منحة مؤسسة ابن سينا. هذا هو البرنامج الدراسي الثالث عشر في ألمانيا للطلاب المسلمين الموهوبين، أي لطلاب متنوعين من جميع أنحاء ألمانيا. لهذا، تلقيت منحة دراسية جزئية من البداية، ثم وجدت خيارات تمويل أخرى.

بفضل ذلك تمكنت من إنهاء أول سنة لي في الماجستير الأسبوع الماضي. فالدراسة هناك باللغة الانجليزية وتقدم لي نظرة ثاقبة متعددة التخصصات وعملية مع مجموعة من الأدوات لمعالجة المشكلات الاجتماعية فيما يتعلق بالمؤسسات العامة والقطاع الخاص. هذا بالإضافة إلى طرق عمل الدولة وكيفية تحسينها، من أجل حياة أفضل للسكان. فسواء كان الأمر يتعلق بالقطاع العام والأشياء العادية جدًا مثل الخدمات، أو بالمواضيع التي تحظى باهتمامي فيما يتعلق بسياسات الأقليات. قضايا من قبيل "من له كلمة الفصل هنا"، و "من المسؤول عن صنع القرار السياسي". وهذا ما منحتني إياه هذه الجامعة بالرغم من أنها صارمة للغاية من حيث مناهجها الدراسية وطريقة العمل. فأنا الألمانية الوحيدة التي ترتدي الحجاب، أي المرأة المسلمة التي تكشف عن نفسها. وهو ما يثير اهتمام العديد من الأشخاص داخل ألمانيا أو خارجها. إذ يسفر ذلك عن نقاشات مثيرة للغاية، والناس يستقبلونني بشكل منفتح. وهو أمر لطيف جدا.

لقد ذكرت بالفعل بعض التجارب الخاصة، على سبيل المثال إقامتك في الخارج وما أتاحته لك دراستك بشكل عام من إمكانيات مهمة. ما هي التجارب التي عنت الكثير بالنسبة لك، وأيها ظل عالقا في ذاكرتك؟

حسنًا، يجب أن أقول بوضوح شديد إنه كان لدي دائمًا شوق للسفر والتعرف على الناس واكتساب خبرات جديدة. أعتقد أن السبب في ذلك يعود أيضا إلى أننا كنا نسافر إلى المغرب كل عام تقريبًا. في الواقع، عندما كان أجدادي لا يزالون يعيشون هناك وعائلتي أيضا، كان يتملكني دائما في وقت مبكر جدا توق كبير إلى زيارة الدول الأجنبية. أعتقد أن هذا هو حال كثير من الأشخاص الذين لهم أصول متنوعة أو هويات متعددة. طبعا لم تتح لي خلال أيام دراستي فرص كثيرة للسفر إلى مناطق بعيدة أو بمفردي. في حين كان زملائي في الدراسة قد ذهبوا بالفعل إلى أمريكا أو أستراليا لمدة عام. أما أنا فلم يكتب لي ذلك لأسباب مالية، أو بسبب السن على نحو خاص. كانت تلك دائما رغبتي، واعتقد أن أحد أهم الأشياء بالنسبة لي هو أنني تمكنت من تحقيق أحلامي من خلال دراستي، ثم عبر منحة ابن سينا الدراسية. إذ تمكنت خلال عام واحد من زيارة ستة بلدان مختلفة. زرت نيويورك لقيادة مجموعة من المندوبين للمشاركة في أشغال نموذج الأمم المتحدة للشباب. بعد ذلك بشهرين شاركت في مؤتمر في تركيا، تلته أول زيارة لي إلى الأردن خلال الصيف لحضور دورة للغة العربية لمدة شهر. ثم من هناك ذهبت إلى فلسطين، ومنها إلى اسطنبول للمشاركة في دورة خاصة بطلبة الماجستير. كان لدي مشرف تعلمت منه الكثير وكنت أتفاهم معه جيدا. قال لي: "أنت صغيرة، ولكن هذا رائع، ستذهبين معنا". كان له علي فضل كبير، حيث أتاح لي فرصة كبيرة للاطلاع على ثقافات أخرى. أعتقد أن هذا ساهم بشكل كبير في أن نصبح أكثر انفتاحًا، وقبل كل شيء أكثر تقديراً. أنا لا أفضل الحديث عن التسامح، لأن التسامح كلمة غير مناسبة. وفي الوقت نفسه هناك أيضا هذا المزيج من خلال التفاعل المتبادل. فعندما يسافر المرء إلى مكان ما، يحصل نوع من العطاء المتبادل، سواء كنت تشرف على الأمر أو تجد طريقا لجذب الآخرين الذين قد لا تكون لديهم دائمًا نفس الفرص. وهذا لم يتوقف منذ ذلك الحين، والحمد لله، وآمل ألا يتوقف أيضًا. بعد ذلك بعام، عدت إلى الأردن مرة أخرى رفقة صديقتي المفضلة حفصة من أجل الدراسة لمدة ستة أشهر. والفضل في ذلك يعود إلى منحة مؤسسة ابن سينا. وهي التي مكنتني ليس من فهم اللغة فحسب، بل من التعرف على نفسي أيضا، ومن ثم الغوص في المسارات والوقائع وفهمها بشكل أفضل في عين المكان. الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فالفصل الدراسي المقبل في الخارج تم التخطيط له وسأدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت. زرت أيضا واشنطن العاصمة، بفضل منحة من AICGS في إطار برنامج للتبادل جمع عشرة نشطاء وسياسيين من ألمانيا والولايات المتحدة. إنها نعمة حقا. الأمر الأخر المميز هو العمل الموازي الذي أقوم به،

تصوير: وسيمة لعبيش ـ بهارات شرقية

سواء من خلال الإشراف على برامج تعليمي للأبحاث العلمية عبر التعلم بالممارسة، أو من خلال الدوام الجزئي في مركز أبحاث السلام والصراع في فرانكفورت كطالبة باحثة. وحاليا من خلال مشروع بجامعة أليس سالومون يهتم بنفس الموضوع الذي تناولته في بحث البكالوريوس. ألاحظ أنني أكتشف بشكل متزايد طريقتي الخاصة في تطوير نفسي والتركيز أكثر على كل ما يثير اهتمامي. إنني جد ممتنة لكوني تعرفت على أشخاص خلال مسيرتي ساهموا في تعزيز شبكة اتصالاتي، ما فتح المزيد من الأبواب أمامي. أعتقد أن هذا له علاقة كبيرة بحقيقة تنقلي الكثير والتزامي بالنشاط الذي أقوم به. ثمة الكثير من المكونات التي تضاف إلى هذا المصير، وتساهم في إغناء تصوراتي بشكل كبير. وأنا أتمنى أن أُثري مجتمعي بأن أصبح نموذجًا يحتذى به للفتيات الصغيرات. إنها مسؤولية كبيرة، وهناك حاجة ماسة لذلك. أنا أقف على هذا الأمر من خلال الأسئلة الكبيرة الموجهة إلي عن أسباب النجاح والطرق التي ساعدتني في الوصول إلى ما أنا عليه الآن، وكيف أقنعت والدايْ بدعمي. أسئلة مثل هذه وأخرى تطرح، خاصة عندما يرون شابة بمظهري هذا وهي تسافر وحيدة. وبالنسبة لي يبدو الأمر طبيعيا ولا يوجد أي مظهر من التواضع المزيف. غير أنني عندما اختلي مع نفسي، أقول إن الأمر فعلا ليس بالضرورة عاديا، وأقول يسعدني أن أعمل مع الشباب. إنه عمل شاق، ولكنه ليس مستحيلًا. ذلك ليس بالأمر السهل ولكن يتطلب نوعا من الاجتهاد والبحث عن الفرص، خاصة عندما تواجه المرء مشاكل صارخة مع العنصرية والتمييز. يمكن على الأرجح تخيل فتاة مسلمة قديرة تدرس في أفضل المدارس الخاصة في ألمانيا، لكنها في نهاية اليوم هي بالنسبة للبعض مجرد ما يريدون أن يرونه فيها. طبعا لا ينبغي الانجرار وراء ذلك والسماح به على الاطلاق. ينبغي خلق مساحات وأمكنة لإعادة النظر ومعالجة كل هذه الأمور، وإعادة شحن البطارية لمواصلة العمل. لذا فالأمر صعب، ولكنه يصبح أكثر صعوبة في ظل كل الظروف التي تواجه المرء كألماني غير أبيض. أنا أرى نفسي مغربية ألمانية: مغربية ألمانية أمازيغية. واعتبر ألمانيا موطني، ولكن هذا هو إطار هويتي القوي والذي لم يعد يتأثر بأي شيء بهذه الطريقة أو تلك. لقد استغرق الأمر وقتًا طويلاً، وهذا في غاية الأهمية. إنه مسار استرجعه بكل سرور.

تصوير: وسيمة لعبيش

لنعد خطوة أخرى إلى الوراء. كيف تقدمت لطلب الحصول على منحة ابن سينا؟

تحقق ذلك من خلال أختي التي يسرت لي العديد من المسارات، لأنها ببساطة قدوة لي وساهمت في جعل عدة أمور واقعية. كانت هي قد تقدمت للحصول على منحة من مؤسسة هانس بوكلر، وتم قبولها. قمت بالشيء نفسه، غير أنني للأسف لم أنجح في الأمر وكانت مؤسسة ابن سينا لم تخرج بعد للوجود. طبعا كنت قد فقدت شيئا من الحماس بسبب الرفض، ولكنني استجمعت قوتي. كانت مؤسسة ابن سينا قد تأسست بعد ستة أشهر من رسالة الرفض، فتقدمت لها وقبل طلبي. في هذا الصدد، أنا ممتنة جدًا حتى اليوم لهذه المؤسسة التي أصبحت جزءا من حياتي. قبول ملفي ليس له علاقة بكون المؤسسة هي عبارة عن اتحاد طلابي إسلامي، أو لأنني ملأت أي كوتا، لا أبدا. جاء قبولي لأنني استوفيت الشروط، ولأنني أمتلك الصفات التي تناسب هذه المؤسسة. بعبارة أخرى، لم يتوقف ذلك على كوني مسلمة فقط، رغم أن ذلك نعمة لا تصدق في بعض الأحيان، ولكن حدث ذلك بسبب شخصيتي ومؤهلاتي. فالجميع هنا مسلم أو أن غالبيتهم كذلك، لذا لا يوجد شيء مميز هنا. لكن في أماكن أخرى غالبا ما يكون الضوء مسلطا علي بسبب مظهري. فهذه المؤسسة تحظى بأهمية كبيرة بالنسبة لي، وكنت جزءا من التحضيرات الأولى لبناء هذا التوجه الجديد. ثم أصبحت أيضًا المتحدثة باسم المجموعة المحلية في منطقة الراين- ماين. فأنا كما ترون أحب القيادة، أو أنها تبحث عني. وهو أمر ممتع للغاية. فأعضاء فريق المنحة هم أناس مميزون ومتنوعون للغاية وموهوبون جدًا. وأنا أحب أن يكون الأمر ليس مجرد مشاركة سلبية، بل أن تكون مشاركة نشطة وحيوية تتطلب التشجيع والدعم. وهذا واقع معاش لكون المؤسسة لا تزال في بدايتها وفي طور الإعداد أيضا. وهذا مفيد لي لأنني إنسانة حيوية أحب الحركة حتى لا يصيبني الملل. فأنا أحب أن أكون مرتبطة بالمكان قلبا وقالبا.

إلى أي مدى كان دعم المؤسسة مهما بالنسبة لك على المستويين المهني والشخصي؟

حسنًا، هناك الدعم المالي عندما يتعلق الأمر برغبتي في السفر إلى

تصوير: وسيمة لعبيش ـ جامعة بيروت

تصوير: وسيمة لعبيش - في حفل زواج

الخارج وتطوير نفسي أكثر. كما أنني أعتبر الخبرة الدولية مكونًا غاية في الأهمية، خاصة في المجال الذي أعمل فيه. وهذا دعم له تأثير كبير على الأرض، ولكن أيضًا الأشخاص الذين قابلتهم منذ ذلك الحين، هم أشخاص موهوبون ويثرونك بتجاربهم. هم في حد ذاتهم إثراء فيما يتعلق بتبادل الخبرات مع أشخاص من جميع أنحاء ألمانيا. وهذا ما وقفت عليه، سواء أثناء عملي مع الشباب، أو الآن على المستوى الأكاديمي. هم أشخاص لديهم سيرة ذاتية على غرار ما عشته. أشخاص نجحوا في حياتهم بالرغم من ظروفهم الصعبة. إنهم الآن متميزون في دراستهم وسيصبحون أطباء ومحامين وأساتذة، ولهم خبرات قوية ستساعد في بناء هذا البلد. أنا أقف على ذلك مرارا وتكرارا، وهذا ما يزيد من تحفيزي كلما التقينا. وهذه الفرصة أتاحتها لي المؤسسة للقاء أشخاص من هذا النوع يثرون حياتي ونتبادل الخبرات فيما بيننا. وبالنسبة لي شخصيًا، يمكنني المساعدة في تنظيم الأحداث المهمة ببساطة لتصميم برنامج الدراسة بأكمله. بعبارة أخرى، أن نكون جزءًا من مجتمع نأمل أنه في غضون 20 عامًا وخلال 30 أو50 أو100 عام، أن يستفيد الناس مما وفرناه من خبرة، لأننا ننتمي إلى الجيل الذي ساهم وساعد في تشكيله من القاعدة إلى القمة.

ذكرت أنك كنت تمارسين العمل التطوعي وأنت تلميذة. ما هي دوافع ذلك؟

بدأ ذلك مع حصص الدعم. فباستثناء مادتين لم يكن مردودي فيهما على ما يرام، كنت أقدم دروس الدعم في مواد مختلفة من خلال جمعية شباب ألمانيا المسلمين. وهي الجمعية التي تعرفت عليها منذ أن كان عمري 12 سنة. كنا متنوعين ونرى أنفسنا شبابا مسلمين وألمان. وقتها تعرفت على نساء شابات طموحات كان لهن تأثير كبير علي، من حيث أنهن أظهرن لي أن كل هذا ممكن، وله بالطبع علاقة بالمطالبة بالحقوق. نعم، يمكنك الدراسة، ونعم يمكنك العمل والمساهمة ف التطوير إذا أردت. يتطلب الأمر مطالب ومسؤولية لجعل ذلك ممكنًا للآخرين أيضًا، وبالتحديد لأنني لم أكن أعرف ذلك من قبل. وما زلت أتذكر أول لقاء لي مع امرأة مسلمة أخبرتني بعد ذلك أنها محامية. أتذكر أنني سألتها خمس مرات عما إذا كان هذا صحيحًا حقًا، لأنني لم أستطع تخيل ذلك. ثم بدأت في حضور الفعاليات والقيام بأنشطة وتكليفي ببعض المهام. كانت تلك أشياء صغيرة جدًا. بعد ذلك وفي الذكرى السنوية ساعدت في تصميم كتاب الذكرى. ثم كان الأمر يتعلق بالبحث عن اقامات الشباب، أو المساعدة في الحدث ومعرفة البرنامج المناسب، على الرغم من أنني كنت لا أزال صغيرة في السن. لقد تم أخذي على محمل الجد، وأخذت مهاراتي على محمل الجد. لقد شوهد شيء

ما في داخلي لم أستطع رؤيته بطريقة ما. وهذا أيضًا أحد الأسباب التي تجعلني جزءًا من MJD حتى يومنا هذا وربما إلى الأبد. فأنا لدي القدرة، من خلال الأشخاص الذين هم جزء منا، على تمكين الآخرين ورفع مرآة للآخرين بأن الشباب المسلم في ألمانيا متنوع وجميل وغني بالإمكانيات، وليس مشكلة أمنية، وأن المشكلة ليست عدم الاندماج وأيًا كانت تلك النقاشات الزائفة التي يتم شنها للتو. أحب هذا العمل، لأننا نهتم أكثر بما نقوم به بدلا من تبرير وضعنا رغم كل العراقيل والعقبات التي تواجهنا. منذ سنتين وأنا عضو في مجلس الإدارة ولدينا مكاتب تمثيل في كل ألمانيا تقريبا. وهذا يعني السفر كثيرًا والعديد من الاجتماعات والمؤتمرات الهاتفية، لكن بما يتوافق مع الدراسة الجامعية والعائلة والاعتناء بالذات أيضا. وهذا يعلمني مرارًا وتكرارًا كيفية إدارة وقتي وترتيب الأولويات. علاوة على ذلك، هناك أيضًا أشياء أهتم بها بصرف النظر عن تمكين الشباب وكل ما يتعلق بالقضايا السياسية. فخلال سنوات البكالوريوس، كان تركيزي الرئيسي على العلاقات الدولية. ولهذا السبب شاركت في أشغال نموذج الأمم المتحدة، ثم في تنظيم لقاءات أخرى في جامعة ماربورغ. حاولت أن أشارك هذه التجارب مع الطلاب الذين رافقونا إلى نيويورك وأنطاليا. هذا بالإضافة إلى لقاءات حول الجندر والرقمنة نظمناها في مدرسة هيرتي، وموضوعات لا تركز فقط على الشباب المسلم واحتياجاتهم، بل تشمل كذلك التطورات الاجتماعية الأخرى. أتحمس للتطورات الاجتماعية، لذلك أجد أنه من المثير متابعة المتغيرات الاجتماعية. هذه المواضيع تستفز ملكاتي. هناك شيء آخر لا يقل أهمية ويتعلق بتربيتي. فوالدتي امرأة قوية ربت ثمانية أطفال وما زالت تعمل. أمي عاملة تنظيف وأحاول ألا أتذكر الأوقات التي لم تعمل فيها. أما والدي فكان ساعي بريد وحصل على تقاعد مبكر، وتمكن من تشييد منزل. بالرغم من هذه الظروف سُمح لي بتعلم العزف على البيانو وممارسة المسرح. رغم ظروف عيشنا عملت والدتي على إعطائنا كل شيء، وعلمتنا أن نكون مستقلين في وقت مبكر جدًا. لذلك بدأت في وقت مبكر في كسب مصروف الجيب الخاص بي والكفاح من أجل توفير كل ما نحتاجه. أمي هي أكثر من مجرد امرأة رائعة، ما زالت تعمل حتى اليوم، رغم أن جميع أطفالها أصبحوا مستقلين. هي واحدة من أعظم قداوتي في الحياة وواحدة من بين الأبطال الصامتين الذين لا يمكنني أن أتذكر بما يكفي مدى روعتهم وشجاعتهم وقوتهم.

ما الذي تودين تحقيقه في المستقبل من خلال أنشطتك في المجتمع المدني؟

حسنًا، أنا مقتنعة تمامًا بأن الشباب المسلم أو الشابات المسلمات في ألمانيا بشكل عام هم جزء من هذا المجتمع، وأن الجيل الأول الذي كان يطلق عليه "العمال الضيوف" جزء حيوي لم

تصوير: وسيمة لعبيش ـ تسيير جلسة في اللقاء السنوي لجمعية الشباب المسلم بألمانيا 2015

تصوير: وسيمة لعبيش ـ نيويورك

تصوير: وسيمة لعبيش - الناظور

يسهم في إعادة بناء هذا المجتمع فحسب، بل ساهم في تشكيله ثقافيا وفكريا أيضا. والكثير من ذلك لا يُرى ولا يُدرك، لأن المرء لا يرى الأمر سوى بنظارات المشاكل، ولا ينظر إلى الخلفية الاجتماعية. فإذا تسبب شاب ترعرع هنا في ألمانيا في مشاكل، بغض النظر عن أصله أو شيء من هذا القبيل، فقد يكون لذلك علاقة بحقيقة أن بعض الأشياء في مجتمعنا لا تعمل، وأننا لا نملك فرصا متساوية وما زلنا بعيدين عن أن يحقق هذا الشباب ما يريده. وبدلا من التركيز على مناقشة المواضيع الجادة نهتم بقضايا أخرى كالحجاب. أعلم أيضًا، على سبيل المثال، أنه لا يُسمح لي بالضرورة بالعمل في جميع الوظائف، لأنني ارتدي الحجاب، لأنني لست محايدة في نظر الناس. أجد أنه من المهم جدًا إعطاء الناس القوة، والكفاح من أجل حقوقهم، وإتاحة المجال لهم لكسب الثقة في النفس. أما عكس ذلك، فقد يدفع الناس إلى الاعتقاد بالدونية. نحن جزء من هذا المجتمع، ونحن مسؤولون عنه وربما حتى عن العالم بأسره، كل من موقعه. لا يتعلق الأمر أبدًا بالقول إن هناك خطا واحدا فقط، بل هناك مجالات مهنية متنوعة، على غرار مؤسسة ابن سينا أو المنظمات الشبابية الأخرى. قبل كل شيء، أريد فقط أن نكون مسموعين ومعترفا بنا، لكن هذا الأمر مفقود. ويعود ذلك إلى أسباب متعددة، منها العنصرية البنيوية على المستوى الاجتماعي أيضا.

ما هي أمنياتك وأحلامك فيما يتعلق بمستقبلك المهني؟

سؤال صعب بعض الشيء. ولكن تخطر على بالي فكرة الحصول على الدكتوراه في مرحلة ما وإنتاج المعرفة. هذه إحدى أفكاري ولكني أفضل العمل بعد إنهاء الدراسة، ومن ثم أستطيع التفرغ لبحث الدكتوراه. سأبحث عن علاقة بين القطاعات المختلفة التي تهمني، القطاع العام، والمجتمع المدني وشيء من القطاع الخاص. ولكن بشكل خاص أريد التركيز على المجال الاجتماعي. لقد أدركت ذلك في وقت مبكر نسبيًا. على أي حال، لن أسعى إلى شيء أكسب فيه مالا كثيرا، وإنما إلى شيء يمكنني أن أكون فاعلة فيه ومثير بالنسبة لي. لدي ميل كبير نحو المحادثات مع المؤسسات العامة وممثلي الدولة. في فبراير 2018، على سبيل المثال، شاركت في جلسة إلى جانب الرئيس الألماني السابق غاوك وناقشنا موضوع "الخاص والأجنبي". بالإضافة إلى ذلك، أشارك في اللجان ومجموعات العمل مع منظمات المجتمع المدني الأخرى وممثلي الوزراء لمناقشة الأطر العامة للتمويل. أحب الحوار بين المجتمع المدني والقطاع العام، وأتمنى تأسيس مؤسسة أو منظمة تجمع كل هذه القطاعات، لأنني لم أجد بعد النقاط المحورية التي تهمني أو التي لا تزال غير موجودة في ألمانيا. إنني معجبة بمجالات المسؤولية اللامركزية، والأمر لا يتعلق هنا بهياكل هرمية، أي من الأعلى إلى الأسفل، لكنني أفضل الاستقلالية في

القرار. وأعتقد أنني قوية بما يكفي للتعرف على ما يجيده الناس، ومن ثم أستطيع منحهم المساحة حتى يتمكنوا من القيام بعمل جيد أو خدمة جيدة. هذه هي الأفكار التي تشغلني، لكني أبلغ من العمر 24 عامًا فقط وأريد بالتأكيد السفر إلى الخارج. أريد أستغل وقتي للسفر إلى أماكن أخرى، ولكن قبل كل شيء لتعزيز مهاراتي اللغوية، لأنني أرى أيضًا أن هذا كنز كبير يجلب لي السعادة.

إذا طلبنا منك أن تلخصي سيرتك الذاتية أو قصتك في شعار، فماذا ستختارين؟

يا إلهي هذا أمر صعب. لكن أعتقد أن هناك اقتباسا مناسبا بما فيه الكفاية لمولانا جلال الدين الرومي، الذي يقول فيما معناه "أينما وقفت كن نور وروح المكان الذي وقفت فيه". لذلك بغض النظر عن المكان الذي تدخله أو الخطوات التي تخطوها حاول أن تكون نور وروح هذا المكان. وبهذا أربط بقوة بين رغبتي في أن أكون مفيدة، وأن أغير شيئًا ما، وأن أساعد في تشكيل شيء ما بشكل إيجابي. أعتقد أن هذا في الواقع حافز كبير للغاية رافقني طوال حياتي. أعتقد أن هذا هو شعاري على وجه التحديد، لأن الظلم يؤثر عليّ بشدة، ولأنني أريد فقط أن نعيش في مجتمع أفضل وأكثر عدلاً. أنا مقتنعة تمامًا أن بداخل كل شخص هناك ما هو جميل، وأنه يملك موهبة وإمكانيات. أريد اكتشاف ذلك في نفسي وفي الآخرين أيضا. يمكن أن يكون لذلك تأثير صغير جدًا أو كبير للغاية. ولكنه يمكن أن يعني أيضًا أنك تحفز شيئًا إيجابيًا في شخص ما، أو ببساطة أنك تهدي ابتسامة بحسب كل موقف. نعم، أعتقد أن هذا هو شعاري، أعلم أنه مثالي جدًا، لكن لا يزال بإمكاني السير على هذا المنوال.

أعتقد أن هذه رؤية جميلة جدًا تستحق الكفاح من أجلها. شكرا لك السيدة لعبيش على هذه المقابلة ونتمنى لك التوفيق في مستقبلك!

تصوير: وسيمة لعبيش ـ حلقة نقاش مع الرئيس الألماني السابق غاوك في جامعة دوسلدورف 2018

العمل الجمعوي

تصوير: بوب دميت

جواز السفر

محمد الكروشي

- من مواليد بني سيدال بشمال المغرب
- محامي
- في ألمانيا منذ 1986

"العديد من التطورات الإيجابية في هذا العالم، بدأت كحلم وكفكرة طوباوية".

يعيش محمد الكروشي في فرانكفورت ويعمل بها كمحام. وينشط في أوقات فراغه بفرع الجمعية العالمية الصوفية العلاوية. وهي منظمة تعمل على تعزيز الحوار والتعايش السلمي بين الأديان. وأظهرت هذه المنظمة أن كل مشروع يبدأ صغيرا ليتحول إلى قاطرة للأمل. هذا ما جرى مع اليوم العالمي للسلام الذي تبنته الأمم المتحدة. إلى جانب هذا العمل وفعاليات أخرى، يأمل الكروشي في تأسيس أكاديمية للسلام تجمع أتباع جميع الديانات وغير المتدينين أيضا كي يعيش العالم في ود وسلام. فكرة تبدو طوباوية، غير أن الكروشي مؤمن بأن الأحلام هي أصل الحياة.

السيد الكروشي، كيف جاءت فكرة تأسيس رابطة إيزا؟

محمد الكروشي: تأسست الرابطة بألمانيا في عام 2015 وتم تسجيلها كجمعية ذات منفعة عامة في نوفمبر 2016. علما أن الجمعية لم تأت من فراغ، بل هي امتداد لجمعيات سابقة إحداها كانت تسمى " جمعية أصدقاء الإسلام". كانت هناك جمعيات ذات توجه صوفي، واليوم تعتبر "إيزا" كجمعية غير حكومية امتدادا لما سبقها. وهي بمثابة رابطة تضم العديد من الجمعيات المحلية، وهي منتشرة في فرانكفورت ومنطقة الراين: فيزبادن وروسرسلهايم ومانهايم، بالإضافة إلى زاربروكن. هذه هي الأعمدة الأربعة للرابطة وهي تختلف عن غيرها من حيث عدد الأعضاء والأهداف. كما أن مشاريعها وأنشطتها هي الأخرى تتفاوت من حيث الحجم والأهمية.

أنت تقول إن الرابطة هي امتداد لجمعيات سابقة. ماهي إذن دوافع تأسيس الرابطة؟

محمد الكروشي: هناك دافع الممارسة ودوافع التأسيس، وطبعا يبقى عامل التكيف مع الزمن هو أحد أهم الأسباب. كل عصر يتطلب

تصوير : محمد الكروشي ـ بوزنيه

تصوير: محمد الكروشي - حفل ضمن فعالية لحوار الأديان

هياكل تنظيمية مختلفة بما يتماشى مع روح العصر والعيش بحسب ما يتيحه الإطار الاجتماعي والقانوني. كان هذا في الأساس هو السبب وراء اختيار تنظيم جديد، وما يمنحه من هياكل جديدة. أنا أتحدث الآن فقط عن الهياكل كمنظمة غير حكومية لأنها تسمح لك بالامتداد عبر أبعاد أخرى، وتتيح لك أيضا طرقا مختلفة للتعاون مع منظمات غير حكومية أخرى وحكومات وما إلى ذلك. بمعنى آخر، تلك الفرص غير المتاحة لجمعية صغيرة أو تنظيم فضفاض، وأنا هنا أتحدث عن تجاربي الشخصية. وصلت إلى ألمانيا في عام 1986، كطفل في العاشرة من عمره. وقتها كانت الأنشطة الموجودة في فرانكفورت هي أنشطة ولقاءات لتعزيز تعايش الأديان، وهي مصطلحات كانت في الواقع غريبة إلى حد كبير في ذلك الوقت. كانت زيارتي الأولى إلى جامعة في فرانكفورت عندما كنت في الحادية عشرة من عمري لحضور لقاء من هذا القبيل، بين المسلمين والمسيحيين وقضايا أخرى مختلفة مثل الاندماج والهجرة وتطور الإسلام في أوروبا وما إلى ذلك. كان هذا هو الدافع، إذا جاز التعبير حول كيفية تعزيز ثقافة التعايش السلمي؟ كيف يمكننا التعامل مع بعضنا البعض من أجل تجاوز الأحكام المسبقة، ولكن ليس فقط من أجل تفادي السمات السلبية، ولكن المساعدة على استنبات شيء إيجابي؟ ما السبيل للعيش المشترك بشكل يجعلنا سعداء مع بعضنا البعض، وأن نبني الثقة بيننا، ونثري بعضنا البعض بشكل متبادل؟

ما هو التطور الذي مرت به الرابطة منذ تأسيسها عام 2015؟

محمد الكروشي: إيزا ألمانيا هي فرع من منظمة الجمعية العالمية الصوفية العلاوية المسجلة في باريس، حيث كان التأسيس في عام2000. في البداية، كنا نشتغل مع الجمعية السابقة "Les Amis de l'Islam" وبعدها أسسنا جمعيتنا هنا في ألمانيا. كانت الفكرة أنه بدل مواصلة العمل في جمعيات فضفاضة، نؤسس واحدة خاصة بنا في ألمانيا. إننا نركز على فكرة المشاريع، بحسب مدى شغف الأعضاء وتدبير الوقت وحجم الميزانية. قد تكون مجرد مشاريع صغيرة، تهم لقاءات الأعضاء البسيطة وفرصة تواجدهم مع بعضهم البعض. وقد تكون أحيانا مشاريع كبيرة ذات بعد دولي كما هي الحال مع فعاليات اليوم العالمي للتعايش السلمي الذي يصادف السادس عشر من مايو من كل عام. هذا بالإضافة إلى بعض

الفعاليات الصغيرة وأخرى كبيرة بين الفينة والأخرى. ففي عام 2014 عقدنا مؤتمرا دوليا حول الأنوثة من أجل ثقافة السلام في الجزائر، وهو موضوع يحظى بالأولوية القصوى ليس فقط في العالم العربي، بل في مناطق مختلفة من العالم. مؤتمر عقد على مدى أسبوع وحضره أكثر من 3000 ضيف دولي، ضيوف من كل فئات المجتمع من العمال إلى الطلاب وحتى رؤساء دول.

تطرقت للتو إلى موضوعات مثل محاربة الأحكام المسبقة، ماهي أهداف رابطة إيزا ألمانيا؟

محمد الكروشي: إذا أردنا تلخيص رؤيتنا في بضع كلمات، فسيكون الأمر على النحو التالي: رسالتنا هي الأمل، وطريقنا هو السلام وعزمنا هو العيش المشترك. هدفنا هو تعزيز ثقافة التعايش السلمي، أي المساعدة في ضمان العيش وتعزيز تعايش أفضل وأكثر سلامًا، ودعم التقارب بين الشعوب، وبين فئات المجتمع وقبل كل شيء التفكير السلمي المعاصر. كيف نتصرف أمام كم الأخبار السيئة التي تمطرنا كل يوم؟ ما العمل للتغلب على هذه الانقسامات الدينية والاجتماعية؟ وقبل كل هذا، ماذا ينبغي لنا عمله لمنح الأمل للأجيال المقبلة خاصة الشباب منهم؟ لدينا شروط عمل رائعة هنا في ألمانيا بل مثالية، إذا ما تابع المرء الأمور عن كثب. ولكن إذا ما سألت من حولك، عن مدى عدم الرضى الذي يعيشه الإنسان وما حجم المخاوف بشأن المستقبل؟ عندها تقول لابد من اتخاذ إجراءات لإعطاء الأمل، وخلق روح التفاؤل، لتعزيز ثقافة السلام التي ستصبح أساس عالمنا. أساس نأمله، إذا جاز التعبير، لأنفسنا وللأجيال القادمة.

دعنا نلقي نظرة على أنشطة ومشاريع الرابطة؟

محمد الكروشي: سأبدأ بأحدث الفعاليات التي نظمناها. ويتعلق الأمر بـ"اليوم الدولي للتعايش السلمي". انبثقت الفكرة في ألفين وأربعة عشرة على هامش مؤتمر الأنوثة في الجزائر، عندما أطلق رئيسنا الفخري الشيخ خالد بن تونس الدعوة لتخليد "اليوم العالمي للتعايش السلمي". اعتقدنا أن الفكرة شبيهة بتخليد يوم عالمي، كما هي حال اليوم العالمي للعمال أو لحقوق النساء، وما إلى ذلك، أي يومًا معترفًا به دوليًا. لذلك جلسنا وشكلنا مجموعات عمل وتواصلنا مع العديد من المنظمات غير الحكومية والمنظمات الحكومية في أفق إيصال الفكرة إلى الأمم المتحدة للإعلان عن هذا اليوم. عليك أن تتخيل ما يلي: عندما تسمع مصطلح منظمة غير حكومية، فإنك تفكر في هذه المنظمات الكبيرة مثل غرينبيس بميزانية تصل لعشرات الملايين. نحن لسنا كذلك، إننا مجرد إطار يجمع عدد معين من الأعضاء وميزانية متواضعة. ولكن ما لدينا هو هذا النظام والاعتقاد بأنه حتى القليل من الأشخاص يمكنهم تغيير شيء ما، حتى لو لم يتمكنوا من جعل العالم مكانًا أفضل. غير أن المشروع مغري في حد ذاته، فبعد مناقشات عديدة ولقاءات كثيرة، تم تنظيم هذه الاحتفالية لأول مرة في ألفين وخمسة عشرة. أعقبها تنظيم العديد من اللقاءات الدولية، والعديد من المبادرات في فرنسا وتركيا والجزائر وألمانيا، ودول البنلوكس، وإسبانيا، وكندا، ودول أخرى. فبعد ثلاث سنوات من العمل الجاد وعدد كبير من اللقاءات مع ممثلي الدول، عُرضت المبادرة على الأمم المتحدة في سبتمبر 2017 وفي 8 ديسمبر 2017 تم تبني المشروع بالإجماع بموجب قرار الجمعية العامة، وثم إقرار 16 مايو يوما عالميا للتعايش السلمي. بعبارة أخرى، من

تصوير: محمد الكروشي ـ حفل ضمن فعالية لحوار الأديان

تصوير: محمد الكروشي ـ حفل ضمن فعالية لحوار الأديان

تصوير: محمد الكروشي ـ حفل ضمن فعالية لحوار الأديان

تصوير: محمد الكروشي ـ حفل ضمن فعالية لحوار الأديان

فكرة بسيطة من منظمة غير حكومية صغيرة، تم اختيار يوم عالمي بالإجماع أمام الأمم المتحدة، على ما أعتقد 193 دولة. نادرا ما يحدث ذلك في عصرنا هذا، خاصة عندما تسمع كيف أن القوى المختلفة تصارع بعضها البعض وتحاصر بعضها البعض، ولكن لها أيضًا تأثيرات إيجابية. بعد الإعلان عن ذلك، أصبح الأمر يتعلق بكيفية تنظيمنا للاحتفالية، خاصة بالنسبة لإطارنا الصغير وبالنظر إلى حجم الميزانية وما إلى ذلك. تم الاحتفال بهذا اليوم في مناطق مختلفة، وجرى ذلك بالتعاون مع جمعيات أخرى ومع مجلس المدينة وهيئات إدارية أخرى. ففي ألمانيا، كان الاحتفال في فرانكفورت وفيزبادن. وتم الاحتفال به في جميع الدول الأوروبية تقريبا: بلجيكا وفرنسا وإسبانيا والدول العربية والمغرب والجزائر كندا وفي الأمم المتحدة بنيويورك وإندونيسيا. هذه، إذا جاز التعبير، هي فكرة هذا المشروع الذي اشتغلنا عليه. شملت الاحتفالات في فرانكفورت عروضا موسيقية تم تنظيمها في وسط المدينة. وفي فيزبادن شارك رجال أعمال وسياسيين. أما في بروكسل، فكان الاحتفال على مدى ثلاثة أيام بمشاركة عدد من أعضاء الحكومة البلجيكية. نأمل أن تكون هذه التجربة قد أكسبتنا الكثير من الخبرة حتى يكون الاحتفال بها مرة أخرى في فرانكفورت على نطاق أوسع.

قلت إن اليوم العالمي للتعايش السلمي، يحظى بترحيب عالمي. ما هي آثار ذلك؟

محمد الكروشي: بادئ ذي بدء، من المهم وضع الموضوع على الطاولة ومعالجته وتوعية الناس به. تخيل أن لدينا عالمًا يشكل فيه التنوع والاختلاف غنى، عالم يكون فيه التعليم من أجل السلام أولوية. عالم يصوغ فيه الناس مستقبلهم معًا وليس أن يخوضوا الحروب ضد بعضهم البعض. قد يبدو هذا وكأنه مدينة فاضلة في البداية، أو حلم يقظة، لكنه ليس كذلك. فالعديد من التطورات الإيجابية في هذا العالم بدأت كحلم طوباوي. وإذا لم تكن لديك الشجاعة والأمل في السعي وراء الطوباوية الإيجابية، فلن تحقق أي هدف. نحن نؤمن إيمانا راسخا بأن مثل هذا العالم ممكن التحقق. عالم حيث الطاقات تساعد في تشكيل مجتمع لتعايش أفضل. هذه هي الفكرة، إذا جاز التعبير، وتجربتنا في هذا المشروع أظهرت أنه يمكن رؤية فكرة بزغت في عام 2014 وبعد أربع سنوات تقريبًا تبنتها الأمم المتحدة. نحن مقتنعون تمامًا أنه يمكن إحداث فرق، وتحريك شيء ما في الاتجاه الإيجابي. وإذا نظرت، فقد تم تبني "اليوم العالمي للتعايش السلمي" في ديسمبر 2017 وبعد خمسة أشهر تقريبًا تمكنا من إطلاقه بالتعاون مع ممثلين حكوميين وأحزاب سياسية. هذا يعطي إشارة إلى أن كيفية تشكيل هذا المجتمع بشكل أفضل، وكيفية تحقيق تعايش أفضل في هذا المجتمع، هو ليس مجرد إدراكنا، بل أنه يوضح مدى مساهمة المجتمع في البحث عن حلول ممكنة أيضا. وهذا هو مبعث سعادتنا لاحتضان هذه الفكرة. إننا مقتنعون بأن هذا سيؤدي إلى بزوغ مشاريع أخرى. فطلاب المدارس مثلا يمكن لهم القيام بمشاريعهم الخاصة، يمكن أيضا التفكير في إنشاء أكاديمية سلام. إذا نظرت إلى الحرب - هناك كل أنواع الأكاديميات، وكل أنواع مراكز " تينك تانك" للتفكير في سيناريوهات الحرب. ولكن حتى في أكاديمية سلام يمكن للمرء من خلالها البحث في كيفية خلق السلام، وكيفية تعزيز السلام والتعايش. قد يكون هذا الأمر خياليًا في نظر البعض، لكننا مقتنعون بأنه سيناريو واقعي يمكن تحقيقه أيضًا. غالبًا ما نفترض أن السلام هو في الأساس غياب للحرب، لكن الأمر ليس كذلك. فمثلما يستثمر المرء في الحرب، ماليًا وماديًا وشخصيًا وما إلى ذلك، ينبغي الاستثمار في السلام، كموازنة وكبديل أفضل للمستقبل، لنا ولأطفالنا.

هل ترغب في إضافة أي شيء فيما يخص أنشطة الرابطة لم نناقشه بعد؟

محمد الكروشي: بخصوص أنشطتنا، لابد من التنويه إلى أنه ليست كل مشاريعنا بهذا الحجم الذي نوصله إلى الأمم المتحدة. فإذا تحدثنا عن إطارنا في فرانكفورت، هناك مبادرات صغيرة: مثل اللقاءات الروحية التي ننظمها في المتوسط كل ثلاثة إلى أربعة أسابيع. نلتقي معا، نتأمل معا ونغني معا، والأهم أننا نتحدث مع بعضنا البعض. إنها فعالية مفتوحة في وجه الجميع، بغض النظر عما إذا كان المرء مسلما أو مؤمنا أو غير متدين. لا يتعلق الأمر بنقل رسالة محددة، بل ببساطة بعيش القيم العالمية في ظل ظروف معينة. كما نحتفل مرة في السنة Adventfest أي احتفالية استقبال عيد الميلاد المسيحي وأضفنا له الإسلامي. قد يتبادر إلى الذهن سؤال وما دخل المسلمين بهذا؟ هذا العيد هو احتفال مسيحي، هذا على الأقل ما أفهمه أنا. جاءت الفكرة عندما صادف هذا ميلاد النبي محمد شهر ديسمبر أيضا، وكان ذلك في عام 2015. إذ انبثقت لدينا فكرة، مفادها لماذا الاقتصار على الاحتفال مع المسلمين فقط بواسطة الفرق الموسيقية المختلفة وما إلى ذلك؟ فلماذا لا نقوم بشيء مختلف؟ لماذا لا نضيف فرق موسيقية مسيحية وأخرى يهودية. لذا ربطنا اتصالاتنا، فاستجابت لطلبنا إحدى الجمعيات الكنسية في فرانكفورت. غير أن رئيس الكورال اتصل بنا مستفسرا عن أننا ربما أخطأنا الاتصال بهم فهم جمعية مسيحية ونحن جمعية مسلمة. فأكدنا له أنه ليس في الأمر أي خطأ، ونحن نقصد ذلك. وهكذا شاركت عدة فرق، بعضها صوفي وبعضها دنيوي، والجوقة الكنسية. كان الجميع سعداء وشعروا بأنها تجربة جديدة. ومنذ عام 2016 نحتفل بما يسمى بعيد الميلاد المسيحي الإسلامي في كنيسة فيستبورغ بفرانكفورت، أثناء الاستعدادات المسيحية للاحتفال بأعياد الميلاد. ويتألف من ترانيم شرقية وأخرى مسيحية وترانيم عربية وأخرى غربية. كما تشارك فرق موسيقية من باريس والجزائر والمغرب. وتكون الفعالية مفتوحة في وجه الجميع، حيث تتراوح أعمار الزوار من الأطفال إلى كبار السن، منهم مسلمون ومسيحيون. يكون الحفل فرصة للتقارب بين الجميع. إنه إثراء يمكن أن يستفيد منه كلاهما، فالأمر يستحق التواصل مع الآخرين، لأن من شأن ذلك أن يساعد على التقليل من المخاوف ومحاربة الأحكام المسبقة وانبثاق شيء إيجابي. إذ يكسب المرء أصدقاء جدد ويتحقق إدراك جديد للعالم. وتلاحظ أن الآخر ليس فيه ما يثير الاستغراب، بل أنه يعاني من نفس المشاكل والمخاوف اليومية، إنها عملية إثراء متبادلة. ومنذ ذلك الحين ونحن نحيي هذا الحفل مرة في السنة. هناك منظمات أخرى في فرنسا وكندا وما إلى ذلك، تعقد مؤتمرات في الجامعات. أما نحن في فرانكفورت فننظم فعاليات صغيرة لتعزيز العيش المشترك. ومنذ مدة نحاول المشاركة في مشاريع أممية، انطلاقا من أفكار على نطاق أصغر، لكنني متفائل أن ذلك سيأخذ أبعادا أكبر بكثير.

تصوير: محمد الكروشي ـ حفل صوفي

بحسب ما تقول فإن الجمعية لها ارتباطات متعددة. كيف ترى نفسها في المجتمع؟

محمد الكروشي: نحن في الأساس نرى أنفسنا كحلقة وصل، بين ما هو ديني وما هو غير ديني، بين ما هو اجتماعي ودنيوي. فكرتنا هي: كيف ننشئ منصة تجمع الأشخاص مع بعضهم. نحن نحاول تحقيق ذلك ليس فقط من خلال تنظيم مشاريعنا نيابة عن الإطار الأم، ولكن قبل كل شيء مع الشركاء في عين المكان. بمعنى آخر، شركاء متساوون ينفذون مشروعًا مشتركًا على أساس فكرة وبالتالي يخلقون الفرصة لتحقيق أكبر تأثير ممكن أو على الأقل أكبر استجابة ممكنة. إننا لسنا منظمة غرينبيس غير الحكومية التي لديها ما يكفي من مراكز "تينك تانك" وميزانيات أكبر وما إلى ذلك. ما زلنا في البداية، لكننا نرى أنفسنا كمنصة ملتزمة بخلق أعمال لتعزيز ثقافة السلام. ففي "يوم التعايش الدولي السلمي" وحده، يظهر موقفنا الاجتماعي بوضوح. يوم يدعو إلى المصالحة ويدعو إلى الأمل ويوم يدعو إلى العمل أيضا. مصالحة مع الذات: مصالحة مع عائلاتنا، مع إخوتنا من بني البشر من حيث التنوع الذي يميز مجتمعنا. ولكنه أيضًا يوم يدعو إلى الأمل في التغيير، من أجل تغيير إيجابي ينشأ من حقيقة أننا نقترب من بعضنا البعض من أجل فهم بعضنا البعض بشكل أفضل. قبل كل شيء، يوم للعمل معًا حتى يمكن استخدام أوجه التآزر من أجل مستقبل مشترك مفيد للجميع. خطوات صغيرة تثير الاهتمام حولها، إذا جاز التعبير. ليس المهم أن تكون الرابطة في مركز الضوء، بل المهم لنا أن تحظى أفكارنا بالاهتمام اللازم. فكرة لا نكون نحن فقط دعامتها، بل يدعمها شركاؤنا وغيرهم أيضا، والحكومات وهلم جرا.

سبق أن ذكرت أن الرابطة تساهم في التصدي للخوف ومحاربة الأحكام الجاهزة وبناء شيء إيجابي. ما هي المساهمة الملموسة التي تقدمها الرابطة لإدماج الأشخاص ذوي الأصول المهاجرة؟

محمد الكروشي: ليس لدينا الآن أي مشاريع خاصة بشكل مباشر بالاندماج أو مساعدة اللاجئين وما شابه ذلك. ما نحاول القيام به هو تقديم مساهمة فكرية أو روحية لذلك، إذا جاز التعبير. المساهمة في تطوير ثقافة تساعد في إدراك بعضنا البعض وتثير

تصوير: محمد الكروشي - من أنشطة اليوم العالمي للتعايش السلمي

تصوير: محمد الكروشي - من أنشطة اليوم العالمي للتعايش السلمي

تصوير: محمد الكروشي - حفل صوفي

الشغف للحد من الأحكام الجاهزة. طبعا يشارك في أنشطتنا التي نعقدها بانتظام شركاء بعضهم منخرط في العمل لصالح اللاجئين. لدينا مجموعات موسيقية تنحدر من العالم العربي، لإيصال فكرة مفادها أن هؤلاء الأشخاص لديهم ثقافة أيضًا، ثقافة يمكن أن تكون غنية. ونحن مقتنعون أنه من خلال تحقيق المشاريع مع شركاء آخرين، سوف يُنظر إلينا كشركاء نديين، كما هي الحال مع احتفالية استقبال عيد الميلاد المسيحي الإسلامي. يمكننا أن نرسل إشارة مفادها أننا جميعًا جزء من هذا المجتمع الرائع، وأن الأمر يستحق ليس فقط للدفاع عن قيم هذا المجتمع، ولكن تعزيزها والتعرف عليها والمساهمة في تطويرها. هذا هو الدور الذي نرى فيه أنفسنا، على الأقل في هذه المرحلة. لكن لدينا مشاريع أخرى في هذا الصدد ستأتي لاحقا.

ما هو المستقبل الذي تتمناه للرابطة؟

محمد الكروشي: أول ما أتمناه هو تأسيس أكاديمية للسلام، تعمل على تعزيز التعايش السلمي، وأن تكون بمثابة إطار استشاري للجهات الاجتماعية الفاعلة ومدها بالأفكار من أجل تبنيها في عملها اليومي. أمنية أو حلم آخر هو الأمل في دار للسلام، مثل تلك التي تحتضنها برلين، بالقرب بحسب ما أعتقد من بوابة براندنبورغ، وأعتقد أنها تسمى دار السلام، إذا لم أكن مخطئًا. على أي حال، غرفة للصلاة متاحة لأتباع الديانات جميعها. أتمنى أن يكون هناك ما يسمى بدار للسلام في كل مكان. بيت متاح لجميع الأديان وجميع الطوائف الدينية والجماعات غير الدينية أيضا، من أجل تنفيذ مشاريع مشتركة هناك. هناك أول مشروع في هذا الصدد، تم تنفيذه من قبل جمعيتنا حتى الآن، ليس من قبلنا نحن في فرانكفورت، ولكن من قبل فرعنا في هولندا. مكان متاح للكشافة من جميع الطوائف المختلفة والفئات الاجتماعية الأخرى بحيث يتم تبادل الأفكار. ولكن كما قلت، إنه حلم يساهم في تعزيز ثقافة الأمل، ثقافة نتمكن من خلالها من تحقيق أكثر بكثير مما نستطيع اليوم تحقيقه. إنه الأمل في خلق مستقبل حول ما هو إيجابي لجميع المعنيين. مستقبل تكون فيه المساواة بين الرجل والمرأة ممكنة. لقد قطعنا شوطا طويلا هنا في ألمانيا، لكنه لا يزال بعيدا عن الكمال. مجتمع لا يُنظر فيه إلى حماية البيئة من منظور اقتصادي فحسب، بل أيضًا على أنها أمانة، لأن الطبيعة جميلة وتستحق الحماية. لا يجب أن يرتبط الأمر بالجدوى الاقتصادية فقط، سواء كان هناك ارتفاع في درجة حرارة الأرض أو عدم وجود ظاهرة الاحتباس الحراري. لا ينبغي نشوء ثقافة حماية البيئة من الخوف من أن العالم سينتهي، لكن انطلاقا من كون أن الطبيعة جميلة ورائعة للغاية وتستحق العمل من أجلها. لذلك لا تتصرف بدافع الخوف، بل تصرف من دافع إيجابي. هذه باختصار رغباتي وآمالي.

هل هناك من إضافة؟

محمد الكروشي: أتمنى أن يكون هناك تعاون وثيق، ربما يمكنكم مساعدتنا في تحسين تنظيم فعاليات اليوم الدولي للتعايش السلمي. إنها ببساطة الرغبة في أن نجعل المزيد من الناس متحمسين للفكرة.

تبدو الفكرة جيدة. شكرا لك سيد الكروشي على المقابلة الشيقة.

جواز السفر

مجيد حمدوشي

- من مواليد لودفيغسبورغ
- طبيب
- رئيس جمعية أمانة

"الاعتراف المتبادل أساس الاحترام"

مجيد حمدوشي طبيب ومؤسس جمعية أمانة في فرانكفورت في 2010. تحاول الجمعية أن تكون منصة للاندماج والتعليم والصحة، كما تسعى إلى تحسين التواصل بين الثقافات المختلفة. انطلاقا من مهنته كطبيب فإن مجيد حمدوشي يولي أهمية كبيرة إلى عمله التطوعي في المجال الطبي من خلال جولاته الطبية التي يشرف عليها في المناطق القروية بالمغرب. أما في الحالات الصعبة التي تتطلب عمليات جراحية فيعمل على نقلها إلى ألمانيا. ويتم ذلك كله بفضل التبرعات والعمل التطوعي.

السيد حمدوشي ما الذي كان يدور بخلدك وأنت تفكر في تأسيس جمعية أمانة؟

مجيد حمدوشي: نعم، جاء ذلك خلال زيارة أحد مرضاي لعيادتي، أخبرني أنه يسعى إلى تأسيس جمعية ويقترح علي الانضمام إلى مبادرته نظرا لالتزاماتي المجتمعية. كان ذلك بمثابة الزناد الذي حفزني، إذ طالما دارت الفكرة في خلدي، لكنني كنت دائما أطردها من رأسي. لذا فإن حديث هذا الشخص معي كان الانطلاقة وراء قصة هذه الجمعية. جلسنا وفكرنا معا عن الفجوات في جاليتنا الألمانية المغربية؟ وأين يمكن أن نجد الدعم اللازم؟ هنا بزغت فكرة جمعية "أمانة"، وهو اسم له معنى كبير في العربية. كما أنه يتخذ بعدا قويا في لغتنا المغربية أيضا. اخترنا هذا الاسم ليكون سهل النطق لدى الألمان وغيرهم من الأوروبيين. هكذا بدأت هذه التجربة.

كيف سارت العملية؟ ما هي الخطوات التي اتخذتها لتنفيذها؟

مجيد حمدوشي: تحدثت إلى الكثير من الأشخاص الذين لديهم خبرة في المجال الجمعوي أو في مجال تأسيس الجمعيات. جلسنا وتذاكرنا حول منصة من أجل الاندماج والتعليم والتنمية. كان ذلك هو عصب تفكيرنا لتحقيق هدفنا، فالتعليم مهم جدًا للناس، بل أنه يحظى بأهمية كبيرة. فهو مفتاح النجاح ويساهم في تحقيق الذات ويجلب الاعتراف للشخص. أما الاندماج فهو جزء من ذلك ويتقاطع معه. كنا أيضا مصرين على التعرف على الجانب الآخر من الاندماج، فالأمر لا يتوقف على الاعتراف فقط، بل يشمل أيضا دمج الآخرين معنا في هذا المسار. إذ يضع الأشخاص الناجحون هنا إمكانياتهم رهن إشارة ألمانيا أيضا. واعتبرنا أن هذا هو أحد أهم أهدافنا. طبعا، إمكانياتنا محدودة للتأثير المباشر في سياسية التنمية في المغرب أو بالمناطق الريفية، ولكن يمكننا المساهمة في إطلاق مشاريع صغيرة تهم الآبار أو المستشفيات أو المراكز الطبية. هذا هو ما جعلنا نحصر عملنا في هذه المجالات الثلاثة: الاندماج والتعليم والصحة. فباعتباري رئيسا للجمعية وطبيبا في نفس الوقت، أصبحنا معروفين بالقافلات الطبية التي نقوم بها في المغرب، كما هي حال "أطباء بلا حدود". نقوم بهذه الجولات مرة أو مرتين في السنة في مناطق مختلفة. وخلال هذه الجولات نتعرف على المرضى الذين

تصوير: مديد حمدوشي - بورتريه

تصوير: مديد حمدوشي ـ مجيد رفقة عائلته

تصوير: مديد حمدوشي ـ مجيد رفقة عائلته

يجدون صعوبة في تلقي العلاج في المغرب ونجلبهم إلى ألمانيا، بحسب الإمكانيات المتاحة طبعا، لأن ذلك مكلف للغاية ومتوقف على التبرعات. لا يمكننا إحضار أية حالة إلى هنا، ونمنح الأمل وبعدها نقول إننا فشلنا في المهمة، لا يمكننا فعل ذلك. الحمد لله أننا نجحنا لحد الآن. عالجنا عشر حالات خلال السنوات السبع الأخيرة. بعض هذه العمليات كانت كبيرة للغاية، منها حالات تهم مرضى القلب أو القسطرة أو التدخل قبل فوات الأوان، كحالات تدخلنا فيها لإنقاذ مرضى من بتر للساق. وكانت لدينا حالة وليد الذي سقط قبل خمس سنوات وأصيب بكسر في العمود الفقري العنقي وأصيب بالشلل النصفي.

تطرقت إلى هذا الجانب الذي يميز عمل جمعيتكم. ماذا عن النقطتين الأخريين الخاصتين بالتعليم والاندماج؟

مجيد حمدوشي: فيما يخص التعليم، صادفت من خلال مهنتي أيضا تلاميذ أو طلاب كانوا لا يريدون انهاء دراستهم أو تعليمهم لأسباب مختلفة. حاولت أن أتدخل بربط الاتصال بمسؤولي المؤسسة. هناك حالات كثيرة من بينها حالة أحد الشباب الذي لم يكن يرغب في إتمام الباكالوريا بسبب بعض النزاعات الأسرية وشعوره أنه تم التخلي عنه. إذ تكفي في بعض الأحيان محادثة قصيرة، وبعد ذلك يمكن دمج الأسرة أو اللجوء لخدمات مدارس الدعم، إذا كان هناك عجز في الرياضيات أو في مجالات أخرى. هنا يمكن استخدام تدابير معنية لتحفيز التلميذ من جديد. أو أن هناك مدرسة من المدارس لذوي الاحتياجات الخاصة، لديها حالات لتلاميذ يجدون صعوبة في التركيز أو أطفال لهم نزعات إجرامية فقدوا البوصلة. قد يلجؤون لخدماتي وأقترح عليهم فرصة للقيام بتدريب في عيادتي، حيث أساعدهم عبر تقديم بعض النصائح من سبيل كيف أصبحت طبيبا كطفل أنحدر من أسرة مهاجرة، وهو ما قد يحفزهم. إذ يرون أنه لا توجد أمثلة سلبية فقط، بل هناك أيضًا أمثلة إيجابية يمكن السير على منوالها. المشكلة في هذه الفترة من العمر: مرحلة المراهقة، هي أزمة الهوية: إذ يبدأ الشاب في صراع داخلي مع أنفسهم حول من يكون؟ وإلى أين أريد أن أذهب؟ وماذا يمكنني أن أقوم به؟ فتلقي المرء بعض التحفيزات من الخارج، خاصة إذا كانت قوية وواقعية، يمكن أن يحدث ذلك فرقًا كبيرًا. هذه إحدى الوسائل التي نحفز بها التلاميذ والطلاب لإنهاء تعليمهم. وهو أمر مهم للغاية. ثانياً، نحاول في المغرب أيضا تحفيز الناس وتوعيتهم بالأهمية القصوى للتعليم. إذ نساعد في بناء مدارس وإصلاحها، خاصة في العالم القروي. ففي قرى المغرب تكون الظروف في بعض الأحيان صعبة للغاية تُفقد التلاميذ إمكانية التركيز على المدرسة. يكون ذلك أحيانًا بسبب البرد الشديد أو بسبب هطول الأمطار عبر السقف أو النوافذ. فعن طريق بعض التدابير البسيطة يمكن تحفيز التلاميذ. هناك أيضا فكرة لا زلنا نخطط لها وهي معرض للتعليم بالتنسيق مع مدينة فرانكفورت وبالتعاون مع جمعية الثقافة والتعليم في فرانكفورت. هدفنا أيضًا ليس فقط التحرك بشكل منفرد، ولكن التعاون أيضا مع الجمعيات التي لديها خبرة في المجالات ذات الصلة. نسعى من خلال هذا المعرض، إلى تحفيز الأطفال عبر ورشات عمل وتوعيتهم حول أهمية التعليم والتأهيل المهني، خاصة الأطفال المنحدرين من أصول مهاجرة. كي يفهم الآباء أن التعليم هو في الواقع أهم شيء بالنسبة للمستقبل، حتى بالنسبة

للدين، وهو أمر مهم جدًا للكثيرين. من المهم جدًا أن يتكلم الأطفال الذين ولدوا في ألمانيا اللغة بشكل جيد لتحقيق أقصى قدر ممكن من التعليم. كما ينبغي توعية الناس وتحفيزهم للخروج من منازلهم والتخلص من مخاوفهم وربما تغيير طرق وبنيات تفكيرهم حتى. ثم هناك نقطة الاندماج، وهذا يعني أن الأشخاص الذين يصلون إلى ألمانيا علينا دمجهم هنا ومساعدتهم في حال ما إذا واجهتهم مشاكل مع الإدارات. أما فيما يخص الناس الذين لا يفهمون اللغة، نحاول تعبئة الأشخاص المناسبين والأخصائيين الاجتماعيين لمساعدتهم من خلال الاتصال بالجمعيات مثل "كاريتاس"، و"بروفاميليا" لتسهيل اندماجهم من أجل تجاوز أي نقص أو أي عجز. سواء كان ذلك لأنهم لا يستطيعون التحدث باللغة، أو لأنهم لا يفهمون الثقافة، أو بسبب مشاكلهم اليومية. لقد قمنا ببناء شبكة من الاتصالات لتقديم المساعدة أملا في حل هذه المشاكل.

دعنا نلقي نظرة أخرى على الجمعية: ما هو التطور الذي مرت به منذ تأسيسها حتى اليوم؟

مجيد حمدوشي: نعم هذا سؤال جيد. عشنا الكثير من التطور. ما يتغير باستمرار هم الناس والأشخاص النشطاء. في البداية لم نكن نعرف بالضبط: ماذا نريد؟ أين نريد أن نذهب، وما الذي يمكننا تحقيقه؟ وأنا الآن أعرف ما يجب فعله لتحقيق شيء ما. وهذا يعني أن عمل الجمعية قد حدد أهدافه بكل وضوح في هذه المجالات الثلاثة: التعليم والاندماج والصحة. وأنا أعرف على وجه التحديد في هذه المجالات ما هو ممكن وما هو غير ممكن. هذه الأحلام التي كانت لدينا في البداية بإجراء تغييرات كبيرة، لم يعد الأمر كذلك. أيقظنا الواقع بسرعة كبيرة. وهناك أشياء عادية جدًا، على سبيل المثال عندما نريد إرسال أشياء ما إلى المغرب، كالمساعدات في سياق قوافلنا الطبية، هناك مشاكل كبيرة مرتبطة بها. كان علينا أن نتعلم أن إرسال شيء ما إلى المغرب ليس بالسهولة التي يتخيلها المرء، وإلا ستظل عالقة عند الحدود. في هذه الأثناء لدي اتصالات مهمة للغاية في المغرب، وإذا واجهتني مشاكل من أي نوع، فهناك وزارات ذات صلة وأشخاص سيساعدونني أيضًا. هذا هو التغيير الذي أراه الآن. وهو ما لم يكن ممكنا من قبل. ففي ذلك الوقت لم أكن أعرف: ماذا أفعل إذا ما واجهتني مشكلة؟ ومع من أتواصل؟ ومن هو الشخص المسؤول الذي يمكنه مساعدتي؟ لقد أصبحت جمعيتنا الآن معروفة جدًا، وفرضت نفسها ولديها أيضًا اسم لأنني قمت شخصيًا بزيارة العديد من الوزارات رفقة أعضاء جمعيتنا. لذلك لدينا اتصال مباشر، وهذا مصدر ارتياح كبير. وأنا أعلم جيدًا طاقة وإمكانيات كل فرد في الجمعية وكيفية الاستفادة منه. ليس كما في الماضي: الجميع يشارك في كل شيء، هذا غير واقعي. هذه هي عمليات التعلم التي نمر بها.

بما أن الجمعية، كما قلت فرضت نفسها من خلال عدة مشاريع. أود أن أخوض معك في بعض الأنشطة. ما هي المشاريع المميزة التي أنجزتها أمانة؟

مجيد حمدوشي: ما أفتخر به هو أنه وبجانب جمعية أخرى تمكنا بالقرب من أغادير من إتاحة الفرصة لعدد من الفتيات من الدخول إلى مدارس داخلية لمواصلة تعليمهن، وذلك بالتعاون مع عدد من الأعضاء الراعين. وضعنا هذه الأموال رهن إشارة هؤلاء الفتيات

تصوير: مديد حمدوشي ـ في جولة طبية بالمغرب

تصوير: مديد حمدوشي ـ في جولة طبية بالمغرب

تصوير: مديد حمدوشي - في جولة طبية بالمغرب

لاستكمال مشوارهن الدراسي. كما قمنا أيضًا بشراء دراجات هوائية لهن، كي يكن مستقلات عن وسائل النقل العمومية. فالمنطقة التي يعشن فيها لا تتوفر على بنية تحتية جيدة. لذلك أنا فخور جدًا بأننا عززنا استقلالية هؤلاء الفتيات من ناحية، ومساعدتهن لاستكمال تعليمهن من ناحية أخرى. هذا بالإضافة إلى ما قمنا به من أجل إتاحة الفرصة لعدد من المرضى لتلقي العلاج في ألمانيا. وهو ما نجحنا فيه لحد الآن. كما نظمنا العديد من الفعاليات الثقافية، على سبيل المثال "50 عامًا على التواجد المغربي في ألمانيا". كما أننا نستغل فرصة الأعياد الوطنية المغربية كفرصة لجلب المطربين إلى ألمانيا لتقديم مشاريعنا. فلغة العيون والسماع، كما تعلمون هي الأخرى في حاجة إلى العناية أيضا، كي نتمكن من تقريب الناس من مشاريعنا من خلال الترفيه كذلك.

ما هي برأيك آثار هذه المشاريع على الجمعية وعلى الأشخاص المعنيين وعلى المجتمع؟

مجيد حمدوشي: بالطبع لا يسعني إلا التكهن هنا. بشكل عام أود أن أقول إن هدفنا هو توعية الناس وتحفيزهم على أن يكونوا نشطين في هذه المجالات، في الاندماج والتعليم والصحة. ما رأيته أيضًا هو أن أعضاء سابقين في الجمعية، أسسوا جمعيات خاصة بهم، وبالتالي فإن أمانة كانت بمثابة جسر لتحفيزهم. وهذا يجعلني سعيدًا للغاية. إننا نتعاون بشكل بناء مع هذه الجمعيات. هذه هي النتائج والثمار، إذا جاز التعبير. وأنا سعيد جدًا بفوزنا بجائزة "ديوان أوارد" في برلين، هذا منحنا القوة والتقدير لعملنا. وهذا مهم، فكل شخص وكل جمعية في حاجة للتقدير والاعتراف. وعندما يكون لدينا مثل هذا الاعتراف، عندئذ يكون لدينا أيضًا تأكيد لعملنا، بأننا نفعل شيئًا جيدًا للناس. لهذا السبب أعتقد أن التأثير الخارجي إيجابي. من الواضح أن هناك منتقدين. هذا أمر طبيعي. فمن يعمل في المجال العام يكون معرضا للنقد. وأنا أرى أن كل نقد هو نقد بناء.

كيف ترى أمانة نفسها في المجتمع؟

مجيد حمدوشي: داخل المجتمع الألماني لم نصل بعد لما نطمح له. إننا نعمل من أجل الحصول على مزيد من الاعتراف داخل المجتمع الألماني. أما داخل المجتمع المغربي، فإننا معروفون بما يكفي، وحظينا باهتمام إعلامي مغربي كبير كما هي الحال مع عدد من التقارير التلفزيونية للقناة الثانية التي اتاحت لنا الفرصة مرارا، ورافقتنا في جولتنا الطبية في المغرب. كما قلت، ما زلنا لم نحظ بما يكفي من الحضور لدى المجتمع الألماني. وهذا يعني أننا لم نصل بعد إلى ما نصبو إليه. هدفنا هو أن يمنحنا المجتمع الألماني هذا التقدير ويفهم ما نقوم به ويدعمنا أيضًا في عملنا لإنجاح الاندماج.

ما هي المساهمة الملموسة التي تقدمها جمعية أمانة لإدماج الأشخاص ذوي الأصول المهاجرة؟

مجيد حمدوشي: أعتقد أننا نقوم بالكثير، ولكنه لا يكفي. أقوم باسم الجمعية بعمل تحسيسي داخل المساجد. على مدار السنة أزور المساجد ونكثف لقاءاتنا خلال شهر رمضان فيما يخص التوعية الصحية، لكن أيضا نتطرق للقضايا المجتمعية أيضا. أما على مستوى التعليم، نبذل مجهودا كبير للتحسيس بأهمية التعليم. كما نبذل مجهودا كبيرا لتحسين الصورة السلبية للجالية المغربية في ألمانيا إلى حد ما والتي تضررت من خلال ما عرف بأحداث ليلة رأس السنة في مدينة كولونيا وبعض الأحداث الأخرى المرتبطة بالتدين. أعتقد أنه يتعين علينا عمل الكثير. لا يزال أمامنا الكثير من العمل لنقول إن جاليتنا لا يمكن اختزالها في الدين فقط، بل هناك ثقافة كبيرة، ولدينا مهام تعليمية نريد تنفيذها. فالاستعداد للاندماج هنا في ألمانيا أكبر بكثير مما هو معروف خارج البلاد. علينا القيام بمزيد من العمل التربوي في كلا الاتجاهين حتى يرى المجتمع الألماني أيضًا الأمثلة الإيجابية وأن الجالية المغربية أيضًا تساهم بشكل أكبر في الاندماج، وتساهم بنشاط وليس بالاكتفاء بالقول ورمي المسؤولية على ألمانيا فقط. هذا موقف سلبي.

ما هي أمنياتك بالنسبة للجمعية في المستقبل؟

مجيد حمدوشي: حسنًا، لقد صرنا معروفين في المغرب، والجولات الطبية تسير على ما يرام هناك. غير أنني لا أزال أرى نقصا وفجوة هنا في ألمانيا، خاصة على مستوى التنسيق مع جمعيات أخرى. لدينا الكثير من الكفاءات وسط جاليتنا المغربية في ألمانيا، علينا تعبئتها حتى تعمل معًا وأن تنسق الجمعيات فيما بينها وليس كل واحدة تعمل لحسابها الخاص. ينبغي استثمار هذه الكفاءات بدل أن يؤسس كل شخص جمعية خاصة به، بل على الجمعيات المتواجدة أن تثبت نفسها في الساحة. لسنا بحاجة إلى آلاف الجمعيات الجديدة الأخرى التي يتم حلها بعد عام، بل لتلك التي اندمجت بالفعل ولها صيت خارجي. عندها يمكن لنا إثبات ذواتنا لدى الرأي العام الألماني. هنا يتعين علينا بذل المزيد من الجهود. وهو ما سيساعدنا على الحصول على دعم أكبر من ألمانيا، خاصة في مجال التمويل حتى نتمكن من القيام بالمزيد في هذا المجال. وسأكون سعيدًا جدًا إذا وصلنا إلى النقطة التي تصبح فيها أمانة مؤسسة تُشغل يد عاملة بشكل احترافي، وليس فقط على أساس تطوعي. سيكون هذا هدفاً عظيماً، نعم هذه أمنيتي.

كلمة أخيرة.

مجيد حمدوشي: ما أتمناه هو أن تحظى جميع الجاليات من أصول مهاجرة بقدر أكبر من الاهتمام الإعلامي والمجتمعي. أعتقد أنه تم التعامل مع هذا الأمر بشكل غير عادل إلى حد ما. فمن خلال أزمة اللجوء تم وضع الجميع في سلة واحدة: أي الأجانب والهجرة ومشاكل اللاجئين، حيث تم خلط كل هذه الأمور مع بعضها. وهذا ليس جيدا في نظري. لذلك عليك أن تميز بين الأشخاص المضطهدين سياسيًا والأشخاص الذين ولدوا هنا في ألمانيا والذين أصبحوا أطباء أو محامين. على المرء أن يكون عادلا. وأعتقد أنه يجب إيلاء المزيد من الاهتمام لهذا الأمر. ربما ينبغي للمرء أيضًا أن يقدم مثل هذه البرامج في كثير من الأحيان في وسائل الإعلام الألمانية، بما في ذلك التلفزيون والراديو، حيث يمكن أيضًا سماع الأمثلة الإيجابية. ليس من الضروري أن أكون أنا أو جمعية أمانة، ولكن يجب أن يكون شخصًا حقق بالفعل أشياء إيجابية ويتم تقديمه أيضًا كمثال إيجابي. لقد كان الأمر منحازًا للغاية في نظري، في وسائل الإعلام. وفي النهاية أود أن أقول إنه لا ينبغي ربط المجتمع المغربي بمسألة الإسلام فقط. الإسلام دين يجب على الجميع احترامه، لكن الإنسان ليس مكونا من دين فقط، بل لديه ثقافة، وله روح، وله أجزاء مختلفة كثيرة، ويجب على المرء أيضًا التأكيد عليها وعدم الاكتفاء بالقول علنًا: "إذن المغاربة أو إن سكان شمال إفريقيا مسلمون وإرهابيون محتملون "، لكن هناك دين ويمكن أن يكون للدين تأثير سلمي أيضًا. لذا لا أضع سؤال الإسلام في المقدمة، بل الثقافة والاندماج. هذا ما أتمناه.

شكرا جزيلا لك سيد حمدوشي على هذه المقابلة. أتمنى لك شخصيًا ولجمعية أمانة كل التوفيق.

مجيد حمدوشي: انشاء الله كما يقول المغاربة. شكرا جزيلا لك على اهتمامك بجمعيتنا!

تصوير: مديد حمدوشي ـ في جولة طبية بالمغرب

جواز السفر

محمد البوزياني

- من مواليد الناظور
- في ألمانيا منذ 1972
- رئيس المركز الإسلامي المغربي بهيلدن

"جاليتنا كبرت وأصبحت أكثر تنوعا."

محمد البوزياني رئيس المركز الثقافي الإسلامي المغربي الذي يتخذ من مسجد الرحمن بهيلدن مقرا لأنشطته. فمن جمعية للعمال الضيوف الذين كانوا يلتقون للترفيه عن النفس، تحول إلى مركز ثقافي للأنشطة الدينية وغير الدينية. كما يقدم عروضا لتوثيق الروابط بين الثقافات.

سيد البوزياني، كيف وصلت إلى هيلدن؟

محمد البوزياني: أتيت إلى ألمانيا بعد فترة المدرسة الابتدائية مباشرة. كان ذلك في 18 ديسمبر 1972. سافرت لأول مرة من الناظور عبر زايو إلى الدار البيضاء. هناك أخذت السفينة إلى مرسيليا، ومن هناك عبر ميونيخ إلى مونشنغلادباخ. هناك عملت في صناعة البناء لمدة ثلاثة أشهر، عبر عقد للعمل حصلت عليه بواسطة أقارب لي. وفي مايو 1973 انتقلت إلى هيلدن، حيث بدأت هناك العمل في شركة للجلفنة إلى غاية 2003. داخل هذه الشركة طورت مهاراتي من عامل مساعد إلى رئيس وردية للعمال ثم إلى مراقب جودة. في عام 2004 بدأت عملي الخاص ببيع الهواتف المحمولة بالتجزئة. غير أنه بسبب بناء المسجد، تخليت عن العمل لأعود له في عام 2009. وفي سنة 2015 تقاعدت عن العمل.

ما هي الخطط التي كانت لديك عند وصولك إلى ألمانيا؟

محمد البوزياني: في الأول خطرت لي فكرة متابعة الدراسة. لكن هذا لم يتحقق لي بسبب إعالة والداي المسنان. وكان علي مساعدتهم ماليا، لذا توجب علي أن أعمل.

كيف كانت فترة العمل في شركة الجلفنة؟

محمد البوزياني: عندما انتقلت إلى هيلدن في غرب ألمانيا، التقيت الكثير من المغاربة. 80 في المائة من العاملين في مصنع الجلفنة هم مغاربة. لقد كانوا يتمتعون بشعبية كبيرة لدى أصحاب العمل، لأنهم قاموا بالعمل الذي لم يرغب الألمان في القيام به. كنا نعمل ونكد كثيرا، ولا نعرف شيء آخر غير الزنك والحمض. طبعا كان دخلنا جيد للغاية، لكن نادرا ما كانت لدينا أي إجازات. عن طريق نظام الورديات الثلاث، لم نكن نعرف أي عطلة ولا عطلات نهاية الأسبوع. كنا لا نعرف سوى العمل، وعلى استعداد للعمل 24 ساعة

تصوير : رحيم حجي - بوزنيقة

تصوير: رحيم حجي - مسجد الرحمن بهيلدن

إذا طلب منا ذلك. خلال هذه الفترة، كنا نعيش في منازل خشبية. كنا أربعة أشخاص نعيش في غرفة واحدة، بها سريرين من طابقين. عشت هناك من عام 1973 إلى عام 1975. على الرغم من أننا كنا نكدح كثيرا، كنا مستمتعين ونحتفل باستمرار في منازلنا الخشبية. كما أن الشركة كانت هي الأخرى تنظم حفلة في كل عام. لهذا الغرض، تم ذبح خمسة إلى ستة حملان وشويهم في مقر الشركة. نحن العمال المسلمون نتشارك دائما الأكل مع زملائنا الألمان. وفي عام 1975 تزوجت. وبعد عام التحقت بي زوجتي إلى ألمانيا، فانتقلنا إلى شقة تابعة للشركة حيث مكثنا بها حتى عام 1982. وبعد ذلك إلى شقة أكبر بعدما زاد عدد الأسرة.
في عام 1974 أسست المركز الثقافي الإسلامي المغربي، والذي كان في ذلك الوقت يسمى "حلقة الأصدقاء المغربية". كيف تطورت الجمعية منذ تأسيسها وكيف تم بناء مسجد كمركز ثقافي؟

عندما أسسنا الجمعية في عام 1974، لم يكن لدينا مقر في البداية. فقدم محمد أحدور وبنعيسى الحجراوي أول طلب لمجلس مدينة هيلدن. من عام 1978 إلى عام 1982 حصلنا على منزل خشبي. كان محطة التقاء من أجل الأنشطة الترفيهية. كنا نلتقي هناك للعب الورق معًا واستخدمنا غرفة صغيرة في المنزل كمكان للصلاة. صلينا هناك فرادى دون إمام. هكذا بدأ كل شيء. تدريجيا بدأت الغرفة لا تستوعب الأعداد المتزايدة للمصلين. كما أنه مع مرور الوقت، تغيرت عادات الناس، وأصبح الناس أكثر التزاما بالصلاة، بحكم السن وتأسيسهم لعوائل. إذ عرفت أواخر الثمانينيات عملية واسعة للم شمل الأسر. يأتي هذا في ظل تزايد الحاجة لتربية الأبناء تربية دينية ولغوية. لذا أصبح الاهتمام أكثر بالحياة الدينية ودروس اللغة وعزز من ضرورة البحث عن مكان يجمع الجميع. وفي ظل تغير الأساس القانوني، لم يعد يُسمح للمنازل الخشبية كي تكون مكانًا للاجتماعات، لذا وفر لنا مجلس المدينة مدرسة ابتدائية شاغرة في شارع فالدرشتراسه للمغاربة والأتراك في عام 1982. هناك استخدمنا غرفة للقاءات والطابق العلوي كغرفة للصلاة، وجلبنا إماما من أصل مغربي من بلجيكا، استمر معنا إلى غاية 2007.
في بداية التسعينيات، عندما وصل أول طالبي اللجوء على خلفية حرب البلقان، تم تشييد حاويات بجوار المدرسة الابتدائية السابقة لتوفير فضاء للاجئين. لكن هذا لم يكن كافيًا، ومن أجل توفير مساحة للاجئين، كان على المغاربة والأتراك الانتقال إلى مبنى واحد. وفي منتصف التسعينيات، بنى الأتراك مسجدهم الخاص في شارع أوتو هانشتراسه. هكذا أصبحت المدرسة بكاملها مرة أخرى تحت تصرفنا. غير أنه في سنة 2007، طلب مجلس مدينة هيلدن منا البحث عن مكان آخر، لكون المدينة ستقوم بهدم بناية المدرسة. سنة بعد ذلك، قمنا بشراء عقار وشيدنا عليه مسجدا، أصبح جاهزا في يوليو 2012. ولكن في انتظار تشييد المسجد، انتقلنا من 2010 إلى 2012 من المدرسة الابتدائية فالدرشتراسه إلى مدرسة ألبيرت شفايتسر.

كيف تم تمويل بناء المسجد؟
محمد البوزياني: بلغت تكلفة البناء مليونين وأربعمئة آلاف يورو، 90 في المائة من هذا المبلغ، جاء كتبرعات من المغاربة إذ تبرع كثير منهم بمبلغ عشرين ألف يورو. وهو أمر لم يكن أمرا نادرا. ففي كل يوم جمعة كنا نذهب إلى مساجد في هولندا وبلجيكا والدول الاسكندنافية لجمع التبرعات من الخارج. تلقينا ما مجموعه 600 ألف يورو من المسلمين من هذه الجولات. وساهمت الحكومة المغربية بـ 800 ألف يورو، بينما مغاربة هيلدن والمناطق المجاورة لها تبرعوا بمليون أورو.

ما هي الفعاليات التي كان المسجد كمركز ثقافي يقدمها لزواره؟
محمد البوزياني: كنا نعمل بشكل وثيق مع مدينة هيلدن ودائرة ميتمان. نعقد مرتين في السنة جلسات مناقشة – أو ما يسمى بـ

"الموائد المستديرة" مع مجلس المدينة. وتجمع جميع المساجد التابعة لدائرة ميتمان. نشارك بانتظام في الفعاليات متعددة الثقافات في المدينة ونعرض أنشطة موسيقية وأطعمة. كما كنا نحتضن حفلات أعياد الميلاد والزفاف. وبمناسبة عيد وحدة ألمانيا الذي يصادف ثالث أكتوبر، ننظم يوم المساجد المفتوح. إذ يحضره عدد كبير من الزوار ما بين 150 و 200 شخص، نقدم لهم جولات جماعية للتعريف بالمسجد. كما ننظم محاضرات ونقاشات حول الإسلام. وخلال شهر رمضان، ننظم فطورًا جماعيا يحضره جيران المسجد والسياسيين وممثلين عن الشرطة وفرق الإطفاء والكنائس والمعابد اليهودية. هذا بالاضافة إلى دروس اللغة العربية لأعضاء الجمعية وحصص لقراءة القرآن. الأمر لا يتعلق بتعليم ديني، كان هذا موكولا للأسر، هي التي تشرف عليه. وكانت خطبة الجمعة تقدم باللغة العربية مع ترجمة ألمانية. ويشهد يوم الجمعة، محط جذب، حيث يحج الناس من جنسيات مختلفة لأداء صلاة الجمعة. وهو أمر يسعدنا كثيرا.

كيف تغيرت أوضاع جاليتكم مع مرور الوقت؟

محمد البوزياني: لقد نمت جماعتنا الآن وأصبحت أكثر تنوعا. من قبل كان نحو 80 في المئة من زوار المسجد من المنحدرين من أصل مغربي، اليوم لدينا المزيد من غير المغاربة في الجمعية. لدينا العديد من الجنسيات: سوريون، عراقيون، لبنانيون، فلسطينيون، كازاخستانيون، ألبان وألمان من معتنقي الإسلام. معظم المغاربة من المسنين من الجيل الأول هم متقاعدون الآن، ويقضون أغلب وقتهم في المسجد للصلاة واقتسام أحاديث وقصص حياتهم مع الآخرين. فكبار السن هؤلاء والمرضى من أصل مغربي يشعرون براحة شديدة في المسجد ويتشاركون معنا حياتهم اليومية. لم يكن لدينا الكثير من المتطوعين في الماضي كما هي الحال اليوم، وزاد ذلك أكثر وأكثر مع مرور الوقت.

كيف تقيمون الوضع الحالي للمسلمين؟

محمد البوزياني: بسبب الوضع الحالي أنا قلق على وضعية المسلمين. هناك خوف من الهجمات، والمساجد تتعرض للتخريب. ففي أحد مساجد مونشنغلادباخ، تم العثور على رأس خنزير مقطوع وكيس دم. وبالأمس القريب وقع هجوم مسلح على مسجد في النرويج. ومن قبل، حدث هجوم على مسجدين في نيوزيلندا. لحسن الحظ، لم نواجه أي مشاكل من هذا النوع حتى الآن هنا في هيلدن، ومع ذلك، فنحن نتوقع كل شيء. عموما غير مسموح للمسلمين بإغلاق المساجد، على العكس يجب أن تظل مفتوحة وينبغي التواصل مع الجميع. يجب أن نبقى على تواصل، فالحوار أساسي لتفادي أي مشكل.

ما هي أهداف المركز الثقافي المستقبلية؟

محمد البوزياني: مسجد كهذا يتطلب الكثير من العمل. عليك أن تحافظ على نظافته وإجراء إصلاحات ورعاية الأعضاء وتدبر الأمور الإدارية كالفواتير وغيرها. ينبغي كسب الشباب وتسليمهم مشعل العمل التطوعي. لكن هذا صعب في الوقت الحالي لأن شبابنا ليس لديهم الوقت بسبب عملهم طيلة الأسبوع. وقتهم لا يسمح لهم بالقيام بذلك إلا خلال نهاية الأسبوع فقط. وهم يعتمدون على كبار السن. غير أن هؤلاء لن يبقوا هنا إلى الأبد، قد يمرضون والموت آتٍ لا محالة. لذا يتعين على الشباب تحمل المسؤولية.

تصوير: رحيم حجي ـ نسخة من القرآن الكريم بمسجد الرحمن

تصوير: رحيم حجي ـ مسجد الرحمن بهيلدن

جواز السفر

كريم زيدان

- من مواليد سوق الأربعاء الغرب
- مهندس
- في ألمانيا منذ 1989

"لون البشرة أو الأصل هما مجرد مشكلة في أذهان الناس."

كريم زيدان هو أحد مؤسسي شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا. بعد دراسته التي خطط لها أن تكون ست سنوات والعودة إلى المغرب للعيش بالقرب من أصدقائه وعائلته، غير أن الست سنوات أصبحت في الأثناء ثلاثة عقود. خلال هذه المدة واجه نفسه بالسؤال التالي: "كيف لي أقدم لبلدي الذي تلقيت فيه تعليمي، ما تعلمته هنا؟". وهي الفكرة التي دفعت كثيرين إلى تأسيس شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا. فخلال فترة ترأسه لها ما بين 2015 و2019 ، حيث أشرفت الشبكة على تنفيذ بعض المشاريع في المغرب.

سيد زيدان، ما أول ما تبادر إلى ذهنك عندما تعود بك الذاكرة إلى تأسيس شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا؟

كريم زيدان: جئت إلى ألمانيا عام 1989 من أجل الدراسة. كانت فكرتي آنذاك أن أذهب إلى ألمانيا وأن أدرس لمدة ست سنوات ثم أعود إلى المغرب للعمل والعيش هناك. لكنّ الست سنوات أصبحت في الأثناء 29 سنة، لم تتحقق عودتي حتى الآن. وعندما يكون الوقت مناسبا، يسأل المرء نفسه "ماذا قدم لوطنه، للبلد الذي ينحدر منه، والذي تلقى فيه تعليمه وحصل فيه على شهادة البكالوريا أو شهادة أعلى من ذلك، وحيث تعيش عائلته ووالداه؟". المرء يأتي إلى ألمانيا ولا يجد أية إمكانية للمساهمة في بناء وتحديث بلده الأم. وإذا فعل كل واحد منا الشيء نفسه، فسيكون هناك بضعة ملايين خارج البلاد. حينها ليس علينا أن نستغرب من أن بعض الأشياء لا تسير كما يرغب المرء وأن الهجرة ببساطة كبيرة للغاية. ألمانيا لن تتحمل هي أيضا وضعا كهذا، إذا ما هاجر عشرة أو خمسة عشر في المئة من سكانها. إذ سيكون من بين هؤلاء الخمسة عشر في المئة العديد من الأطباء والمهندسين والأكاديميين في جميع المجالات. وهذا سيشكل بالطبع نقصا سيكون له تأثير كبير على البلاد. الأمر نفسه ينطبق على المغرب. بعبارة أخرى، سألنا أنفسنا آنذاك: "ماذا لو لم نستطع العودة لأسباب خاصة، ما الذي يمكننا فعله؟ كيف نستطيع تعويض غيابنا عن المغرب؟ ومن ثم قلنا: "حسنا، لنؤسس شبكة يتمثل هدفها في نقل كل ما تعلمناه في ألمانيا إلى المغرب لدعم عملية التحول الديموقراطي والتحديث في وطننا. فكرنا في تأسيس الشبكة من أجل تحقيق عملية نقل المعرفة. أقول دائمًا: "يجب ألا يقتصر دور المهاجرين، وهذا أمر في غاية الأهمية، على التحويلات المالية، بل يجب أن يتخذ أيضا توجها أكثر نحو المعرفة والدبلوماسية وما إلى ذلك." كان ذلك هو أساس الفكرة. أردنا دعم وطننا المغرب بكل ما تعلمانه في ألمانيا. لكننا أردنا أيضا دعم عملية الاندماج في ألمانيا وتصحيح النظرة إلى المغاربة بشكل عام من خلال قيامنا بعمل جيد في مجال الاندماج وتحقيق أشياء في مجال الدبلوماسية. كانت هذه بالضبط هي فكرتنا آنذاك.

تصوير: كريم زيدان - بورتريه

تصوير: كريم زيدان ـ كلمة افتتاحية في أحد أنشطة الشبكة

كيف سارت الأمور بالتحديد بعد التأسيس؟

كريم زيدان: قام بعملية التأسيس آنذاك الدكتور هاشم حدوتي. فقد كانت رغبته الجارفة أن يقدم لهذه الجمعية إطارها الصحيح. في ذلك الوقت كانت له اتصالات وثيقة بالسفارة وبمؤسسات ألمانية لها علاقة ما بالمهاجرين. حاول منذ البداية جعل العمل احترافيا وإنشاء علاقات مع جهات مسؤولة وشركاء تعاون على أعلى مستوى في المغرب وألمانيا. منذ البداية انصبّ الاهتمام على بناء نواة ديناميكية. البداية صعبة دائما، ولكن عندما تكون لديك سمعة جيدة، فإن ذلك يسهل التواصل مع الآخرين. وهذا ما تجلى في السنوات الأخيرة، عندما لاحظنا اهتمام الكثير من الناس بنا، لأننا نقوم بعمل رائع. آنذاك في مرحلة التأسيس كان على هاشم حدوتي أن يتواصل مع الناس حتى يجد الأشخاص المناسبين كأعضاء وممثلين للجمعية، لقد قام حقا بعمل جيد جدا. بعد ذلك بدأنا على الفور عملية التسويق بشكل محترف للجمعية، والبحث عن اسم وشعار مناسبين لها. كان هناك اجتماع ديمقراطي دار فيه نقاش طويل جدا، لأننا لم نرغب في أن يحظى الجانب الأكاديمي بالأولية بل أن تكون الكفاءة والخبرة هما الأساس. ليس بالضرورة أن يكون المرء أكاديميا ليكون كفؤا. بالنسبة لنا، الشخص المؤهل هو من لديه خبرة جيدة في مجال ما، وعلى استعداد لتقديمها للآخرين، أي نقل هذه المعرفة. أما الشخص الذي لديه خبرة ممتازة، لكنه غير مستعد لنقلها ويريد فقط الاحتفاظ بها لنفسه، فهو بالنسبة لنا ليس مؤهلا ولا ينتمي إلينا. كل من يريد الانضمام إلينا يجب أن يتمتع بمزايا معينة وأن يكون على استعداد لنقلها. هذا الهيكل، استغرق بناؤه بعض الوقت، لكنه بُني بشكل متين. حينذاك قلنا إننا بصدد بناء شبكة وليس جمعية محلية، لأن المغاربة ومهاراتهم موزعون في جميع أنحاء ألمانيا. لذلك توجب علينا أن نكون نشطين في كل مكان. أنشأنا شبكة، شبكة افتراضية يلتقي أعضاؤها بين الحين والآخر في ولايات مختلفة، لأن جميع الأعضاء متخصصون في مجالات مختلفة. الشبكة لا تضم فقط مهندسين أو أطباء، هناك أيضا، على سبيل المثال لاعبو كرة قدم ورياضيون وأساتذة جامعيون وأخصائيون اجتماعيون. حاولنا منذ البداية تقسيم الهيكل إلى مجموعات عمل.

هيكل الشبكة الحالي على هذا النحو: لدينا مجلس إدارة يضم رئيسا ونائبا للرئيس وأمينا للصندوق وسكرتيرا. هذا المجلس مسؤول في المقام الأول عن التمثيل الخارجي، عن الأمور السياسية مثل مسألة تطور الشبكة وكيفية تواصلها مع المؤسسات. وهذا يشمل أيضا نواة الشبكة، التي تتكون من اثنتي عشر إلى خمس عشرة مجموعة عمل. لدينا مثلا مجموعات عمل للطب وللطاقات المتجددة وللشؤون الاجتماعية وللفن والثقافة. كل مجموعة عمل لديها رئيس متخصص في المجال ذاته. وهكذا نستطيع تغطية جميع المجالات. الهيكل واسع النطاق وممثل في جميع أنحاء ألمانيا. وهذا يتيح لنا نشر هذه الأفكار، أي الكفاءات. وكل شخص لديه خبرة ما ويريد نقلها مرحب به ويمكنه أن يعمل معنا بغض النظر عن مكان وجوده في ألمانيا، أو حتى إذا كان قد عاد إلى المغرب. فهناك مجموعة عمل تمثله ويمكنه أن يتواصل مع زملائه بأريحية. كما أن الهيكل العلوي واسع النطاق إلى حد كبير لدرجة أننا نجتمع كلنا مرة أخرى كأطباء ومهندسين وأخصائيين اجتماعيين. أعتقد أن مرحلة البناء كانت النجاح الأساسي لشبكتنا. لقد تم استثمار الكثير من العمل الجاد والصبر فيها. والنتيجة كانت في النهاية جيدة للغاية.

إذا نظرنا إلى السنوات الماضية، ما هو التطور الذي حققته الشبكة منذ تأسيسها إلى اليوم؟

كريم زيدان: كل تطور يتكون من عدة مراحل. المرحلة الأولى هي تكوين الأفكار. في البداية قلنا: "سنؤسس هذه الجمعية". والثانية هي مرحلة العمل: بناء الهيكل، وطَرقُ الأبواب لتكوين شراكات

وما إلى ذلك. ثم تأتي أهم مرحلة أو المرحلة الرئيسية: وهي مرحلة التعارف. فبعد عملية التأسيس والانتهاء من التحضيرات الهيكلية، بدأنا التواصل مع الناس والشركاء. توجب علينا التعريف بأنفسنا. الطرف الآخر كان غالبا معروفا بشكل أفضل. معظم المؤسسات التي زرناها كانت لها أسماء معروفة. كان عليها أن تتعرف علينا أولا. جئنا مع 40 أو 50 شخصا من ذوي الكفاءات، جميعهم يملكون مؤهلات عالية جدا، وجميعهم مندمجون بشكل ممتاز. كان الطرف الآخر متحمسا ومندهشا أحيانا ومستعدا للمزيد أيضا. بعد ذلك تأتي مرحلة بناء الثقة. الثقة كانت موجودة لأننا كنا مترابطين، ولأننا كنا نقوم بعمل جيد باستمرار، ولأننا لم نعرف القيم العامة للمجتمع فحسب، بل عشناها وطبقنها في هيكلنا وعملنا أيضا. عندما تكون الثقة موجودة، تأتي المرحلة التالية. وهي التي انطلقنا فيها لتنفيذ كل المشاريع الممكنة. وكنا واثقين مئة في المئة من إمكانية الحصول على التمويل. لذا كثفنا الاتصالات للحصول على مزيد التمويل لمزيد من المشاريع. بعد ذلك تأتي المرحلة التي يطرق فيها الكثيرون بابك. وبالنسبة لنا كانت هذه المرحلة ممتازة في السنوات العشر الماضية. جميع المراحل كانت تسير منذ البداية بشكل تدريجي، بدءا بالتعارف وبناء الثقة ثم العمل، وهكذا مضينا قدما. أستطيع أن أقول إن العامين الأولين كانا مرحلة التعارف. بعد ذلك مباشرة كان هناك استعداد كبير للعمل معنا. تمكنا من تنفيذ العديد من المشاريع في ألمانيا والمغرب، بداية مع رئيس مجلس الإدارة الأول د. هاشم حدوتي ثم مع د. صرية موقيت. وعندما توليت هذا المنصب، كانت الشبكة بحالة جيدة جدا. وهو ما سهل عملي لتطويرها أكثر. حاليا نحن من أهم الجمعيات في ألمانيا للمغاربة، بل وللألمان أيضا. تطرقت من ناحية إلى دعم المغرب، ومن ناحية أخرى إلى الاندماج هنا في ألمانيا. ما هي أهداف شبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا؟

كريم زيدان: الشبكة محايدة سياسياً ودينياً، أي أننا لا نتبع أية أيديولوجية. نحن أشخاص لنا قلب كبير ونتمنى لجميع الناس حياة جميلة في كل مراحل الحياة، سواء في المغرب أو في ألمانيا. هذا يعني أن المهم بالنسبة لنا هو دعم المغرب، خاصة المناطق الريفية. وفي هذا الإطار نوضح للحكومة في المغرب أو لصانعي القرار كيف يمكن أن يسير العمل. أحد الأمثلة على ذلك مشروع للمياه في منطقة الصويرة. توجد هناك قرى نائية بعضها بدون ماء وكهرباء. على الأقل بدون ماء، لأن الكهرباء إن توفرت فهي حديثة العهد. يذهب المرء إلى هناك ولا يفهم لماذا يتعين على فتيات صغيرات جلب الماء طوال اليوم بدلا من الذهاب إلى المدرسة. هذه المنطقة تسطع فيها الشمس طيلة السنة من الصباح وحتى حلول المساء. من خلال الطاقة الشمسية يمكننا ضخ الماء إلى الأعلى. نحن لا ندير مشاريع خيرية الهدف منها حفر بئر لكي تتوفر للناس مياه شرب فقط. يجب أن يكون المشروع مصحوبا دائما بالخبرة كعنصر إضافي. لهذا نقول: "سنبني بئرا، ولكننا سنضخ الماء باستخدام الطاقة الشمسية، لنظهر أنه بإمكاننا الاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة هناك بشكل جيد." بهذه الطريقة نعالج قضايا بيئية أيضا. في نهاية المطاف، يملك المزارعون وكبار ملاك الأراضي آبارا أيضا، لكنهم يضخون الماء باستخدام الغاز أو البنزين أو الديزل ويلوثون بذلك البيئة، على الرغم من توفر الشمس بكثرة. من خلال مشروع كهذا نساعد من ناحية السكان من خلال توفير المياه لهم مجانا لمدة 20 عاما، ومن ناحية أخرى نظهر للمزارعين الأغنياء أنه بإمكانهم أيضا ضخ المياه دون الإضرار بالبيئة. كما نظهر أيضا إمكانية تنفيذ هذا النوع من المشاريع في أي مكان. يمكن لهذه المشاريع أن تسهم في تحسين حياة

تصوير: كريم زيدان - ضمن فعاليات جمعيا من أجل تنمية منطقة الحوز

تصوير: كريم زيدان - افتتاح فعالية جائزة ديوان أوارد

تصوير: كريم زيدان - في مقر المستشارية مع المستشارة أنغيلا ميركل

الناس إلى حد كبير، وكذلك تقليص الهجرة إلى المدن أو إلى خارج البلاد. فبدلا من جلب الماء تذهب الفتاة إلى المدرسة، ما سيمكّنها من تعلم مهنة جيدة والاعتماد على نفسها. نحاول دائمًا القيام بهذا النوع من المشاريع. كما نقدم أيضا دروسا في الجامعات بعضها في مجال التكنولوجيا الألمانية. أنا شخصياً أحضرت للجامعات في المغرب بعض المحركات الألمانية، لكي يتعلم الطلاب بطريقة عملية شيئا عن المحركات الحديثة، بدلاً من التعلم النظري على السبورة فقط. كما قلت، فإن نقل المعرفة هذا ووضع المغاربة في ألمانيا مهمان للغاية بالنسبة لنا. نحن لا نريد متابعة المناقشات الحالية فقط، بل نريد أن نكون فاعلين فيها أيضا وأن نظهر كفاءات المغاربة. نحن حوالي 180 ألف مغربي في ألمانيا، كثيرون منا أساتذة وجراحون وأصحاب أعمال وما إلى ذلك. نود أن نظهر للسكان أن الاندماج يمكن أن ينجح إذا تم إشراك الأشخاص. غير أن الأهم من ذلك بالنسبة لنا هو أن نظهر لشباب الجيل الثاني والثالث أمثلة ناجحة لأناس ينحدرون من أصول مشتركة، وربما لديهم نفس التجارب. حينها ينظرون مثلا إلى السيد رحيم حاجي ويقولون: "رائع، ما دام هو قد نجح في ذلك، فأستطيع أن أنجح أنا أيضا بالتأكيد." هذا تحفيز كبير بالنسبة لهم. نشعر أن الشباب يرون فينا قدوة يحتذى بها، وهذا هو الأهم، في النهاية هذه هي المهمة التي نقوم بها. هناك أمثلة عديدة يمكننا عرضها، وهناك العديد من الشباب الذين يبحثون تحديدا عن هذه الأمثلة لتحفيز أنفسهم. فهم في سن معينة يعتقدون أنه لكونهم ينحدرون من أصول مهاجرة فلن تكون لديهم أي فرصة لتعلم مهنة جيدة أو الحصول على وظيفة جيدة. ونحن نقول لهؤلاء: "هذا ليس صحيحا، الأداء هو الأهم. عندما ينجح كريم زيدان، المولود في المغرب والذي أتى إلى ألمانيا للدراسة في سن العشرين دون معرفة كلمة واحدة في اللغة الألمانية، وعندما يصبح السيد مشراوي رئيسا للأطباء في مستشفى بفلنسبورغ، وهو أيضا أتى آنذاك إلى ألمانيا دون أن تكون لديه معرفة باللغة أو ربما القليل من المعرفة، حينها يمكن أن تنجح أنت أيضا بالتأكيد. أنت الذي ولدت في ألمانيا، وتتحدث لغتها وتعرف هياكلها." هذا يعني أن لون البشرة أو الأصل هما مجرد مشكلة في أذهان الناس. رسالتنا تصل إلى الكثيرين، وهذا أفضل ما يمكننا فعله.

ذكرت للتو بعض أنشطة الشبكة. ما هي التجارب المميزة التي مررت بها حتى الآن في المشاريع التي تم تنفيذها من قبل الشبكة؟

كريم زيدان: بصراحة، هناك بعض التجارب. كما ذكرت سابقا، كنت مثلا قد جلبت بعض محركات السيارات لإحدى الجامعات المغربية. كان موضوع نقل المعرفة هو أساس التدريب المهني للمهندسين في جامعات المغرب. وقف بعض المهندسين الشباب حول المحرك وهم في دهشة كبيرة. فهم يستطيعون حل أصعب المعادلات، ورسم أو كتابة شيء ما على السبورة، لكن لم يسبق لهم أن رأوا محركا عن قرب هكذا. كانوا متحمسين لتعلم التكنولوجيا وأرادوا تفكيك المحرك بأسرع ما يمكن لرؤية أجزائه. كانوا متلهفين تماما مثل طفل صغير تحضر له هدية. إنه لأمر رائع حقًا أن ترى أن التحفيز ممكن من خلال شيء لا يكلف عادة الكثير. كما يلاحظ أن مستوى التعليم تحسن أيضا لأن الطلاب يرون بأعينهم الشيء الذي يدرسونه. مثال آخر هو جوائز الديوان التي سبق أن منحناها. هنا نظهر أيضا دور الوالدين. إذ كرّمنا مثلا إحدى الأمهات العازبات التي ربت أطفالها وهي لا تملك الكثير من المعرفة أو الموارد، وقد ربتهم بشكل جيد. جميعهم تلقوا تعليما جيدا جدا، ولديهم وظائف ممتازة، وكلهم لطفاء ومخلصون. نظهر لجاليتنا أن الآباء يجب أن يلعبوا دورًا كبيرًا، وأنهم مسؤولون عن مسار أطفالهم. لقد كرمنا هذه المرأة لأنها ببساطة مثال على التفاني الذي يجب أن يتمتع به الآباء في تربية أطفالهم. وهذا من شأنه أن يحفز أيضًا الآباء الآخرين على دعم أطفالهم وفهمهم والوقوف إلى جانبهم. حينها يستطيع الأطفال تحقيق ما حققه الآخرون أيضا. هناك حقا الكثير من الأشياء التي نقوم بها في هذا المجال. لقد أجرينا مع خبيرات وخبراء دورات تدريبية بالتعاون مع مؤسسة أوتو بينيكه، على سبيل المثال لإضفاء الطابع الاحترافي على عمل الجمعيات والمساجد أو دعم الآباء. توعية الوالدين مهمة جدا. ويشمل ذلك اطلاعهم على كيفية التعامل مع الاستهلاك والوسائط الإعلامية، وعلى المواضيع الصحية مثل استهلاك السكر ومرض السكري، والفحوصات الطبية الوقائية أو الوقاية بشكل عام، كالعناية بالأسنان مثلا. يستهدف هذا غالبا الآباء الذين لم يولدوا في ألمانيا ولا يعرفون بعد هذه الأشياء. لا يعرفون مثلا أنه يمكنهم إجراء الفحوصات الطبية الوقائية على حساب التأمين

الصحي. نذهب إليهم ونشرح لهم ما يحتاجون إليه، والأشياء التي يحق لهم الاستفادة منها، كالدعم الخاص بتعلم اللغة الألمانية وما إلى ذلك. نقدم أيضا دليلا للآباء الذين ليس لديهم معرفة مسبقة بهذه الأشياء لنوضح لهم كيفية القيام بذلك. كما قمنا أيضا بتنفيذ مشروع لتعزيز الطابع الاحترافي في الجمعيات والمساجد المغربية في ألمانيا، لأن معظم المساجد والجمعيات تقوم بعمل جيد جدًا وتستحق الدعم ليصبح عملها أكثر احترافية.

تطرقت للدور النموذجي لمشاريع الشبكة. برأيك ما هو تأثير هذه المشاريع؟

كريم زيدان: في كل الأحوال دورها النموذجي على جميع الأصعدة الممكنة. جمعيات أخرى ترى فينا قدوة وتحاول تحسين عملها، كي يتسنى لها القيام بهذه الأنشطة. ينبغي أن نكون دائما قدوة للشباب، لهذا قررنا أيضًا تأسيس فرع شبابي للشبكة، ينظم فيه الشباب أنفسهم ويكون لدى ممثلهم صوت في مجلس إدارة الشبكة. استطعنا ضم الشباب من خلال مشروعين أثمرا نتائج ملموسة. أطلقنا آنذاك مشروعا تحت اسم "سفراء السلام". سفراء للسلام في وقت كان ينزلق فيه شباب نحو التطرف. رأينا أنه لا يكفي أن نتحدث مع الناس بشكل نظري حول ما يجب فعله. ففكرنا في تنظيم رحلة يتعرف خلالها شباب من عدة مدن مختلفة في ألمانيا على بعضهم البعض. شارك 22 شابا وشابة من برلين وشمال الراين وستفاليا وهامبورغ وميونيخ وغيرها في رحلة مدتها ثلاثة أيام في برلين. قمنا على سبيل المثال بزيارة معرض "طبوغرافيا الإرهاب". أجرينا نقاشات حول الراديكالية والتطرف والعنف وحقيقة أنه لا يوجد منتصر في الحرب، وأن الجميع يخسرون. أصبح الشباب في مدنهم سفراء لأصدقائهم. لهذا أطلقنا على المشروع اسم "سفراء السلام". بعد ذلك بعام، وفي الرحلة التالية، قمنا على سبيل المثال بزيارة مسجد وكنيس يهودي وكنيسة. تم إلقاء محاضرة حول مدى قربنا من بعضنا وحول ما هو مهم في الحياة. وهذا ما يلاحظه المرء أحيانًا بعد عودة الشباب من رحلة كهذه. إذ لم يسبق لهم أن كانوا لوحدهم في رحلة بعيدة، وهاهم الآن ناضجون ويشاركون في مشاريع ويتعرفون على أناس آخرين من مدن مختلفة. كما أنهم يكتسبون أيضا معرفة تاريخية. البعض يستغرب ويقول: "يا إلهي لم أكن أعرف إطلاقا مدى المآسي التي ارتكبت في فترة الحكم النازي، وبأنها أودت بحياة الكثير من اليهود وأقليات أخرى وأشخاص ذوي أفكار مختلفة. هذا شيء محزن." وعندما يشعر شخص بالحزن لمقتل أناس ذوي معتقدات مختلفة، حينها يدرك أن ذلك ليس سببا للحرب أو النزاعات. هذه هي الرسائل التي نريد إيصالها. يرى المرء حقا أن مشروعا كهذا كان له أثر كبير في تغيير أفكار هؤلاء الشباب.

ما الذي تتمناه لشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا مستقبلا؟

كريم زيدان: في المستقبل ... أتمنى أن نستمر في تكريس أنفسنا لهذا العمل وهذا التحدي، وأن نتمكن من كسب العديد من الشباب الذين سيواصلون هذا العمل. أن نسلّم الشعلة إلى الشباب، إن جاز التعبير. هذه هي أمنيتنا.

شكراً جزيلاً لك سيد زيدان على هذه المقابلة، وأتمنى لشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا ولك شخصيا كل التوفيق.

تصوير: كريم زيدان - حوار مع عامل مدينة الصويرة جمال مخططار

عالم الفن

تصوير: جويل فالك

جواز السفر

مريم صاب

- من مواليد فوبرتال
- مغنية أوبرا وأستاذة موسيقى
- عضو أوركسترا لاندسبينه ساكسونيا

"أجد نفسي مستمتعة عندما تتعانق في حياتي ثقافتين مختلفتين وثريتين."

في يونيو 2010 إحدى الصحف الألماني تعبر عن مفاجأتها من أداء مريم صاب التي توفقت في مشاركتها في أحد العروض الكلاسيكية كمغنية سوبرانو. منذ ذلك الوقت بصمت مريم على حضور قوي في هذا المجال.

عندما وصل والدي المولود في مدينة الناظور بشمال المغرب إلى ألمانيا عبر هولندا عام 1969، لم يكن يتصور أن تقف ابنته يومًا ما، على خشبة المسرح كمغنية أوبرا. بعد تنقله عبر محطات عديدة وبعد سنوات من العمل الشاق والجاد حطّ الرحال أخيرا في مدينة فوبرتال غرب ألمانيا، حيث يستمتع الآن بتقاعده المستحق. لدي خمسة إخوة ذكور. أحدهم أحضرته والدتي معها الى هذه العلاقة، بينما احضر أبي الأربعة الأخرين من زواجه بسيدة مغربية. نشأت في مدينة فوبرتال الجميلة والمتنوعة والصاخبة، وهناك التحقت بالمدرسة الابتدائية والثانوية. وفي سن مبكرة وفي غفلة من والداي، ترعرع بداخلي حب كبير للموسيقى والتمثيل. أثناء الدراسة الابتدائية، تلقيت دروسا موسيقية أولية في الغيتار. كنت أرغب في تلقي دروس في الباليه أيضا، لكن الموارد المالية المحدودة لم تكن تسمح بذلك. من أجل تنمية حسي بالانتماء إلى المجتمع، سجلتني والدتي في أحد نوادي لعبة الهوكي، حيث كنت عضوًا في فريق الفتيات طيلة أحد عشر عاما.

ولأن حبي للموسيقى لم يخبو، فقد حصلت مجددا على دروس في الغيتار، إلا أنني كنت أفضل الغناء على العزف. انتبه السيد تيلي الذي كان يعطيني دروسا خصوصية في الموسيقى، لموهبتي، وأثناء حديثه مع والدتي عن رغبتي في تمرين صوتي نصحنا باللجوء الى مُدرِّستي الأولى في الغناء، دورا بروكمان. في ذلك الوقت كانت السيدة بروكمان عضوا في جوقة أوبرا فوبرتال، وكانت قد غنّت جميع الأدوار الرئيسية الدرامية في الميزو سوبرانو. بكل تفاني، وبالحب

تصوير: مريم صاب - بورتريه

تصوير: سيجرجيو لوكوفيتش: خلال عرض إكسير الحب لدينوزتي

والاخلاص هيأتني لدراستي. بالنسبة لوالدَيْ، وخاصة أبي، كان الوضع غريبًا. كان يتمنى أن يرى ابنته طبيبة أو محامية. لكن أن تختار الفن مهنة وأن تقف على خشبة المسرح، فهذا ما كان من الصعب عليه تخيله وهو القادم من منطقة لا يلعب فيها الغناء الأوبرالي أي دور في الحياة الثقافية، ولا يتوافق دائمًا مع آرائه الدينية. مع ذلك، فإنه اليوم فخور جدًا، خاصةً حين تلقيت رفقة ثلاث فنانات غناء كلاسيكي من أصل مغربي، دعوة لحضور احتفالات عيد العرش الخاصة بالملك محمد السادس عام 2014 من مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين في الخارج. في عام 2001 بدأت دراستي الصوتية لدى المغنية الشهيرة باربرا شليك في مدرسة كولونيا فوبرتال للموسيقى. وقد اجترت امتحان التخرج في عام 2008. وأعمل اليوم تحت رعاية المطربة ريناته بيسكوب. لكنني ما زلت أطلب النصيحة من باربرا شليك من حين لآخر. بين عامي 2006 و2008 بدأت مسيرتي المهنية بعقد مغنية زائرة في مسرح ولاية شليسفيغ هولشتاين، حيث أديت أدوارا من أوبرا "الناي السحري" لموتسارت و" أناتيفكا" لجيري بوك. لكن أول عقد عمل ثابت لي كان مع فرقة ميتلساكسيشه المسرحية بفراييرغ. كانت مدة العقد أربع سنوات وامتدت من 2008 إلى 2012. خلال هذه الفترة أديت أدوارا مختلفة تراوحت بين أدوار كلاسيكية عظيمة مثل "باميا" و"أنتيغون" وأعمال كارل مريا فون فيبر ووصولا إلى أعمال معاصرة وأوبريتات. في عام 2012 وتلبية لدعوة من مديري الفني مانويل شوبيل انتقلت إلى مسارح ولاية ساكسونيا برادبول حيث عملت حتى يوليو 2017. ومنذ أغسطس 2017 وأنا أعمل مغنية مستقلة. النشأة بين ثقافتين تجربة جميلة وثرية. مع ذلك، فإن هذه التجربة لم تكن سهلة، وبخاصة لزملائي في المدرسة الابتدائية من ذوي الأصول الأجنبية الذين كانوا يتعرضون للمضايقات. كان هذا يحزنني كثيرا، لأنني كنت أشعر بأنه هجوم شخصي علي أنا أيضا. لحسن حظي أني كنت أتلقى معاملة وعناية جيدة في المنزل. ومع مرور السنين ما عاد هذا الموضوع مطروحا. أثناء الدراسة الثانوية، كان هناك تنوع في الجنسيات لدرجة أنني كنت أشعر وكأنني في بيتي. كان إحساسا جميلا. مع ذلك، كان لدي أيضًا تجربة مع التطرف اليميني: فقد هدد أحد النازيين الجدد صديقتي الألمانية اليونانية وصديقها وأنا ايضا. كانت هذه أسوأ تجربة عشتها في حياتي. مع ذلك، فإنني أفضل العيش في ألمانيا وأحب التنوع الذي يطبع البلد وسكانه! طبعا أحب من حين لآخر أن

أسافر إلى المغرب "أرض آبائي". دفء الناس وفضاء القصص الخيالية في مراكش و شساعة المحيط وروعة المدن الكبرى الأخرى تجذبني إليه دائما. ستظل العديد من التجارب الجميلة مرتبطة دائمًا بهذه الإقامات: مثل الليلة التي قضيناها على سطح دار للأيتام في مراكش حيث أخذنا نأكل ونضحك ونرقص حتى وقت متأخر من الليل، أو الحفلة الموسيقية الصغيرة التي اقمناها بعفوية في رياض وسط البلدة القديمة حيث كلف رجلان نفسهما عناء حمل بيانو عبر أزقة الحي اليهودي الى غرفتي زادها رونقا وجمالا. عند منتصف ليلة العيد الوطني الفرنسي حضر نحو عشرة ضيوف دعاهم السفير الى رياضنا لحضور حفل موسيقي صغير. اقيم الحفل في الهواء الطلق وغنيت فيه أغاني وألحانا لموزارت وستراوس وملحنين آخرين. بعد الحفلة تناولنا وجبة ملكية على سطح الرياض. في تلك الليلة وعندما كانت النجوم فوقنا وصدى الموسيقى في قلوبنا، استمتعت كما لم استمتع من قبل، بامتياز أن تتعانق في حياتي هاتين الثقافتين المختلفتين والثريتين.

تصوير: ميشائيل زاب ـ تداريب

تصوير: مارتين رايسمان ـ أمسية مغربية مع ادريس الجاي في لانديسبينه ساكسونيا

تصوير: روبيرت جينتش ـ صورة إشهار لعرض أورفيوس

تصوير: روبيرت جينتش ـ عرض حظر الحب

جواز السفر

مونية رزق الله

- من مواليد بوردو، فرنسا
- وسام الجائزة الأولى لمعهد باريس للموسيقى

"برلين عاصمة الموسيقى الكلاسيكية ومستقبلك هناك"

ولدت منية رزق الله في بوردو. ينحدر والداها من المغرب. وهي فنانة تعيش في عالم الموسيقى الكلاسيكية كعازفة كمان. منذ 2002 أصبحت عازفة كمان رئيسية في أوركسترا دويتشه أوبرا برلين، كما تنبأ لها والدها كما تقول.

لما كنت بصدد الاستعداد لمساهمتي في هذا الكتاب، قرأت مقدمة سيرة غيرالد أساموا[1] شعرت برجة وبتأثر كبيرين. لحسن الحظ؛ فأنا لم أعش نفس تجاربه على خلفية أصوله ولون بشرته. فالعالم الذي أعيش فيه، عالم الموسيقى الكلاسيكية والأوبرا، مصغر ومميز بقواعده الخاصة. فما يهم هنا هو الأداء الشخصي وليس الأصل أو الخلفية الثقافية. اسمي مونية رزق الله، ولدتُ في فرنسا بمدينة بوردو. والداي ينحدران من المغرب، ومنذ عام 2002 أصبحت عازفة الكمان الرئيسية في أوركسترا دار الأوبرا الألمانية برلين. عندما أنظر إلى الوراء؛ أكاد لا أصدق أنني الآن في برلين. فوالدي الذي رحل عنا قبل ثلاث سنوات، وكان يعمل كسائق تاكسي وميكانيكي، كان يعشق الموسيقى الكلاسيكية وسمعها طيلة حياته عبر الإذاعة والتلفزيون. قال لي مرة وأنا لا زلت طفلة: "برلين هي عاصمة الموسيقى والمستقبل بالنسبة لك وللكمان يوجد هناك".

عاش والدي وهو يحمل جهاز الراديو الصغير الخاص به أينما ذهب، إلى أن رحل عن دنيا الناس هذه. عندما كان والدي يستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية كان يبدو في كامل عليائه. غالبًا ما سألت نفسي كيف ستكون حياته لو أتيحت أمامه الفرصة لدراسة الموسيقى. أنا متأكدة الآن من كون والدي سيصبح قائد فرقة موسيقية. هذا أمر مؤكد حتى بعد وفاته. خطرت لأختي الصغرى فكرة إهداء ابنتي صوفيا الراديو الصغير. وأنا التي لم أكن أعرف كيف أخبرها أن أبي بوشعيب لم يعد بيننا. لكن المذياع سهل علي الأمر إلى حد ما. سمح لنا أنا وأختاي باختيار آلة موسيقية نتعلمها. أنا اخترت الكمان وكنت محظوظةً جدًا لأنني تلقيت دروسًا من معلمة رائعة منذ البداية. لقد أيقظت ولعي للموسيقى ورعتها وجعلتني أواصل شغفي بها.

ينحدر والداي من جيل مهاجري شمال إفريقيا الذين هاجروا إلى أوروبا، أملاً في إيجاد مستقبل أفضل لعائلاتهم. لسوء الحظ؛ لم تتح الفرصة لوالدي للذهاب إلى المدرسة، لذلك كانت لدينا قواعد صارمة في المنزل. فالخسارة أو الاستسلام لم يكونا أبدًا خيارًا بالنسبة له. ترعرعت أنا وأختاي بين التنشئة التقليدية في المنزل والبيئة الفرنسية، والتي بالإضافة إلى التنوع الثقافي الغني فيها، إلا أنها كانت تشهد الكثير من أجواء التوتر. لم يكن أبدا من السهل تلمس طريقي

[1] لاعب سابق في صفوف المنتخب الألماني من أصول غانية أصدر كتابا يتضمن معاناته مع العنصرية بسبب بشرته السوداء.

تصوير: ماركو بوسمان - بورتريه

تصوير: مونية رزق الله ـ أثناء تعلم عزف الكمان

الخاص نحو التطور وسط هذه البيئة متعددة الثقافات. فمعظم آباء زملائي شغلوا وظائف مرموقة للغاية، كأطباء ومحامين ومعلمين. في كثير من الأحيان لم يكن الأمر بالنسبة لي سهلا لأنني لا أنتمي إلى هذه النخب ولأن والدي يمتهن عملا بسيطا. وكما يفعل جميع الأطفال لم أكن أرغب في لفت الانتباه، لذا كنت أقول إن والدي مهندس معماري. مع الوقت لم يعد ذلك مهمًا. ومع ذلك، حدث أن سافرت قبل أسابيع قليلة إلى أنقرة حيث قدمت عرضا كقائدة موسيقية رفقة أوركسترا بيلكنت السيمفونية.

ففي المساء خلال حفل موسيقي نظمته السفارة السويدية بمناسبة عيد السويد الوطني، تلقيت دعوة إلى مقر إقامة السفير رفقة قائد الأوركسترا. هذا الأخير ينحدر هو بدوره من السويد. وعندما بدأ الجميع في التعريف بأنفسهم كان قائد الاوركسترا أول من بدأ بذلك، استهل كلامه قائلا: "والدي الجراح المعروف ... "، حينها عادت بي الذاكرة إلى الماضي. بعد ذلك، جاء دوري للكلام فتحدث عن والدي السائق والميكانيكي. رأيت على الفور نظرات الاندهاش على أعين السفير الذي أبدى اهتماما كبيرا لقصتي بكثير من التقدير والامتنان، ولأبي أيضا الذي استطاع أن يتقاسم مع أطفاله حبه للموسيقى الكلاسيكية.

تلقيت دروس الكمان الأولى وأنا في السابعة من عمري. وفي الحادية عشرة من عمري، اجتزت بنجاح امتحان القبول في معهد الموسيقى لبوردو. لكنني عانيت من نفس المصير الذي يعاني منه العديد من الأطفال الآخرين الذين هم في مثل وضعي: إذ فقدت أمي والدها واشتد بها الحنين إلى الوطن. لذا انتقلنا إلى المغرب دون استعداد كبير! لينهار عالمي. افتقدت أشياء كثيرة على رأسها معلمة الكمان. لحسن الحظ، عدنا إلى بوردو بعد ثلاث سنوات، غير أنني اكتشفت أن قدرات زملائي في الفصل كانت أفضل من قدراتي. وكان ذلك مؤلمًا للغاية بالنسبة لي. ومع ذلك، شكل لي هذا الأمر حافزا لاستفزاز ملكاتي أكثر من أي وقت مضى، فعزمت على اللحاق بالركب وألا أكبح عزيمتي بعد الآن. بعد بضعة أشهر، اجتزت امتحان القبول للمعهد الموسيقي في بوردو وتم قبولي. توجت تعليمي بالحصول على الباكالوريا، كما نلت على أعلى وسام وهو الميدالية الذهبية.

بينما كنت لا أزال في معهد بوردو الموسيقي، التقيت بالبروفيسور بيير دوكان حيث كان ذلك لقاء مهمًا جدًا بالنسبة لي. كان دوكان حينها أستاذاً بالمعهد الوطني العالي للموسيقى والرقص في باريس، وأراد أن يعرف من سيحظى بفرصة امتحان القبول في باريس من فصلنا في تخصص آلة الكمان. أعطاني حصة وأبدى اهتمامًا بي. كنا نخشى طبعا، أن تكون حصصه مكلفة للغاية، غير أنه قال لي "الشيء الوحيد المطلوب مني هو أن أعزف جيدا". لذا تقدمت لامتحان القبول في معهد باريس وقُبلت بالإجماع من طرف لجنة التحكيم. شعرت بسعادة غامرة خاصة وأنه كان هناك أكثر من ٣٠٠ متقدم لشغر سبع أماكن فقط.

بالإضافة إلى فرحة الحصول على مقعد دراسة جديد، شعرت بسعادة غامرة للانتقال إلى باريس واكتشاف بيئتي الجديدة. وقتها أخذت والدتي على عاتقها البحث لي عن مسكن مناسب. بينما كنت أنا لا أزال أحلم بشقة مشتركة في باريس، وجدت نفسي في "Foyer Philanthropique de Meaux" ، ويتعلق الأمر بدار للسكن خاص بالنساء مكونة من أربعة طوابق تضم ثمانين شابة وثمانية حمامات وتلفزيون. تعرفت أنا وأمي على المديرة. سيدة قصيرة ومسنة في الستين من عمرها. شعرها أبيض قصير تضع نظارات كبيرة ومظهر صارم بشكل لا يصدق. عندما تطلعت إلى نظرات أمي القلقة، خاطبتها قائلة: "ابنتك في أيد أمينة. هنا يغلق الباب الرئيسي مباشرة بعد منتصف الليل بقليل. ما زلت أتذكر جيدا كيف ابتهج وجه والدتي للغاية. لقد كانت سعيدة!.

بعد أسابيع قليلة انتقلت من هذا المسكن. ففي محادثتي الأولى مع المديرة، أخبرتني أن فترة باريس ستكون جيدة بالنسبة لي وأنني سأشعر براحة كبيرة فيها. علاوة على ذلك، فإنها لا تغلق الباب أبدا. وهي

تقول ذلك من باب طمأنة الوالدين لا غير. شعرت حينها بسعادة غامرة!. ومع ذلك؛ ظل تقييد حركة الأولاد ساريًا، فلا يسمح لهم سوى بالدخول إلا للغرف المشتركة وخلال ساعات الزيارات الثابتة. أعتقد أن والدتي افترضت أن نهاية الأسبوع في باريس هي مخصصة للاحتفال لا غي، لذا كان ينبغي علي السفر إلى بوردو كل يوم جمعة والعودة إلى باريس مساء الأحد. غير ما مرة، كنت أصل إلى بوردو متعبة جدًا واضطر إلى قضاء ساعات طويلة في النوم بفرط التعب.

طوال سنوات دراستي للكمان كنت الوحيدة من أصل شرقي، وكنت أبدو غريبة في أعين الكثيرين. فمعظم زملائي الطلاب كانوا ينحدرون من أسر ثرية. كان هذا العالم نخبويًا للغاية ولم أكن أرغب في التحدث عن أصولي ومن أين أتيت وماذا كان يعمل والداي لكسب لقمة العيش. كما كنت تمنيت أن يكون اسمي مختلفا؛ مريم مثل أختي. فهذا الاسم بدا لي أكثر أوروبيا. كانت أمنيتي أثناء نشأتي هي الانتماء لهذه العينة وعدم الخروج عن المألوف. بعد ثلاث سنوات وبالتزامن مع نهاية دراستي في باريس، فزت بجائزتين في المعهد؛ الأولى في الكمان والأخرى في موسيقى الحجرة. بعد ذلك اجتزت اختبارات في باريس للحصول على منح دراسية مختلفة مخصصة لتمويل الدراسة في الخارج. فبفضل تلك الموارد درست بداية في "أكاديمية موتسارت" بوارسو. في هذه الفترة تغيرت أشياء كثيرة بالنسبة لي. تصالحت مع اسمي "مونية" وكوني أنتمي إلى أسرة متواضعة. وهو ما جلب لي الكثير من التعاطف، وكان الحظ يقف دائما إلى جانبي.

خلال فترة دراستي، قابلت قادة موسيقيين وعازفين رائعين ساعدوني كثيرًا، منهم على سبيل المثال ماريك يانوفسكي. فتحت إشرافه عزفت كقائدة موسيقية في أوركسترا فرنسا للشباب في فرنسا. وهو الذي اقترح علي الذهاب إلى برلين لمواصلة الدراسة مع توماس براندیس، القائد الأول لأوركسترا برلين الموسيقية والأستاذ في جامعة برلين للفنون. فبالإضافة إلى الموسيقى، سأتعلم "الانضباط اللازم" هناك، كما قال لي. وفي وارسو تعرفت على عدة قادة موسيقيين من بينهم غريغوري زيسلين الذي كان يرغب في ضمي إلى فصله الخاص بعزف الكمان بلندن، لكن امتحان القبول لبرلين كان الأسبق. قُبلت في العاصمة الألمانية وانتقلت إليها. وكانت المنحة الدراسية تقتضي تغطية مصاريفي لمدة سنتين. غير أنني وبعد بضعة أشهر من شراء الكثير من الأحذية الجميلة، لم تعد المنحة كافية. لذا أرسلني البروفيسور توماس براندیز إلى دويتشه أوبرا في برلين مقابل عقد مؤقت، ففزت بالوظيفة!. كانت طريقة عملهم هناك مختلفة تمامًا عما كنت أعرفه في فرنسا. كان أسلوبهم فعالا جدًا وسريعا. يتم التمرن على مقطوعات مختلفة وعزفها كل يوم. كانت دار أوبرا كبيرة ذات "ريبيرتوار" ضخم. أحببت طريقة تعامل الناس وخاصة الموسيقيين في برلين مع بعضهم البعض. هي طريقة مباشرة للغاية ولكنها واضحة المعالم، تضع الهدف نصب الأعين.

بعد مرور بضعة أشهر سألني زملائي عما إذا كنت مهتمة بوظيفة دائمة في الأوركسترا، لأن هناك وظيفة أصبحت شاغرة. لذا أجريت اختبارًا آخر مع العديد من المرشحين، وحصلت عليها، وبعد فترة تجريبية استمرت لبضعة أشهر حصلت على عقد دائم. وبعد عامين، قمت بإجراء اختبار للوظيفة الذي أنا فيها اليوم: قائدة الكمان الرئيسي، ففزت أيضًا في هذا الاختبار. المنصب الجديد يعني المزيد من المسؤولية، لأنه جزء من عمل قادة الأوركسترا. كان قائد الفرقة الموسيقية في ذلك الوقت، كريستيان تيلمان، يراقب أصابعي، وكان يظهر علي توتر كبير جدا!. بعد فترة اختبار مدتها عام واحد نجحت وحصلت على وظيفتي الحالية. هذا الموقع فتح لي العديد من الفرص. منذ ذلك الحين أدرس كمحاضرة في أكاديمية الأوركسترا بدار الأوبرا الألمانية وأعزف مع العديد من الفرق الموسيقية الشهيرة كعازفة زائرة في جميع أنحاء العالم، من بينها فيلهارموني برلين وكبريات دور الأوبرا في هامبورغ وميونخ وشتاسكابيله برلين وأوركسترا الإذاعة السيمفونية في برلين وميونيخ، وأوركسترا بالنسيا ودور أوبرا في إيطاليا.

تصوير: مونية رزق الله ـ بورتريه

تلقيت دعوات لحضور عدد من المهرجانات الكبرى في لوسيرن وسالزبورغ ولندن وبوينس آيريس ونيويورك وطبعا ببرلين. في عام 2018 مررت بتجربتين كانتا مهمتين بالنسبة لي على المستوى الشخصي. كان لي شرف العزف مع الأوركسترا العالمية من أجل السلام في حفل بي بي سي برومز بلندن. تألفت الأوركسترا من 25 دولة، كانت تضم أفضل فرق الأوركسترا في العالم. والآن أصبحت 26 دولة بإضافة المغرب. فإلى جانب أنني أمثل دويتشه أوبر برلين أصبحت أمثل الأكاديمية المغربية أيضا. من ناحية أخرى، تلقيت دعوة إلى أوبرا سيمبر في مدينة دريسدن (شرق ألمانيا)، والتي كان لها معنى خاص جدًا بالنسبة لي كقائدة وامرأة منحدرة من أصول مهاجرة. بالإضافة إلى ذلك، عزفت لعدة سنوات في مهرجان موسيقى فاغنر بايرويت بجنوب ألمانيا والذي يكتسي شهرة عالمية، وكنت عضوًا في أوركسترا المهرجان. عندما عزفت في بايرويت لأول مرة كنت حاملاً بابنتي صوفيا التي تبلغ الآن ثماني سنوات.

تصوير: مونية رزق الله - بورتريه

هناك وكما هي الحال في برلين؛ أردت بعدها أن أتفاعل مع التصفيقات الحارة للجمهور في آخر العرض بالانحناء والوقوف بكل حيوية، وبسبب التركيز الشديد والانغماس في العرض، كنت أنسى بطني، وفجأة أتذكر وأكبح حركتي بقوة شديدة. ولكن لحسن الحظ مرت الأمور بخير وجاءت صوفيا إلى عالمنا هذا في 2010 وأصبحنا ثلاثة أعضاء في الأسرة.

لقد جعلني موت أبي امرأة بالغة. كرست الوقت كله لصوفيا، ولم يكن لي متسع من الوقت للحزن. لم يكن موضوع التربية حاضرًا بقوة عندي كما هو الآن. فيما يخصني أنا، كانت نشأتي صارمة. أخبرني المايسترو الشهير دانيال بارنبويم خلال محادثة حول التنشئة أن هناك خيارين: إما أن يحمي الوالدان طفلهما أكثر من اللازم أو يعاملونه كما لو كان بالغًا. كلاهما خاطئ على حد قوله. لقد اتخذت قراري بعدم الاختيار. أنا أحبها وسأرتكب الأخطاء، وهذه هي الحال الآن. هي سعيدة وتُظهر لنا ذلك. لدي انطباع أنها اختارتنا نحن لنكون والديها. ما أحبه حقًا في وظيفتي هي أنها منحتني فرصًا لا حصر لها للسفر إلى مناطق في جميع أنحاء العالم من أجل الموسيقى. وهكذا سافرت كعازفة منفردة وضمن موسيقى الحجرة ورفقة فرق أوركسترا مختلفة بمعظم أنحاء أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، وآسيا، وإفريقيا، ونيوزيلندا. عزفت ذات مرة مع أوركسترا نيويورك الفيلهارمونية وفيلارمونيكا أرتورو توسكانيني. بعد الحفلة الموسيقية استدعاني المايسترو لورين مازل لغرفة عمله وسألني إذا كنت سأعزف "شهرزاد" معه ومع فيلارمونيكا أرتورو توسكانيني كعازفة منفردة في طوكيو. لسوء الحظ في ذلك الوقت كان لدي التزام عمل في برلين. وفي محادثة أخرى، أخبرني أن لديه ذاكرة فوتوغرافية ويقرأ صفحات الكتب ككل من أعلى إلى أسفل. ثم أراد أن يعرف ما كنت أقرأه وقتها، توجهت إلى الكومودا فكان فوقها نسخة من مجلة "كوسموبوليتان" التي جلبتها معي من الطائرة.

كنت محظوظة جدًا بالعزف إلى جانب العديد من قادة الفرق الموسيقية المشهورين، مثل زوبين ميهتا الذي قاد كل شيء عن ظهر قلب، والسير سيمون راتل الجينتلمان، ونيكولاس هارونكور الدقيق الذي يتدرب لمدة 30 دقيقة على مقطع من المعزوفة الموسيقية والعبقري أندريس نيلسون الذي سكب زجاجة كاملة من الماء على رأسه خلال التدريبات في مهرجان فاغنر ليبرد، أو دانييلي غاتي صاحب الشخصية الجذابة. وكان لقاء دانيال بارنبويم أحد أهم لقاءات حياتي. إلى جانبه عزفت لعدة سنوات في برلين بـ "أوركسترا الديوان غرب شرق"، حيث كنت أشرف على تدريب العزف على آلات الكمان الثانية. تأسست أوركسترا ديوان غرب شرق المؤلفة من موسيقيين إسرائيليين وعرب، في عام 1999 من قبل قائد الأوركسترا دانيال بارنبويم والباحث إدوارد سعيد من أجل تعزيز السلام في الشرق الأوسط عبر الموسيقى. انبهرت بالفكرة، لكن الأهم من ذلك كله أن اللقاءات التي أجريتها في هذا السياق حفزت الكثير من التفكير والتأمل الذاتي، وأقامت صداقات مستمرة حتى يومنا هذا. للمرة الأولى، أتيحت لي الفرصة للتحدث مع موسيقيين آخرين ناطقين بالعربية في مجالي المهني وتبادل الأفكار حول تجارب الحياة التي كانت في بعض الحالات مشابهة لتجاربي. كان الجدل والعمل لا يخلوان من توتر، ولكنه كان نقاشا غنيا ولد الكثير من الأفكار.

أشعر اليوم كيف أن بيئتي اليومية في ألمانيا، وبلدي الأم فرنسا، وجذوري المغربية بصمت حياتي. ترافقني ذكريات الصيف القوية

عندي أجدادي، ورائحة التوابل والمطبخ المغربي، والموسيقى التقليدية والرقص، وأنا أستمتع بدعوة أصدقائي في برلين إلى منزلي لتناول الشاي في "غرفة الجلوس المغربية". بعد كل ما عشته وجربته من خلال الموسيقى حتى الآن، يجعلني سعيدة جدا وممتنة كي أمارس عملي هنا في ألمانيا. لا توجد دولة أخرى في العالم لديها مثل هذه الثقافة الأوركسترالية الفريدة والتقدير الذي تشعر به كموسيقي هو كبير للغاية. يكافئنا اعتراف الجمهور كل يوم على الجهد والضغط والانضباط الذي تتطلبه هذه المهنة. قبل كل شيء، أنا ممتنة لوالدي الراحل لأنه مهد الطريق لحياتي بحبه للموسيقى الكلاسيكية!. لطالما شاركت في الترويج للموسيقى الكلاسيكية في العالم العربي، وخاصة في المغرب. وفي الأثناء، أخذ التزامي شكلا بنيويا، من خلال الدعم الذي أتلقاه من شبكة من الموسيقيين المشهورين عالميًا والتي تم تشبيكها على مدار سنوات عديدة. يتم هنا مزج الخبرات المتنوعة والمعرفة الاستثنائية عبر مشروع أطلق عليه "الأكاديمية".

تهدف الأكاديمية إلى تحقيق مشروع ثقافي بمستوى عالمي، من خلال إحداث منصة للتبادل المرتبط بالمحتوى الثقافي. كما يوفر الفرصة لإنشاء جسور ونقاط اتصال بين البلدان والثقافات والأشخاص الذين هم في أمس الحاجة إليها، في عالم يتسم حاليا بالاستقطاب والتفرقة. يتعلق الأمر بمشروع للموسيقى الكلاسيكية يهدف إلى تعزيز التبادل الثقافي بين ألمانيا والمغرب. وهي مبادرة ترعاها السفارة المغربية في برلين ومعهد غوته وشركاء ألمان مثل برنامج الدعم الموسيقي GVL، وهو مشروع فريد من نوعه في العالم لدعم الثقافة الأوركسترالية الكلاسيكية. تمثل الأكاديمية منصة لشبكة من أفضل فرق الأوركسترا الألمانية، الذين يضعون مهاراتهم وخبراتهم رهن إشارة دورات تدريبية أطلقنا عليها "ماستركلاس". وهي دورات مكثفة وحفلات موسيقية منظمة بشكل مشترك لتعزيز الترويج لموسيقى الأوركسترا في العالم العربي. انعقدت النسخة الأولى منها في الرباط بصيف 2017، وعرفت نجاحا كبيرا وكان الطلب عليها كبيرا. فبدلا من 12 شخصا كما كان مخططا له، شارك في النهاية 67 موسيقيًا من جميع أنحاء المغرب. من هؤلاء الموسيقيين قمنا بتأسيس أوركسترا، وهي أول أوركسترا مغربية للشباب تحمل اسم الأوركسترا الوطنية للشباب المغربي. وفي صيف 2018، تم دعم الأكاديمية أيضًا من قبل شركة "بوش" الألمانية للمرة الأولى في تاريخ الشركة التي ترعى فيها مشروعا ثقافيا في شمال إفريقيا.

كان لي عظيم الشرف أن تولت الأميرة لالة مريم الرعاية الشرفية. استعدادًا لدورة صيف 2019 قمت برحلة عبر المغرب في خريف 2018 لمعاينة طلاب الموسيقى من جميع أنحاء البلاد. وحصل 50 من أفضل العازفين منهم على منحة للمشاركة في فئة الماجستير وفي أوركسترا الشباب في عام 2019 التي أقيمت في فاس لأول مرة بعد عامين من تنظيمها في الرباط. يهدف المشروع مستقبلا المشاركة في مهرجان Young Euro Classic في برلين تحت إشراف قائد الأوركسترا الشهير ماريك يانوفسكي.

في حديث لي سابق مع السفير السويدي قال لي بأن هناك حاجة لمزيد من الأصوات من المسلمين للتحدث علانية ضد الإرهاب. فأخبرته أنني أعرف الكثير من الأشخاص في المغرب الذين يبلون البلاء الحسن في محاربة الإرهاب. ففي رأيي، أن التقارير الإعلامية الأحادية الجانب جزء من المشكلة، والتي غالبا ما تحقق أرباحًا أسرع بترويج صور سلبية. أشرتُ في بداية هذه المساهمة إلى أنني لم أعان شكلاً من أشكال العنصرية كتلك التي عاشها اللاعب غيرالد، لكنني غالبًا ما أجد نفسي في حالة صراع داخلي: عندما أسمع - وهذا يحدث الآن كل يوم تقريبًا - أن "" المسلمين " قاموا بكذا وكذا، فأشعر بالحزن والحيرة. آمل من خلال الأكاديمية أن أتمكن أنا أيضًا من المساهمة بشيء لإعطاء بصيص من الأمل.

تصوير: مونية رزق الله ـ لوغو الأكاديمية

تصوير: مونية رزق الله ـ رفقة المستشارة أنغيلا ميركل

جواز السفر

مليكة رياض

- من مواليد لوزان
- مغنية أوبرا منفردة، ومنتجة
- مدرسة غناء

"رصيف الولع - سيرة ذاتية"

ولدت مليكة رياض في لوزان ونشأت في زيورخ والدار البيضاء وكارلسروه. درست الغناء في المدرسة العليا للموسيقى بكارلسروه. هي مؤسسة "مهرجان قصر كارلسروه للموسيقى الكلاسيكية في عام 2004. هذا المهرجان الذي تديره رياض، ليس مهرجانا للموسيقى الكلاسيكية فقط، بل هو محطة لتلاقح الثقافات، حيث شارك فيه عدة فنانين عرب ويهود وآخرون من عالم الموسيقى الصوفية من المغرب وتركيا ومن الموسيقى الهندية والكورية. يشار إلى أنه مهرجان موجه للعموم بالمجان. شاركت رياض في عدة مشاريع ثقافية ومهرجانات عالمية كما هي الحال مع المشروع العالمي "إيل سيستيما" في كاراكاس، عاصمة فنزويلا تحت إشراف مؤسسة سيمون بوليفار. وهو المشروع الذي يسعى إلى تلقين أطفال المناطق الفقيرة أصول الموسيقى الكلاسيكية.

في الغربة

من الوطن خلف الصواعق
من هنا تأتي الغيوم،
غير أن الأب والأم لفهما الحِمام منذ زمن بعيد،
لا أحد بعد الآن، يعرفني هناك .

متىٰ ياترىٰ يأتي الموت،
وأخلد أيضا للراحة هناك، وفوقي
حفيف الغابة الجميلة العزلاء،
ولا أحد يعرفني بعد الآن

أعشق معزوفة روبرت شومان "في الغربة" لشاعرها يوزيف فون آيشندورف. كنت قد اخترتها ضمن برنامج لأحد الحفلات الرومانسية. غير أنني أثناء التداريب، لم أكن راضية عن الأداء، كنت أريد أن أستخرج منها الكثير. كان الأمر معقدًا، ولم أستطع تأدية المقطوعة بالطريقة التي أريدها. تعثرت في الأداء ولم أستطع فهم السبب. فسجلت نفسي في حصة للأداء عند مدرسي في الأداء بيتر إلكوس. إنها حصة مفتوحة أمام كل المهتمين. كنت متوترة كالعادة وخائفة من أن أجد نفسي في مواجهة مطباتي الذاتية وفوق ذلك أمام الجمهور أيضا. انتابني شعور غريب، بدأت أشعر معه بدغدغة في البطن وكأن كائنات غريبة تتراقص داخلها. وقد تخدعك وتصور لك أنك جوعان نهم. وبما أن استهلاك البسكويت في حصص التداريب الموسيقية هائل جدا خاصة بسكويت الشوكولاتة. يبدو لي أن الأمر لا يخصني وحدي، بل أن ارتعاش الركبتين من الخوف، جار به في هكذا مقام.

تصوير: سكوت لويس

تصوير: بأول ليزورد

الجمهور تقريبا كلهم من المغنين وعشاق الغناء. هم أنفسهم على نفس الحال. نضحك ونبكي معًا، ونسافر معا إلى موطن الخوف والأذى، ولكن إلى الفرح والحبور أيضا. رحلة اكتشاف رائعة، لأنه لا يمكن للمرء أن يغني إلا بما يشعر به ويسعى لإبرازه... الغناء هو أولاً وقبل كل شيء مواعدة مع الذات، وفي بعض الأحيان تظهر هنا أشياء مدهشة من ضباب اللاوعي. لذا غنيت مقطوعة " في الغربة" برفقة أولغا عازفة البيانو خلال الحصة. وقلت "لم يكن الأمر سيئًا على الإطلاق". أكيد أنني لم أشعر بالراحة هنا أوهناك، لكن أستاذي سأل "هل هذه أغنية حزينة؟". رجني سؤاله وقطع حبل أفكاري. الغريب أنني كنت بعيدة شيئا ما، وتساءلت:

ـ ولكن أين؟ ربما ضحكت لأواري ارتيابي. وأعدت السؤال؟ ومن هول المفاجأة، أجبت: يا له من سؤال غبي! نظرت إليه وشعرت كم أنني غاضبة.

وفي نفس الوقت اندهشت لم أنا غاضبة للغاية؟ ثم أجبت نعم بالطبع أنها أغنية حزينة، ولكن هناك أيضًا جمال الطبيعة مسنود بالروحانيات والأمل أجاب أستاذي بإنجليزية: "حسنًا ، لكن لا يمكنك أن تكون حزينة وحزينة للغاية في نفس اللحظة. يمكن للمرء أن يكون كذلك، ولكن بشكل متتالي، وليس في اللحظة نفسها. وقطع بيديه " شريحة حزينة " وأخرى "حزينة للغاية" من كعكعة الهواء. حدقت فيه بدهشة ولم أفهم ماذا يقصد؟ الشيء الوحيد الذي فكرت فيه وقتها هو أنني عبرت عن دهشتي قائلة "هاه، ولماذا لا أفهم ذلك الآن؟

سأل "طيب، هل يمكنك أن تعيدي مرة أخرى، من فضلك؟

فجأة شعرت وكأن كبريائي اهتز وأصبحت عاجزة على السيطرة على هكذا موقف.

بدأت عازفة البيانو المقدمة الجميلة بمفتاح بسيط. تركت مزاجي المعكر ينسجم مع اللحظة وأخذت نفسا للغناء. غنيت الكلمات الثلاث الأولى: "من الـ وطن"، فجأة خرجت من حلقي صرخة مخنوقة. شعرت بألم كبير بداخلي، ألم لم أفهمه، لكنه كان موجودًا ولم أستطع سوى البكاء. قال أستاذي "دعي هذا يخرج" وألقى لي حزمة من المناديل الورقية، لكنني تعففت، وأردت بتحدٍ استعادة السيطرة والاستمرار في الغناء، تمامًا مثل أي مغنٍ محترف. غير أن المحاولة لم تسعفني. من الصدمة لم أستطع التوقف عن البكاء. نظرت إلى الجمهور، كان بعضه يحبس الدموع في مآقيه. لا فرصة للاستمرار في الغناء. من وراء نافذة الغرفة، كانت تقف شجرة باسقة أغصانها، فتوجهت إلى النافذة أنظر إلى تلك الشجرة. حاولت أن أمسك بنفسي، لم أعرف مدى المدة التي ظللت فيها واقفة هناك: خائرة ومغتمة للغاية، مرتبكة وحزينة للغاية، لكنني أخالها فترة طويلة جدا. الأهم من ذلك كله أنني كنت أرغب في مغادرة الحصة، غير أن أستاذي قال لي بلطف:" خذي وقتك، واستأنفي الغناء عندما تكوني مستعدة". لم يسمح لي بالمغادرة. استسلمت، وبكيت، وواجهت الألم بوعي، وانتظرت إلى أن خمد.

وأخيرا أومأت إلى عازفة البيانو وغنيت هذه الأغنية حتى النهاية. ولم يكن لدي مزيد من الأسئلة. إنه الشيء الأكثر طبيعية في العالم، فهمت أنني لفترة طويلة رفضت دون قصد تقبل ألم هذه الأغنية. ألم فقدان الوطن وأن يجد المرء نفسه أعزل. ألم العزلة الذي نشعر به جميعًا فينا، بغض النظر عما إذا كنا قد اختبرناه بوعي. وهو ما قد يحولنا إلى عنصريين إذا لم نكشفه أو نتحكم فيه. الغضب على الألم يحمينا.

الألم مثل محاصر في حصن، يحتك بحجر قلعة الغضب إلى أن يجرح نفسه. من خلال هذه الأغنية ومعلمي رهيف السمع، تمكنت ربما من فتح نافذتين أو ثلاث؛ كونت فكرة عن خوفي وحزني، وعلى أن أكون وحيدة، وغير قادرة على التواصل مع الناس.

سبق للشيخ خالد بن تونس من الطريقة الصوفية: الرابطة الدولية الصوفية العلوية، أن قال في محاضرة قبل بضع سنوات: "نحن البشر مثل لؤلؤ في عقد، هي لآلئ مختلفة ولكن كل لؤلؤة هي لوحدها. ومع ذلك، فإن الشيء الأكثر أهمية هو ما لا يمكن رؤيته: الخيط الذي يجمع اللآلئ مع بعضها. الوطن هو الارتباط مع الذات ومع الماضي ومع الآخرين على قدر المستطاع. وإذا لم يكن ذلك ممكنا، على المرء أن يعي ما لا يمكنه الارتباط معه.

الوطن بداخلي ابتسامة غير قابلة للقسمة، هي لي بالكامل، أو يمكن مشاركتها معكم. أحيانًا أنسى ذلك ويعتريني الغضب. أحيانًا أغضب من هذا وذاك وأدرك أنني نسيت الأمر.

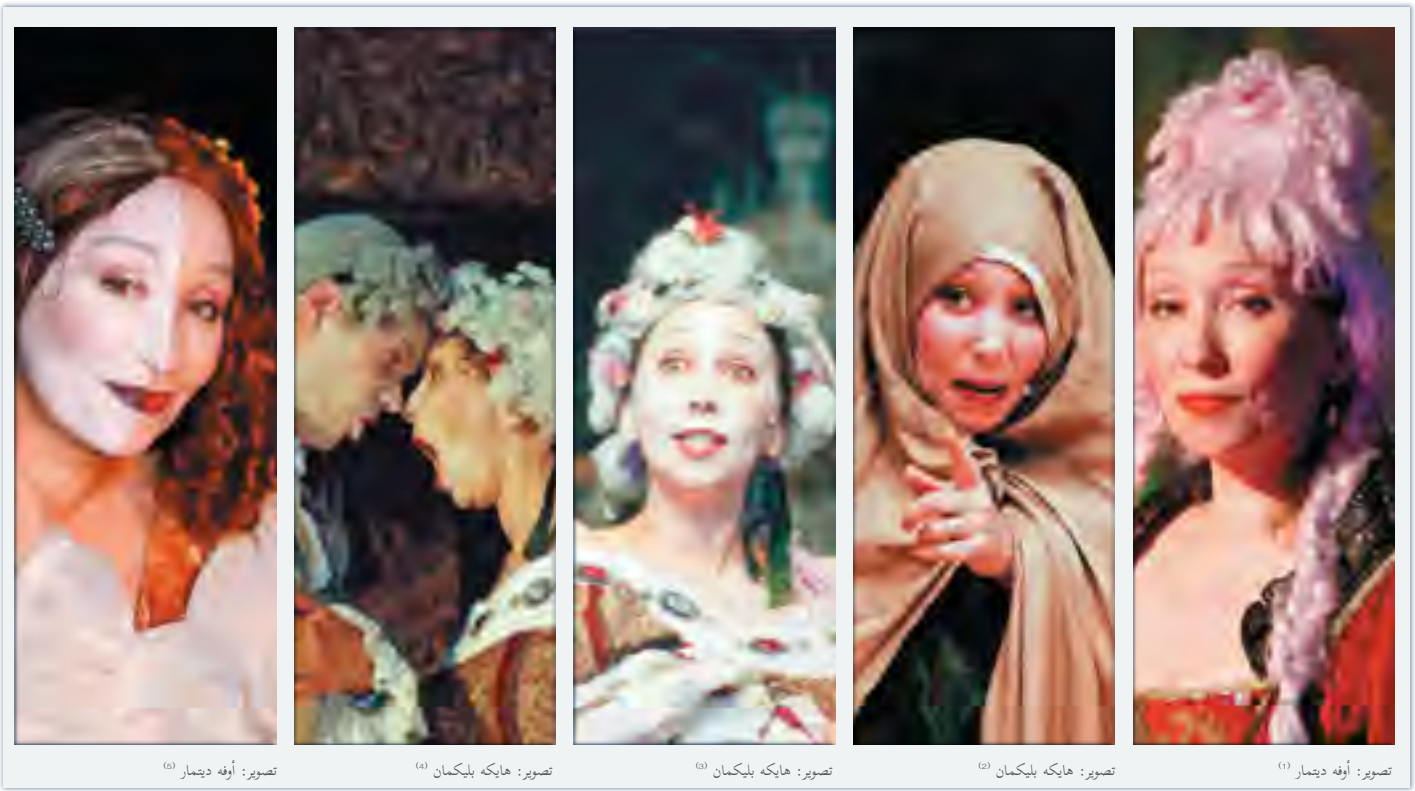

تصوير: أوفه ديتمار [1] | تصوير: هايكه بليكمان [2] | تصوير: هايكه بليكمان [3] | تصوير: هايكه بليكمان [4] | تصوير: أوفه ديتمار [5]

(1) دون جوان - "الرجل الذي لا يقوى أمام النساء" | (2) "الناي السحري" عرض للأطفال بمناسبة الذكرى الـ 150 لميلاد حديقة حيوان فرانكفورت | (3) "أنا، فولفغانغ أمادي" | (4) "أنا، فولفغانغ أمادي رفقة المغني ألكساندر كوبله" | (5) في دور لوكريشا في "أسطورة لوكريشا"

جواز السفر

بنعيسي لمروبل

- من مواليد الناظور
- فنان كوميدي
- في ألمانيا منذ 1981

"أحب الشخص الذي يجعل ذاته موضوعا للسخرية."

ولد بنعيسى لمروبل في الناظور ونشأ في نويس على نهر الراين. درس مهنة التدريس بجامعة كولونيا ولكنه لم ينه دراسته. بدأ حياته الفنية كمغني راب في التسعينيات، قبل أن يتحول إلى الكوميديا. تشرب حرفته من الممارسة على خشبات مختلفة منذ أن أتيحت له المشاركة في مسابقة فنية للقناة التلفزيونية "إر تي إيل" في عام 2012.

متى أدركت أنك تملك موهبة الترفيه على الآخرين وإضحاكهم؟

بنعيسى لمروبل: كان ذلك منذ وقت طويل. عندما كنت طفلاً صغيراً ، لاحظت أنه يمكنني الترفيه عن الناس وإضحاكهم. فحينما يكون خمسة أطفال في أسرة واحدة، على المرء أن يأتي بشيء يجذب انتباه والديه وإخوته. أتذكر أنني في أيام طفولتي، كنت أعيد لوالدي تمثيل مشاهد أفلام بود سبينر ولوي دوفينيس وأفلام كونفو والأفلام الهندية.

هذا يعني أن مواهبك طورتها داخل الأسرة. وماذا عن الفضاءات الأخرى، خارج الأسرة؟

بنعيسى لمروبل: نعم، بدأ الأمر دون وعي في سن الروض. وفي مرحلة المدرسة كنت دائمًا الشخص الذي يدلي بتعليق مضحك وليس تعليقًا ذا مغزى. لطالما قلت شيئًا جعل الناس يضحكون. هذا أبهرني كثيرا وجعلني أرى الأمر بمثابة سلطة صغيرة يمكن استخدامها لجعل الحالة المزاجية في الفصل ممتعة عندما تصبح الأمور جدية للغاية وصارمة. في ذلك الوقت ، كما هي الحال الآن ، فإن الأجواء الجادة والصارمة لا تريحني. كنت أعرف بالفعل أنه يمكنني القيام بذلك. ومع ذلك ، لم أر في الأمر أي دعوة حقيقية أو أي معنى أعمق.

متى أدركت أن صناعة الكوميديا تناسبك؟

بنعيسى لمروبل: اكتشفت الكوميديا كحرفة في وقت متأخر جدًا. حتى ذلك الحين ، كنت أعتقد دائمًا أن الكوميديا كما يجسدها توماس هيرمانس أوميشائيل ميتامايز على شاشة التلفزيون أيام الأحد، ليست عالمي. إضافة إلى ذلك كانت لي رؤية مختلفة تماما فيما يخص الفن. فلفترة من الوقت، كنت أرقص وأغني الراب وأنتجت

تصوير: بنعيسى - بورتريه

مقاطع موسيقية، ولم يكن لكل هذا أي علاقة بالكوميديا. ومع ذلك، كانت كلمات موسيقى الراب الخاصة بي مضحكة للغاية. إذ كان الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لي أن أقدم منتوجا فيه ترويح على النفس أكثر من أن يكون فعلا جادا. في عام 2003 ، قبل وقت طويل من تقديم الكوميديا ، أنتجت أغنية بثلاث لغات بعنوان "Set Language" بها مقاطع راب بلغتي الأم الأمازيغية. لم يكن الأمر يتعلق بإرسال أي إشارة. أبدا، بل أنني وجدت فكرة موسيقى الراب بهذه اللغة بها شيء من الكوميديا. وقد شعر المشاهدون بذلك أيضًا. مرت الأغنية على جميع المنتديات المغربية في ألمانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا. وفي مرحلة ما تلقيت تعليقات من أشخاص قالوا لي: "أنت ممثل كوميدي." في البداية لم أكن أرغب في سماع ذلك. لأنك إذا كنت تريد أن تكون مغني راب، فأنت لا تريد أن تكون كوميديًا! جاءت فكرة عمل الكوميديا في منتصف العشرينات من عمري عندما قابلت Usus و Babak من فرقة RebellComedy. في ذلك الوقت كان لديهم شكل يسمى Flatbread Comedy وهو قريب من نماذج أمريكية مثل ديف وجام وديف تشابيل وكريس روك. كان لهؤلاء الكوميديين خلفية من موسيقى الهيب هوب وكانوا أقلية في الولايات المتحدة. لقد أحببت هذا النهج ، لذلك فكرت فجأة ، "ربما تكون الكوميديا فعلا شيئا يتناسب معي. وأود أن أجربها. "استغرق الأمر بعض الوقت قبل أول ظهور حقيقي لي. بعدها قلت إن الكوميديا هي مجالي."

ما هي تجربة فلادنبروت كوميدي؟

بنعيسى لمروبل: درس أوسوسمانغو التصميم الغرافيكي. قام بتصميم مجموعة رسومات لعرض كوميدي خيالي أسماه Flatbread Comedy. ولتنفيذ هذا العرض حصل على دعم من باباك قاسم الذي كان ينتج أفلامًا قصيرة ومقاطع فيديو موسيقية في ذلك الوقت، وكان ذلك موضوع بحثه لنيل الشهادة الجامعية. أُعجبا معا بالفكرة فصممما على نقلها للحياة الواقعية. وقتها لم يكن فيسبوك موجود بعد، بل فقط بعض مجلات هيب هوب. فأطلقا دعوة حول هذا الموضوع بحثًا عن ممثل كوميدي بخلفية موسيقى الهيب هوب. قرأها الكثير من أصدقائي، ونبهوني إلى الأمر، فقدمت ترشيحي. حضر "الكاستينغ" ما يقرب من 400 إلى 500 ممثل كوميدي. عندها أدركت الأمر وقلت: "حسنًا، يمكنني فعل ذلك. يبدو أنه شيء يناسبني." تفاهمت معهم على الفور". هكذا بدأنا هذا العرض : أوسوس وبابك وأنا. هذه هي بداية RebellComedy. و بعد الكاستينغ أخذ الأمر نحو عامين آخرين إلى أن قدمنا العرض الأول.

في أي سياق جاء العرض الأول؟

بنعيسى لمروبل: بكل بساطة، خطط الشباب لكتابة مشروع كوميدي وتقديمه لمحطات التلفزيون الألمانية. وهذا ما قاموا به فعلا. وتم عرض المشروع على قناتي "زات أينس" و"كوميدي سنترال". و

تصوير: بنعيسى ـ عرض للكوميديا منذ الطفولة

تصوير: بنعيسى ـ جلسة تصوير 2004

لكنهما رفضاه. جلسنا مع بعض نفكر في الموضوع، وقررنا أننا لسنا بحاجة إلى قنوات تلفزيونية بل إلى فضاء لتقديم عروض فنية. وقتها كان باباك يعمل في "بار بوذا". وهو ملهى أنيق به تماثيل ضخمة لبوذا. وهكذا أصبح لنا مكان نلتقي فيه وبدأنا ندعو دائرة أصدقائنا الذين كان لهم حس فكاهي. حتى باباك وأوسوسمانغو اللذان كانا يريان في أنفسهما الكتابة والإخراج بدأ يشاركان في الأداء. وأنا كنت أقوم بالإشراف على كل شيء. وهكذا قدمنا عرضنا الأول. لا احد منا كان يعرف أي شيء عن الكوميديا. ولم يسبق لنا من قبل أن وقفنا على الخشبة. حضر حوالي ثلاثين أو أربعين شخصًا. وهذا رقم مهم. نظرًا لعدم وجود خشبة، قمنا بإنشاء واحدة من طاولات البار. كانت تلك الخشبة الأكثر اهتزازًا التي وقفت عليها على الإطلاق! لقد أعددنا بعض الأشياء وحاولنا القيام بالكوميديا، لكننا قللنا من شأن الحرفة تمامًا. كانت بعض الأشياء بالطبع جيدة وهزلية، لكن بعض الأشياء لم تكن جيدة على الإطلاق. بعد ذلك، لاحظنا من جهة أن الأمر أكثر صعوبة مما كنا نعتقد ، ولكن من ناحية أخرى شعرنا بسحر العرض. ولاحظ الأشخاص الذين حضروا العروض الأولى أن هناك شيء ما جديد. وأن هذا نوع جديد من الفكاهة لا يتم تقديمه على شاشة التلفزيون. إذ أن هناك أشخاص من أصول مهاجرة يحكون قصصا على المهاجرين وأن الحضور أغلبه من أصول مهاجرة. وكل شخص هنا يضحك، فإنه يسخر من نفسه أيضا، لأنه يعيش الأشياء نفسها. كان من بين الجمهور أشخاص ينحدرون من إيران أو المغرب. لذا فإن تلك الحكايات التي كانوا يسمعونها هي حكاياتهم أيضا، يرويها فنانون بلسانهم. وهكذا بدأت فكرة العرض تنتشر. كل شخص يحكيها لآخر. وكان جمهور العرض الثاني أكثر مما حضر في العرض الأول. وبدأنا نطلب يورو كسعر لتذكرة العرض. ومع ذلك ، اتصل الناس في اليوم السابق للعرض وسألوا عما إذا كان من الممكن أن يكونوا على قائمة الضيوف. وفي العرض الثالث حضر أيضا مزيد من الناس. بالمناسبة ، حدث كل هذا في مدينة آخن. بعد العرض الثالث قلنا لأنفسنا: "علينا أن نخرج من آخن ونجري جولة في مدن أخرى". ثم ذهبنا إلى دوسلدورف وقدمنا عرضًا في روداس. وبعدها في كولونيا. وهنا أصبحنا نقدم العروض بانتظام. لقد حققنا نجاحات صغيرة. كانت القاعات صغيرة ، لكنها كانت تمتلئ عن آخرها. ومن عرض إلى عرض تتزايد شهرتنا. لكن في السنوات الأربع الأولى ، كنا نقدم عرضين فقط في السنة. وهذا قليل جدًا . أما الآن فكل منا يقدم أكثر من 100 عرض في السنة. كنا محظوظين لأننا بدأنا بالضبط في نفس الوقت الذي ظهر فيه يوتيوب. هذا كان يعني أننا لم نعد بحاجة إلى التلفزيون. موقع YouTube كان بمثابة منصة يمكن للمرء أن يعمل فيها لحسابه الخاص. قمنا بتحميل مقاطع الفيديو الخاصة بنا هناك. سمع الناس في جميع أنحاء ألمانيا عنا وعرفوا أننا

تصوير: بنعيسى ـ أثناء التداريب للمسابقة الكبرى 2012

موجودون. كنا معروفين بشكل أفضل مما كنا نظن.

كيف تطور الأمر من عرضين في السنوات الأربع الأولى إلى أكثر من 100 عرض في السنة؟

بنعيسى لمروبل: كان لدينا منتج جيد وممتع أيضًا. لكن لم يكن أي منا قادر على العيش من ذلك. كان الجميع منا، إما أنه لا يزال يدرس أو لديه عمل آخر. في بعض الأحيان لم نعد قادرين على تقديم عرض كهذا، فهو يكلف الكثير من الوقت والطاقة. كنا جميعًا على حافة الهاوية: "هل يمكننا المضي قدمًا في هذا الطريق؟ هل ما زلنا قادرين على إدارته بهذا الشكل؟ فهذا متزوج وأخر له أسرة وأطفال. والواقع يلاحقك بواجباته. وكان يجب أن يحدث شيء ما حتى نتمكن من تحقيق ربح مادي. لم نستطيع القيام بذلك. كنا نعشق ما نقوم به ولكن الواقع أكبر منا. كما قلت، لم يحدث شيء في البداية ، باستثناء أننا قدمنا عرضين في السنة. بالنسبة لي شخصيًا، بدأت الأمور تأخذ منحى آخر عندما شاركت في سباق الجائزة الكبرى للكوميديا لقناة "إر تي إيل" . أردت فقط أن أرافق فنانًا كوميديًا كنت أعرفه لإجراء كاستينغ، ولم أكن أعرف هذه المنافسة على الإطلاق. في النهاية، قلت: سآتي معك وأشارك لمدة خمس دقائق. غير أنه بعد مشاركتي تم اختياري إلى جانب ستة مرشحين. أعتقد أنه كان أقوى سباق كوميدي كبير حتى الآن ، بناءً

تصوير: بنعيسى - عرض كوميدي ريبل كوميدي

على التصنيفات والأشخاص الذين شاركوا فيه. إذ شارك عدد من الكوميديين المعروفين الآن أمثال ليك موكريدج وكريس تال. والأمر لا يتعلق بنهائي كما هو معروف، بل أن العدد يتقلص فوق الخشبة إلى أن بقيت أنا وكريس تال. حصل كريس تال على الجائزة في النهاية. لكني قدمت أداءً جيدًا أيضًا مع كايا يانار وسيندي من مارزان، بحضور إيكارت فون هيرشهاوزن كعضو في لجنة التحكيم. كان أداءً جيدًا خلف صدى كبيرا. كانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أؤدي فيها عرضًا أمام 1400 شخص.

بفضل التلفزيون بدأت العروض تتكاثر، وارتفعت بورصة الإعجابات على الفيسبوك وانستغرام. وبدأت العجلة تدور تدريجيا. منذ ظهوري في التلفزيون بدأت فرق محترمة في الكوميديا تتصل بي. كما بدأت أيضا بعض الوكالات هي الأخرى في الاتصال. غير أنني صررت على أني لست وحدي بل نحن فرقة. بعدها قمنا باختيار وكالة لنا في برلين هي التي بدأت تنظم لنا جولات في ألمانيا. وهكذا قمنا في عام 2013 بجولة عبر البلاد لأول مرة: مونستر، برلين، هامبورغ وميونيخ. أثناء تقديم العروض لاحظنا مرة أخرى مدى اعجاب الناس بما نقدم، وكأننا نقدم بلسانهم فكاهة تخصهم هم. ومنذ ذلك الحين بدأنا ننمو ونتطور. وبدأنا كل سنة بتنظيم جولة في ألمانيا والنمسا وسويسرا.

وبما أننا كنا فرقة كبيرة فكان كل واحد منا مطالب بكتابة فقط 15 دقيقة من العرض وبذلك كنا نؤلف سريعا عرضا جديدا. استمر ذلك حتى عام 2015. بعدها بدأنا نتعاون مع قناة WDR التي كانت أول قناة تلفزيونية ألمانية تقدم لنا عروضا. اتصلت بنا محطات تلفزية كبيرة من قبل. ولكن كان هدفنا أن يكون لدينا عرض خاص بنا. وتحقق هذا الأمر مع .WDRلقد لمسنا أن محطات التلفزيون الكبيرة، عندما تريد أن تبدأ مشروعًا معك، فهي تريد أن يكون لها هامش كبير من القرار. كانت مثلا إحدى القنوات تسعى لأن نقدم شيئا نمطيا حول الأجانب، كي تستطيع بيعه إلى باقي القنوات، غير أننا رفضنا إلى أن جاء عرض في دي ار WDR الذين أوضحوا لنا من خلاله منذ البداية أنهم لا يريدون أن يغيروا شيئا من عروضنا بل أن يتعاملوا معنا كما نحن. وهكذا بدأنا تسجيل عروض الجزء الأول وبثها. وكان يتكون من ثلاث حلقات. غير أن ذلك لم يقنعنا كثيرا، على اعتبار أن مشاهدي القناة يقتصر على سكان ولاية شمال الراين فيستفاليا. ولكننا كنا حقا مشهورين على منصة يوتيوب وفيسبوك والمكتبة الوسائطية لقناة في دي إر، حيث يمكن مشاهدة بعض المقتطفات. فالجزء الثاني، على سبيل المثال ، كان ناجحا بفضل إحدى القصص التي أتحدث فيها عن علاقتي بأبي. انتشرت بكثرة وأصبحت معروفة لدى الجميع، وكبرت دائرة معجبينا. ثم جاءت

تصوير: بنعيسى - عرض فني

تصوير: بنعيسى - بورتريه

الهجمات في كولونيا التي تعاملنا معها بروح الدعابة. وفي نهاية العام كانت هناك أغنية أخرى (أنت تأشيرتي) لخالد وأنا استهدفنا فيها فراوك بتري زعيمة حزب البديل من أجل ألمانيا. وعرفت هي الأخرى نجاحا كبيرا ساهمت في انتشارنا بشكل أكبر، إلى أن بدأنا نقدم عروضا في قاعات كبيرة، سواء في ألمانيا أو النمسا أو سويسرا.

في "Elternsprechtagsszene"، تتعامل مع التناقض بين حياتك وحياة والدك بطريقة فكاهية للغاية. ماذا يعني لك الجيل الأول من الجالية المغربية في ألمانيا؟

بنعيسى لمروبل: لديه مكانة مهمة للغاية، لأنه هو المنطلق لكل شيء. الجميع يسترشدون بوالديهم. بالنسبة لي، هذا جيل غير مُسْتَكشف لحد الآن. فهذا الجيل جاء بمفرده إلى ألمانيا، ولا أحد يعرف ماذا حدث في تلك السنوات. غالبًا ما تأتي العائلة بأكملها في وقت لاحق. كان ذلك في السبعينيات. كان ذلك عندما كانت "بوني إم" عصرية وكان كل مغربي يريد أن يبدو مثل بوني إم. ولا يكاد أحد يعرف أي شيء. لا يوجد سوى صور لأطواق القمصان الضخمة والسوالف الطويلة وصور بدلات الكاراتيه وأشياء من هذا القبيل. وأنت تعلم أنهم عاشوا كل تلك الأمور. إنه وقت محاط بالسرية. لكن كيف كان ذلك بالضبط؟ لا أحد يعرف. أما الجيل الثاني فنشأ بسرعة كبيرة. تجاوزنا أباءنا في القدرات اللغوية بسرعة كبيرة وكان علينا أحيانًا أن نترجم لهم ونحن في سن السادسة أو السابعة. كان علي دائمًا قراءة الرسائل لوالدي. لذلك عندما يتعلق الأمر بالتعليم، فالتفوق لصالح الأطفال. يتعلم الأطفال اللغة بسرعة وبسرعة يتفوقون على والديهم. بالنسبة لي، هذا بالتأكيد مجال ولد الكثير من النكات، سواء خلال زيارات الطبيب أو لقاءات الوالدين في المدرسة، فهناك دائمًا العديد من الذكريات المضحكة. وقتها لم أكن أعتقد أن ذلك كان مضحكًا، ولكن مع مرور الوقت وأنت تحكي ما وقع، فإنك تضحك كثيرا، خاصة عندما تشارك القصص مع مغاربة آخرين وتدرك أنها كانت متشابهة تمامًا لما وقع لهم. فحتى الأخطاء اللغوية متطابقة. إنها لحظات هزل مشتركة ولكنها في الوقت نفسه معاناة مشتركة لها تأثير تحرري للغاية.

عند تطوير برنامج جديد ، هل تستقي أفكار عرضك من عالم الجيل الأول أومن عالمك الشخصي أي الجيل الثاني؟

بنعيسى لمروبل: لا يزال هذا هو الحال في الغالب. فالنكات الأصلية تكون صادقة، طبعا تضاف إليها بعض الأشياء. لكن هذا ما يشغلني

حقًا. إننا أمام مشكلة. كان آباؤنا يعرفون بالضبط من أين أتوا. كما أنهم اتخذوا قرارًا واعيا بمواصلة حياتهم في ألمانيا وأنهم سيهاجرون. أما نحن الجيل الثاني، فورثنا هذه الأمور وأخذناها على عاتقنا وكان علينا أن نحملها معنا. لكننا لم نأت من مكان آخر. فعندما يقول لنا أحد ما ارجع من حيث أتيت. فإنه يعتقد أننا جئنا من مكان ما، والحال أننا ولدنا هنا وترعرعنا هنا. ولهذا السبب لديهم مشكلة. على مستوى التعريف، فأنت من حيث المظهر الخارجي، لا تبدو ألمانيا بشكل مباشر. نحن نكافح لإثبات ذلك مرارًا وتكرارًا ومن ناحية أخرى لا نريد ذلك لأننا لا نريد أن نكون مختلفين تمامًا عن آبائنا، الذين لا يفصلهم عنا سوى جيل واحد. عندما ننظر إليهم ، فـ "هؤلاء هم والداي ، إنهم مغاربة. أنا أيضا مغربي بشكل ما. أنا لست ألمانيًا. "وعندما تكون في المغرب ، ستلاحظ أيضًا، أنك لست مغربيًا أيضًا. "هذا الموضوع يحتوي على الكثير من الكوميديا. إنها قضية تواجهني مرارًا وتكرارًا.

هل وجدت لنفسك إجابة لسؤال الهوية؟

بنعيسى لمروبل: لا، لكنني الآن أعتقد أيضًا أنه ليس ضروريا. لا ينبغي أن تختار. من الطرف الآخر تواجه دائمًا سؤال الاختيار، ليس فقط في ألمانيا، ولكن أيضًا في المغرب. في المغرب أيضًا ، تُسأل مرارًا وتكرارًا: "هل ترى نفسك ألمانيًا؟ أو هل تعتبر نفسك مغربيًا؟ "، أحيانًا أيضًا:" هل أنت أمازيغي؟ أم أنك عربي؟ "مرارًا وتكرارًا تجد نفسك أمام لحظة اختيار/ قرار. الأمر نفسه في ألمانيا، عليك دائمًا اتخاذ قرار. ففي بعض الحالات، ترتبط القرارات أيضًا بالتضحيات التي يتعين عليك القيام بها من أجل أن تصبح ألمانيًا أو مغربيًا.

لأنه إذا كنت هذا، لا يمكنك أن تكون الآخر. كل هذا مجرد هراء بالنسبة لي الآن. لأنه يمكنك أن تكون كل شيء في نفس الوقت ويمكنك توحيد كل شيء في نفسك.

الكوميديا التي تقدم تنبني على الكثير من العرقية. فمواضيعك تدور على الإثنيات سواء فيما يخص المغاربة أو الألمان أيضا. ويمكن تفسير ذلك بطريقة ازدرائية أو يمكن أن يكون له طابع تنوير. ما هو الغرض مما تقدم؟

بنعيسى لمروبال: بالنسبة لي ليس له طابع التنوير. في الواقع، أنا أسعى للترفيه لا غير. لكن ما تقوله صحيح. هناك دائمًا وجهان للعملة الواحدة. يمكنك رؤيتها بهذه الطريقة أو تلك. أنا محظوظ بما يكفي للحصول على التشجيع في الغالب على الأشياء التي أقولها. وهذا انفتاح للثقافة. لكنني أعتقد أنه إذا لم نسخر من أنفسنا كمغاربة، فسنبدو منغلقين جدًا. أنا أمزح أيضًا عن الألبان والأتراك وغيرهم من المجموعات العرقية التي نشأت معها. وإذا لم نقم نحن بذلك سيقوم به آخرون. عندها ستحدث أشياء مثل مع وقع مع أردوغان وبومرمان. أردوغان شخص لا يمكن المزاح بشأنه. ثم يقف شخص ما ويفعل ذلك على وجه التحديد. أعتقد قبل أن يستفزك شيء كهذا، من الأفضل أن تضحك على نفسك. أنا أحب الشخص الذي يضحك على نفسه أو يروي قصصًا عن نفسه. أحب هذا تمامًا. وأعتقد أننا فعلنا ذلك أيضًا. لذا فإن المغاربة في مجموعتنا وكذلك المغاربة الآخرين الذين يقدمون الكوميديا في ألمانيا لديهم صورة أفضل، يقدمون صورة أكثر تعاطفاً في وقت يرتبط فيه المغاربة بعناوين الأخبار السلبية

تصوير: بنعيسى ـ من إحدى الجولات الفنية 2014

تصوير: بنعيسى ـ من إحدى الجولات الفنية 2013

مثل الهجمات في كولونيا أو الجريمة. لذا فأنت تقدم معيارا آخر من المقاييس، وبفضله يمكن للأخرين ان يروا : أن هناك أيضًا هذا النوع من المغاربة. اظن ان هذا مهم للغاية. أنا في الواقع أحصل على أكبر قدر من التشجيع سواء في الجاليات المغربية أو من المغرب. هذا هو المكان الذي تلقيت فيه معظم الجوائز حتى الآن. إن المغاربة أنفسهم سعداء ويشعرون بالفخر بأن تاريخهم قد ظهر بهذه الطريقة.

قلت إنك من خلال عروضك تساهم في انفتاح الثقافات على بعضها إلى حد معين. كيف يحصل ذلك؟

بنعيسى لمروبل: على سبيل المثال، أجريت مقارنة بين مخاوف الألمان والمغاربة بشأن الدين. يمكنك أن ترى الخوف بين الألمان الذين يذهبون في إجازة إلى المغرب لأول مرة: الخوف من بلد إسلامي، الأذان وما إلى ذلك. إنهم خائفون في المقام الأول. ولكن عندما تتخلى عن تلك المخاوف، ستلاحظ أنك تقضي أفضل عطلة في حياتك. بالنسبة لي المغرب من أجمل البلدان وأزوره مرات عديدة بكل سرور. مراكش على سبيل المثال ، مليئة بالسياح الأوروبيين، لكن هناك مدن مغربية أخرى تحظى بشعبية كبيرة. أفعل الشيء نفسه مع ألمانيا عندما أصف كيف يأتي المسلمون إلى ألمانيا ويخافون من أجراس الكنائس والمسيحية. عندما يرون يسوع على الصليب. فيقولون ما هذا؟ "هل هناك عملية إعدام تجرى هنا أو شيء من هذا القبيل؟ " لذا يمكنك رفع المرآة وإلقاء الضوء على كلا الجانبين. يمكنك أن ترى: كلاهما يخافان ببساطة من شيء لا يعرفانه. لقد نشأنا جميعًا في بلد مسيحي ولسنا خائفين من المسيحية لأن لدينا نقاط اتصال. باستخدام أمثلة كهذه، أسلط الضوء على الديني والثقافي وبالتالي أزيل الخوف قليلاً وأواجه العناوين السلبية الوحيدة - خاصةً من المهاجرين من أصل عربي. فالكوميديا مناسبة بشكل خاص لهذا.

ما هي النصيحة التي تقدمها لشاب ألماني مغربي حين يسألك عن أفضل طريقة ليصبح نجمًا كوميديًا؟

بنعيسى لمروبل: الممارسة بكثرة. ولا شيء غير الممارسة. لا توجد صيغة لذلك. يجب على الجميع أن يجدوا طريقتهم الخاصة في تقديم عروضهم. إذا لم تتمكن من العثور على خشبة، اخلق واحدة لك. هذا ما قمنا به أيضا. لدينا الكثير من الأشخاص الذين يتقدمون إلينا ويقولون ، "هل يمكنني أن أصبح فنانًا كوميديًا؟ ألا يمكنك السماح لي بالصعود إلى مسرحك؟ "نحن نقدم مرحلة احترافية تكلف فيها التذكرة أكثر من أربعين يورو، لذا لا يمكنك السماح لشخص ما بالتدرب. نقول دائمًا لهؤلاء الأشخاص: "اصعدوا على خشبة المسرح، صوِّروا أنفسكم بشكل أفضل وأرسلوا إلينا مقطع فيديو". بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون مكانا لتقديم أعمالهم، اسألوا عن هذه الإمكانية في بار أو بار للشيشة. عليك فقط أن تفعل الكثير بنفسك. لحسن الحظ ، يُسمح لنا بالقيام بذلك ولدينا الكثير من الوسائل في ألمانيا للقيام بذلك. مارس، مارس، مارس، هذه أفضل نصيحة يمكن تقديمها لأي شخص.

شكرا لك على هذه المقابلة.

تصوير: بنعيسى - رفقة عدد من نجوم الكوميديا الألمانية

جواز السفر

حياة الشاوي

- من مواليد فرانكفورت
- مغنية ومعلمة غناء

"إرث الحنين"

درست حياة الشاوي اللغات أولاً، قبل أن تدرس الغناء. حياة الشاوي مغنية كلاسيك من أصول مغربية متخصصة بما يعرف بالأوراتوريو أو التراتيل الروحانية. ولدت حياة في مدينة فرانكفورت لعائلة مغربية مهاجرة. وبدأ اهتمامها بالغناء منذ الطفولة مع عائلتها الى أن اكتشف أساتذة المدرسة جمال صوتها واكتشفت هي ميلها للموسيقى الكلاسيكية. بعد انهاء دراستها الجامعية للغات قررت العودة للدراسة لكن هذه المرة لدراسة الغناء والموسيقى فانتقلت إلى مدينة فوبرتال. شاركت في العديد من الحفلات والعروض الفنية. كما تعمل معلمة للغناء.

مات أبي.

مات أبي إثر أزمة قلبية، بحسب ما أقره طبيب الطوارئ في فبراير 2010. أعتقد أن الأمر، يتعلق بما يعرف طبيا بالأزمة القلبية الصامتة التي تأتي دون أعراض سابقة. ربما بدأته الأزمة في سبعينيات القرن الماضي، حينما هاجر والدي مسقط رأسه أول مرة؛ حين ترك وراءه بلده الحبيب والدافئ الذي كان يعشق ترابه، حين هاجر أرضه التي كان يسمع فيها أصوات الألحان والأنغام ونبرات الأصوات التي ألفها. الدار البيضاء – فرانكفورت، بالنسبة لي هما وجهان لعملة واحدة: مدينتان كبيرتان بتجمعاتهما السكنية الممتدة، وأحياهما الكبيرة وشرايينهما الحيوية. مدينتان، تتجاور فيهما أحياء النخبة والغيتوهات في مكان واحد، ونبض الحياة يراقص الأمكنة. إلا أن أبي كان يرى الأمر بشكل مغاير، وجد نفسه بدلا من المشي على أرض حمراء، صار يخطو فوق إسفلت صلب بلا حياة، وبدل العيش تحت أشعة شمس حارقة، وجد نفسه أسير سماء ملبدة بالغيوم، تحيط من حوله أصوات جشاء وخشنة. ومع ذلك كانت سريرته تحوي الكثير من الذكريات التي مررها في جعبته خلسة دون أن تطالها أعين الجمارك. هي عبارة عن كنز لا يعد ولا يحصى من القصص والصور، مدسوسة كلها في قرص محفوظ في ذاكرته ووجدانه، وألبومات كثيرة تضم مجموعة من الأغاني النفيسة.

خلال عطل نهاية الأسبوع، عندما كنا نجلس لتناول الإفطار حول المائدة في شقتنا المستأجرة بفرانكفورت، كانت التحلية عبارة عن حكايات يقصها لنا والدي. كان أبي يسترجع شريط ذكرياته عن معاناته خلال طفولته التي قضاها في دار للأطفال بالبيضاء، وعن مشاركته في المقاومة ضد الحماية الفرنسية، وعن مهمته كمساعد

تصوير: حياة الشاوي ـ بورتريه

تصوير: حياة الشاوي ـ حياة رفقة أبيها

تصوير: كارل كراوسكوبف ـ إدارة جوقة النساء الدولية في فوبرتال

في أول انتخابات عرفها المغرب، وعن خيبة أماله من محاولات الفساد. حكى لنا قصص القرآن وترك يوسف وإخوته يتحاورون أمامنا على مائدة إفطارنا بطريقة سينمائية. كما روى لنا عن تأهيله كمربي في دار الأطفال، ومخيماته الشبابية على البحر وجبال الأطلس بغاباتها الشاسعة التي تستوطنها القردة. كان مستوى والدي التعليمي جيدا يؤهله في بداية الأمر، للمضي قدما في مجال التعليم الأصيل. غير أنه تم اكتشاف ملكاته الفنية في وقت لاحق، من خلال تجارب أداء أشرفت عليها فرق مسرحية وفنية كانت حديثة التأسيس آنذاك. وهي الفرصة التي انتهزها صديقه ورفيقه في الدار مصطفى الداسوكين؛ الفنان المغربي المعروف حاليا. كان والدي قادرًا على إلقاء "الضمانة" لشيلر باللغة العربية وكان يتقن لعب جميع أدوارها، وهي التي لم أكن أعرف أنها مستنبتة في ثقافات ولغات أخرى كالعربية. ظل أبي مخلصًا للتعليم وللبيداغوجيا إلى أن وصل إلى مطار فرانكفورت، فتحول مساره من معلم بيداغوجي إلى مساعد سباك.

عندما كانت الحكايات تتكرر، تومئ والدتنا بعينيها بلطف مبعدة إيانا عن مائدة الأكل، ومعلنة لنا عن بداية وقت اللعب والغناء. كان أبي يغني معنا الأغاني بكانت العربية والفرنسية ويحدثنا عن الموسيقى. غنينا أغاني الكتاكيت المفقودة وعن القبرات والدببة الكبيرة. كان يتغنى ببلده الذي يراه أجمل بلد في العالم. وبينما كنا نغني ونلعب جميعا كان عزف المزمار ودقات الدربوكة راسخا في مخيلتنا. وبطبيعة الحال كنت أنا وإخوتي نردد باستمرار الأغاني الألمانية التي سمعناها

تصوير: حياة الشاوي ـ والد حياة رفقة الفنان مصطفى الداسوكين وميلود الحبشي

رسومات: شتيفاني مسينغ كتاب أغاني النوم، دار إيسلينغن للنشر

تصوير: بتينا أوسفالد ـ جوقة النساء الدولية في فويرتال

تصوير: أنتي تسايس لوا ـ حياة رفقة مشاركة في برنامج KIWI

في الروض والمدرسة، لدرجة أن والدتي صارت تلحنها بنغمات عربية حتى اعتقدنا أن أناشيد الأطفال الألمانية أصلها من التراث المغربي.

أقر اليوم بدون تردد، أن الغناء كان عاملاً مهمًا في توجهي المنفتح الذي يشمل الثقافتين الشرقية والغربية معا. لم تسأل قط الفرق والجوقات الغنائية التي مررت منها، بدءًا من رياض الأطفال وصولا إلى المدرسة الثانوية، عن أصلي، كنا نعيش اللحظة قلبا وقالبا من خلال الغناء معا، حيث كنا نصبوا لهدف مشترك ألا وهو الغناء. لطالما منحني التفاعل مع الأطفال ومع الآخرين وتأدية نصوص متنوعة شعورا بالألفة والجو العائلي، الوطن الواحد، ما ساعدني على إثراء رصيدي وحسن من قدرتي على التعبير. كل هذه الأمور تعزز شغفي وتحفزني داخليا كمغنية وكمعلمة للغناء لنقل تجاربي الإيجابية إلى الآباء والأطفال، كما هي الحال مع البرنامج الذي أطلقته "أغاني النوم للأطفال" KIWI من جميع أنحاء العالم، حيث أشجع الآباء من أصول مهاجرة على التواصل والغناء بلغتهم الأصل.

عندما توفي والدي بسبب قلبه المُنفطر في عام 2010، حجزنا تذاكر طيران من فرانكفورت إلى الدار البيضاء، وحملناه إلى هنالك، لينتهي أخيرًا حنينه الطويل إلى الوطن. عاد إلى أرضه المشمسة وأرضيته المتربة الحبيبة. لم يترك لنا مالاً، غير أنه أورثنا كنزاً ثمينا من الصور والحكايات والأغاني. مقطوعات تثريني أنا ورفاقي من البشر إلى ما لا نهاية.

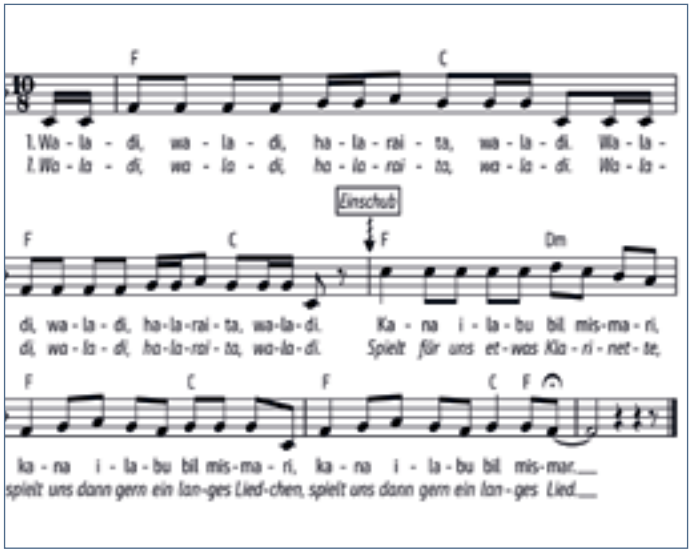

أغنية للأطفال ـ ولدي، دار إيسلينغن للنشر

أغنية للأطفال ـ ولدي، دار إيسلينغن للنشر

الرياضة

تصویر: محمد نوحاسي - شاطئ سيدي مغيث

جواز السفر

رشيد العزوزي

- من مواليد تاونات
- لاعب سابق في البندسليغا
- مدرب ومدير رياضي
- لاعب سابق للمنتخب المغربي
- في ألمانيا منذ 1974

"كنت أول مغربي يخوض منافسات البندسليغا."

ساهم اللاعب المغربي السابق رشيد العزوزي في صعود فريق غرويتر فورت إلى منافسات الدوري الألماني الممتاز. ويعمل العزوزي مديراً رياضياً للنادي الذي تأهل برفقة فريق بوخوم إلى دوري الأضواء من الدرجة الألمانية الثانية. بدأ مسيرته الرياضية كلاعب في البندسليغا ضمن عدة فرق ألمانية. وكان من نجوم منتخب "أسود الأطلس".

أبصرت النور في العاشر من يناير 1971 بحي حجر دريان، أحد الأحياء الشعبية لمدينة تاونات. كنت أصغر أفراد أسرتنا التي تتكون من والديّ عبد الله عزوزي وفاطمة رمشي وإخوتي نجاة ومحمد وجميلة. يخبرني إخوتي دائمًا أنني كنت الأكثر دلالا بين إخوتي. حسنا. قد يكون الأمر كذلك. سرعان ما شق والدي طريقه وحيدا في اتجاه أوروبا لزيارة عمي عبد السلام في بلجيكا سعيا وراء حياة أفضل.

بخلاف عمي، لم يحصل أبي على تصريح عمل في بلجيكا، ما اضطره لمواصلة الطريق نحو ألمانيا المجاورة ليحط الرحال في ماريادورف بالقرب من آخن غرب البلاد، حيث كان يكدح مثل الكثيرين في صناعة التعدين. في عام 1974 جلبني والدي أنا وأمي لأول مرة لألمانيا وفي العام الموالي، أحضر أشقائي أيضا. كانت شقتنا الأولى المشتركة في حي خاص بالعاملين في مجال التعدين. عشنا طفولة جميلة وأطلق علي العديد من الجيران لقب مراقب النجوم. يرجع ذلك، ربما إلى حقيقة أنني دائمًا ما كنت أنظر إلى السماء. ربما كان مجرد شوق لأجمل سماء مرصعة بالنجوم رأيتها في حياتي، وكان ذلك في تاونات ...

عندما كنت في الخامسة أو السادسة من عمري، دخلت عالم كرة القدم بواسطة أخي الذي كان نشطًا بالفعل وجذب الانتباه إليه بموهبته. بدأ كلانا في فريق الحي، هيرتا ماريادورف. وكان أول حذاء كرة قدم لي، حصلت عليه كهدية من جار لطيف لنا، ما زلت على اتصال به. كنت فخوراً للغاية بامتلاك أول حذاء كرة قدم في حياتي، ولم أكن وقتها أرغب في خلعه. نظرًا لأن والداي لم يحظيا بفرصة الذهاب إلى المدرسة، فقد أولوا لها الأهمية الكبرى بالنسبة لنا. وهو ما أزعجني كثيرا، لأنني كنت مهتما بلعب كرة القدم ولا شيء غير ذلك. بعد فترة قصيرة سعى فريق ألمانيا ماريادورف لاقناع أخي من أجل الانضمام إليه. وأخذوني أنا أيضا معه كلاعب إضافي. كان أخي يوصف اللاعب الأفضل. فقد لعب لسنوات في الدرجة الثالثة ضمن نادي إس تسي بون وجيرمانيا تيفيرن. ولكن لسوء الحظ، تسببت إصابة خطيرة في إبعاده عن الميادين وحالت دون تحوله إلى لاعب كرة قدم محترفًا أيضًا.

باستثناء فترة قصيرة، حوالي أربعة أسابيع لعبتها مع فريق آل آخن، بقيت في نادي ألمانيا ماريادورف إلى فترة شبابي. في أحد أيام الصيف في مايو 1988، كان من المفترض أن يجري أحد اللاعبين

تصوير: رشيد العزوزي ـ بقميص المنتخب المغربي

تصوير رشيد العزوزي: رفقة والديه فاطمة وعبد الله

تصوير رشيد العزوزي: رفقة نجم الأسود مصطفى حجي

الجيدين في فريق حينا، تدريبا تجريبيا رفقة فريق دويسبورغ ، أحد فرق الدرجة الثالثة آنذاك، فسألني الراعي الذي كان يشرف علي حينها، إن كنت لا أرغب في الذهاب لخوض هذه التداريب أيضا. وبما أنني في السابعة عشرة من عمري، وافقت على طول، على اعتبار أنها قد تكون فرصة مهمة جدا لمستقبلي. بعد التدريب، أعجب المدرب ديتليف بيرسيج بشدة بي لدرجة أنه أخبر على الفور المشرف علي، هوبرت بريم بأنه مهتم بي ويرغب في التعاقد معي للموسم المقبل. بعد فترة وجيزة تلقيت ايضا دعوة من فريق اف تسي كولون، للقيام بحصة تجريبية. بدوره رغب فريق كولون في التعاقد معي. ولكوني كنت حينها في سنتي الأخيرة بالمعهد العالي للعلوم التطبيقية، قررت قبول عرض كولونيا ورفضت عرض دويسبورغ. وكان مهم جدًا بالنسبة لي ولوالدي أن أجمع بين شغفي بكرة القدم والدراسة.

كانت تجربة صعبة، خاصة وأنه كان يتوجب علي قطع مسافة سبعين كيلومترا أربع مرات في الأسبوع من ماريادورف إلى كولونيا، وكان سائق تابع للنادي هو من يقوم بنقلي. لم أكن أعود للمنزل إلا بعد التاسعة ليلا، غير أن شغفي بكرة القدم لم يجعلني أندم ولو لثانية واحدة، على خوض هذه الصعوبات. كان العام في كولونيا صعبًا للغاية لأنه كان يطغى في الطابع الاحترافي على الأجواء العائلية. تلقيت عرضا من نادي كولونيا للعب بداية ضمن الفريق الثاني. أيضا نادي ألمانيا آخن والذي كان له حضورا مهم ضمن دوري الدرجة الثانية، في ذلك الوقت، كان قد عرض علي عقدًا للهواة، والتداريب رفقة المحترفين، وإذا لزم الأمر، اللعب مع الفريق الثاني. غير أنه كان لدي شعور بأن المدرب وقتها لم يكن يرغب كثيرا في ضمي. لذلك قررت الانضمام لنادي سيتحول إلى موطني لمدة ست سنوات. ويتعلق الأمر بنادي دويسبورغ. وهو النادي الذي ظل مصرا على الاستفادة من خدماتي ومنحني أفضل شعور بين الجميع.

لحسن الحظ، صعد الفريق إلى الدرجة الثانية في نفس العام الذي وقعت معه العقد. طبعا كان الابتعاد أول مرة عن المنزل، خطوة جبارة. غير أنني قبلت التحدي والمغامرة والفرصة الواعدة أيضا. حصلت على عقد احترافي وحتى بعد إنهاء دراستي الثانوية كنت ما زلت مصرا على عدم المراهنة على كرة القدم فقط. لذلك بدأت في الوقت نفسه، تدريبًا مهنيًا كموظف تجارة جملة وتجارة خارجية. أكملته بنجاح بعد سنتين.

هذه الأوقات أيضا بصمت حياتي، فقد كانت سنوات مليئة بالمصاعب. كان الانتقال إلى قسم الاحتراف في كرة القدم أمرًا صعبًا. عائلتي وأصدقائي كانوا بعيدين عني، علاوة على ذلك كنت أجتاز التأهيل المهني.

كنت أذهب إلى المدرسة في الثامنة صباحا وفي العاشرة صباحا

تصوير رشيد العزوزي: رفقة زوجته ستيفاني وبنتاهما خديجة ونعيمة

تصوير رشيد العزوزي: رفقة بدر هاري

أتواجد بالملعب للتدريب، وبعدها أتوجه إلى الشركة التي أتعلم فيها التأهيل المهني. ومرتين في الأسبوع كنت أذهب للتدريبات في الخامسة مساء أيضا. لقد كان وقتًا عصيبًا وكنت سعيدًا لأن ذلك انتهى بعد عامين باجتياز التدريب المهني بنجاح. وفي الوقت نفسه، الذي أنهيت فيه التأهيل المهني، صعد فريقنا إلى دوري الدرجة الأولى.

تم تمديد عقدي لمدة عامين آخرين وكنت أول لاعب من أصل مغربي، يلعب في دوري الدرجة الأولى للبوندسليغا. كانت أول مباراة لي في 22 سبتمبر 1991 فزنا فيها على شالكه بهدفين نظيفين. لعبت ستة مواسم ضمن دويسبورغ، ثلاثة منها في قسم الدرجة الأولى وثلاثة في قسم الدرجة الثانية. وفي ديسمبر 1991 تلقيت لأول مرة دعوة من الناخب الوطني المغربي للإلتحاق بالمنتخب المغربي. وكانت أولى مباراة لي ضد الجارة الجزائر في يناير 1992. إلى أن اعتزلت اللعب دوليا في 1998، خضت رفقة أسود الأطلس، منافستي بطولة أمم إفريقيا (السنغال عام 1992، وبوركينا فاسو عام 1998)، ودورة الألعاب الأولمبية لبرشلونة عام 1992، وكأس العالم 1994 في الولايات المتحدة الأمريكية و1998 في فرنسا. انتقلت في1994 إلى نادي فورتونا كولونيا وفي 1997 لفريق غرويتر فورت. وبعد قضائي لفترة قصيرة بفريق تشونغتشينغ ليفان الصيني الممارس بالدرجة الأولى عام 2003، عدت في يناير 2004 من جديد إلى فريق غرويتر فورت والذي أنهيت فيه في يوليو عام 2004 مسيرتي كلاعب محترف.

خضت أكثر من 350 مباراة احترافية منها 37 مباراة دولية بالإضافة إلى مباريات لفئة تحت 21 سنة. حصلت على شهادة في تدريب الشباب وقمت بتدريب فريق فورت تحت 17 سنة لمدة موسم واحد. ونظرًا لأنني كنت مهتمًا أكثر بالعمل في مجال التسيير، فقد كنت سعيدًا بالعرض الذي حصلت عليه عام بعد ذلك، للعمل كمساعد لمجلس إدارة النادي. وبعد عام توليت مهمة مدير الفريق الاحترافي بالنادي، وبعد ذلك بعامين أصبحت رئيسا للنادي ككل، وكان ذلك في2008 . وبهذا أكون أول رئيس ناد محترف في ألمانيا من أصول مغربية.

كانت قمة نجاحي ضمن نادي فورت، هي تحقيق الصعود إلى دوري الدرجة الأولى. تركت النادي بعد خمسة عشرة عاما في يونيو 2012 وخضت تحديا جديدا كمدير رياضي بنادي سانت باولي في هامبورغ. وفي عام 2015 انتقلت إلى فورتونا دوسلدورف، قبل أن أعود مرة أخرى إلى فورت في نوفمبر 2017. ومنذ أكتوبر 2018 أشغل منصب المدير الإداري لهذا النادي.

عائلتي هي صخرتي الصلبة. مع زوجتي ستيفاني وطفلينا الرائعين خديجة ونعيمة، أتطلع إلى جميع التحديات الأخرى وأيضا لسنوات جميلة التي لا يزال بإمكاننا أن نقضيها معًا كعائلة.

BAKAL

آداب وشعر

تصوير: محمد لاك - شفشاون

جواز السفر

خالد سيهولي

- من مواليد برلين
- طبيب وكاتب
- مدير مستشفى الولادة وطب النساء وأمراض السرطان
- شاريته برلين

"طنجة من هنا تبحر السفن نحو العالم"

بروفيسور خالد سيهولي إلى جانب مهامه كطبيب في مشفى شاريتيه الشهير في برلين، كاتب ألف عدة كتب أدبية وطبية. خالد واحد من مغاربة ألمانيا الذي بصم على أحد أقوى قصص النجاح. لم تكن طريقه مفروشة بالورود، بل صعد من الأسفل من أسرة مهاجرة بسيطة ليشرف الآن على أحد أهم مشافي العاصمة الألمانية

رحلة على حين غرة

أنا وزوجتي أداك في طريقنا إلى محاضرة بمستشفى شاريتيه في برلين، عندما تلقيت مكالمة من صهري نبيل. لا أكاد أصدق ما يقوله لي. أسأله مرارًا وتكرارًا وأتمنى من صميم قلبي ألا يكون الخبر صحيحا. لا أريد ولا أستطيع التسليم بما تسمعه أذني. عبثا أتصل ويداي ترتعشان بإخوتي: مراد ولطيفة وحميد، على أمل أن يوقظني أحدهم من هذا الكابوس المزعج. أختي لطيفة تبكي بحرقة ولا تستطيع الرد على الهاتف. حميد ضاعت منه الكلمات، وكان الحوار عبارة عن صمت يشل اللسان والأطراف.

ركبنا السيارة في اتجاه مستشفى القرميد الملون في نوينربلاتس، في قلب حي فيدينغ العمالي وغير البعيد عن ساحة إيكسيرتسيير بلاتس التي تذكرني دائمًا بساحة جامع الفنا في مراكش. نحن في طريقنا إلى المستشفى، حيث ترقد والدتي منذ أسابيع بسبب التهاب رئوي، غير أن حالتها كانت تتحسن. هي الآن في مستشفى رودولف فيرشو، حيث أنجبتني في عام 1968. والدتي تتعافى والآن ماتت، لا أريد أن أصدق ذلك. كنت أريد لقاء أخي الأكبر حميد، ولكنه لا يستطيع، لا يجد القوة للوصول إلى المستشفى. كان منهمكا في تحضير شربة الحريرة، لإحضارها بعد ظهر اليوم إلى أمنا. كانت ستسعد بها أيما سعادة فحميد هو الوحيد الذي يستطيع تحضير الحريرة مثلما تعدها أمي. انتقل حميد إلى شقة والدتنا في شارع إيكسيرتسيير رقم 9. ولحقت به غير مدرك لمعالم الطريق من تقاطعات وإشارات. كل شيء مختلف خارج بيت أمي، حزن وهدوء مقلق يخيمان على المكان. عندما توقفت أمام المنزل، كان أخي حميد ينتظرني هناك. الشارع مزدحم كما هي الحال دائما والسيارات تخترق الشارع المتسخ الذي تنتشر فيه العديد من المتاجر الفارغة. أخرج من السيارة، نعانق بعضنا مثلما لم نفعل من قبل، إننا نشتاق لوالدتنا. في شقتها بالطابق الأول شعرنا بالأمان وبالقرب من والدتنا. التزمنا الصمت وبكينا وصمتنا مرة أخرى. فالصمت والبكاء وجهان لعملة واحدة، مثلما أن والدتنا وجهنا الآخر. ودعنا بعضنا، وحدها الحركة التلقائية تستطيع تخفيف آلام الفراق عنا. توجه حميد إلى متجر الأحذية الخاص به، بحثا عن روتينه اليومي، فيما وأنا توجهت لرؤية أمي. لطيفة، أختي الحبيبة، كانت قد سبقتني إلى هناك.

تحدث الباحث الأدبي فيلهيلم شميد عن "الحب المتنفّس"، وأنا أجد صعوبة كبيرة في التنفس. نبكي بلا تنفس. كل من يدخل الغرفة البيضاء، حيث ترقد أمي تسبقه دموعه. أناس كثر جاؤوا إليها من قريب ومن بعيد أيضا، جاؤوا جميعا ليلقوا نظرة الوداع على أمي. معظمهم

تصوير: فيكه بايتس ـ بورتريه

غادر من لوعة فراق أمي الغالية على الجميع. غير أنني لم أستطع مغادرة الغرفة وترك أمي الآن. لا أستطيع ولا أريد ذلك. فكثيرة هي المرات التي لم أكن برفقتها، وكان بإمكاني أن أكون معها. لم تعد تسعفني ساقاي، وكذلك عقلي وروحي. كنت أنظر خارج الغرفة في الطابق الثالث. ففي الخارج كانت الشمس مشرقة، أما داخل الغرفة فتهطل دمعا مدرارا.

بكيت بحرقة، أكثر من أي وقت مضى. أكثر مما بكيته عندما كنت في السابعة من عمري راقدا بالغرفة نفسها جراء كسر في قصبة الساق لحوالي ستة أشهر. داسني سائق وهو في حالة سكر طافح، وأنا على دراجتي الهوائية البرتقالية. أحاول النظر إلى الخارج عبر نافذة الغرفة ولا أرى شيئا. أتحدث مع أمي وأطلب الصفح منها وأتأسف لها لأنني لم أكن أسمع كلامها دائما. وقد شغلتني عنها أشياء ظننت أنها أهم. شكرتها على إنصاتها لي دائمًا، بغض النظر عن مشاكلها وآلامها. أمي ماتت، ومع أنها هامدة أمامي، إلا أنها ستسامحني، أشعر بذلك. ماتت والدتي الحبيبة الزُّهرة ، غادرت دنيا الناس هذه. أعلم أن السماء ستَزرق مرة أخرى، وستشرق الشمس من جديد، ولكنني سأهب نفسي اليوم للحزن ولوعة الفراق. فالموت محزن وقاسي، ولكن أمي رحلت لتستريح من ألم ركبتها الشديد ومن أقراص الأدوية التي نخرت جسمها على مدى سنوات ولم تهدئ من آلامها. أحاول ألا أجعل لحظة الوداع هذه عدوا، مستحضرا تفسير خليل جبران للموت: "وهل موت الإنسان هو أكثر من وقوفه عاريا في الريح وذوبانه في حرارة الشمس؟"

الدار الباقية

كانت رغبة الوالدة أن تدفن في طنجة. إنها رغبتها منذ وصولها إلى ألمانيا في ستينيات القرن الماضي. قمنا بكل ما يحقق لها رغبتها. وقتها لم أكن أعرف ما إذا كان من الجيد لي ولأولادي دفنها بعيدًا عن برلين، المدينة التي ولدت فيها وأعشقها. ولكن كانت هذه أمنيتها. أعلم اليوم أنه لا يوجد مكان أفضل من طنجة لسكينة الموت. وإلا لماذا أوصى الكاتب الأمريكي ترومان كابوتي أي شخص يزور طنجة قائلا: "احصل على التطعيم ضد التفوئيد، واسحب مدخراتك من البنك وودع أصدقاءك، لأنك لا تعرف أبدًا ما إذا كنت ستعود، لأن طنجة تشد الناس."

الآن نحن على متن الطائرة المتوجة إلى طنجة: حميد الابن الأكبر، مراد الابن الأصغر، لطيفة أختي، أداك حبي الكبير، وأمي كنزنا الثمين. سنحمل والدتي إلى مثواها الأخير. إنها هنا، ونشعر أنها قريبة منا للغاية. إنها في قلبنا المثخن وأذهاننا غير المصدقة بما جرى. لم يحدث أبدا، أن سافرنا جميعنا إلى المغرب بالطائرة رفقة والدتنا. كنا كل عام نسافر بالسيارة على امتداد عدة أيام عبر الطرق الريفية من ألمانيا إلى المغرب. فسعر تذاكر الطيران كان وقتها غاليا بالنسبة لنا. والآن نحن في طريقنا إلى طنجة رفقة والدتنا. وهناك كان والدنا في انتظارنا. فمنذ أكثر من ثلاثين عاما، عاد أبي إلى طنجة. وسبق أن قال لي وأنا أشتغل على كتابي مراكش: "عندما تكبر، لا يمكنك إنهاء حياتك في بلد غريب". قبل ثلاث ساعات كنا في مسجد كرويتسبيرغ، والآن نحن جميعًا في السماء صوب الأم إفريقيا. إنها أكثر من مجرد استعارة. فالأم في السماء، وسنتركها هناك، بينما نحن سنهبط إلى مطار "ابن بطوطة". نحن الآن نعيد والدتنا إلى دارها في طنجة؛ المدينة التي نشأت فيها، بعيدًا عن والديها، اللذين عاشا في جبال الريف. كانت أمي الوحيدة من بين إخوانها السبعة التي ترعرعت في المدينة. والدنا عبد الله ينتظرنا في المطار، وحميد سيلتقيه لأول مرة منذ أكثر من أربعة وعشرين عاما. هبطنا في طنجة واسم "ابن بطوطة" منقوش بأحرف كبيرة. غادرنا الطائرة جميعنا، والدتنا محمولة، والريح عاتية. والدي يمشي ذهابًا وإيابًا بقلب مفتور، ينتظرنا وألم الوداع الأخير. نحمل معا نعش والدتنا ووالدنا أمامنا. مررنا عبر حي الدرادب بشمال غرب طنجة، المكان الذي نشأت فيه أمي وأبي وبه تزوجا. تجاوزنا الأدراج الحجرية المميزة ذات اللون المألوف والفريد. لون بين الأصفر الرملي والرمادي النابض بالحياة، تذكرني هذه الأدراج بالأدراج الإسبانية في قلب روما. ولكن على عكس تلك الساحة الرومانية الأنيقة، لا توجد أدراج طنجة بقرب منازل أغنيائها، بل تخترق أحياء فقرائها. كانت والدتي تُعرف في الحي باسم "خياطة الدروج". لم يكن لدى الأسرة المال من أجل إيجار محل خياطة خاص بها. وعلى الأدراج وأثناء لقاءاتها بالناس، تعلمت الإسبانية والفرنسية، وظلت في المناسبات القليلة المتاحة لها في برلين، تحب التحدث بهاتين اللغتين الأوروبيتين صاحبتي التاريخ الاستعماري الطويل. حتى عندما تقدمت والدتي في السن، إلا أن محياها سرعان ما يغدو- مثل السحر - وجه شابة متمردة ، عندما تغادر الكلمات الإسبانية شفتيها بسرعة لا تصدق

تصوير: خالد سيهولي - والدته الزهرة

تصوير: خالد سيهولي ـ رفقة والدته وأخته لطيفة في طنجة

كانت تتحدثها بطلاقة، مع أنها لم تكن قادرة على القراءة أو معرفة القواعد النحوية. كانت مستمعة جيدة ولها القدرة على إعادة ما تتعلمه بالسماع غير آبهة بإكراهات الفونتيك الخاص بهذه اللغة أو تلك. لم تكن تستطع تحديد معنى لكل كلمة، لكنها كانت وفية للحن الجمل. وكنت أشعر بلحنها. فيما تبقى من ليلة إفريقيا القصيرة، ظل جثمان والدتي في منزل والدي. أما نحن فذهبنا إلى شقتها السابقة في وسط المدينة ونمنا مهدودين. كان نوما بدون أحلام. كنت أتمنى أن يبتلع الليل حزني وأستعيد ضحكتي مرة أخرى. فعندما ينزف قلبي وروحي ألجأ للكتابة. كتبي هي أقرب أصدقائي. بأوراقها العارية والبيضاء تصغي إلي. وتشدني بكلماتها بكل قوة وتمنحني المساحة الضرورية والحميمية والآمنة كلما ساورتني الظنون واشتد بي الحزن.

هجرة الأسرة والوطن

وطن اللجوء

في رحلة اللجوء، يفقد الأشخاص كثيرًا، أكثر مما نعتقد،
بعضهم تقتلع جذورهم إلى الأبد،
ولا يجدون مثواهم أبدًا،
يفقدون رائحة أحبائهم للأبد ورائحة الوطن أيضا.
غير أن الوطن حيث يشعر به المرء،
الوطن حيث يجد المرء راحته النفسية، دون أن يعرف أن ذلك سيكون مصيره.

خالد سيهولي من كتاب: طنجة من هنا تبحر السفن نحو العالم

وصل عبد الله السهولي والزُّهرة السهولي إلى ألمانيا كأميّين: بداية إلى لوبيك في أقصى شمال البلاد، وبعدها إلى برلين. هاجر عبد الله في البداية إلى ألمانيا بمفرده. اضطر وقتها إلى مغادرة المغرب، حيث تحول أصدقاء الحزب إلى أعداء، وكانت حياته في خطر شديد. عملت الزُّهرة خياطة في طنجة، وربت لطيفة وحميد بمفردها. في ألمانيا، اشتغل عبد الله عاملا في حوض لبناء السفن ثم عاملا في مصانع أخرى وعندما التحقت به، عملت الزُّهرة مساعدة في مخبز ثم منظفة في مستشفى الصليب الأحمر الألماني في حي فيدينغ الشهير. ولدت شقيقي لطيفة وعبد الحميد في طنجة وأتيا إلى ألمانيا عندما كانا في الرابعة والسابعة من عمرهما. بقينا جميعًا في برلين ونرى بعضنا البعض كل أسبوع تقريبًا. أداك زوجتي الرائعة ذات الأصول الفارسية، منحتنا طفلين رائعين: زهرة التي احتفلت للتو بعيد ميلادها الثالث، ولازار الذي سيبلغ من العمر قريبًا سبع سنوات. وأثناء العطلة جاء ابناي من زواجي الأول ، سارة وإلياس لزيارتنا. إنه لأمر رائع أن ترى جميع الأطفال يضحكون معًا. كما أن جميع أبناء إخوتي" برلينيون حقيقيون": فارس ودواليا وياسين وصرية وياسمينة وأنس ودينيس ويونس. ياسين على وشك الزواج، يا له من حدث رائع. والدا أداك هما الآخران اضطرا لمغادرة وطنهما لأسباب سياسية. في مكتبي بمستشفى شاريتيه، قمت بتعليق شهادتي للقسم السابع، وبها نقطة سيئة للغاية في مادتي الألمانية واللاتينية. كانت درجتي في الباكالوريا متواضعة جدا. كان علي أن ألج كلية الحقوق ولكنني قررت أن أتوجه للطب. ودون الدخول في سجال عقيم، قررت أن أبدأ تأهيلا مهنيا كممرض في مستشفى رودولف فيرشو في حي فيدينغ. وها أنا الآن مدير مستشفى أمراض النساء في المستشفى نفسه التابع لمجموعة مشافي شاريتيه الشهيرة. ممكن، نعم كل شيء ممكن!

حديث السلالم

"ولكن ما سر النجاح؟" سألني مؤخرا، أحد الجيران عندما التقينا في سلالم البناية التي نسكنها في برلين. وهو يعلم جيدًا أن والداي جاءا إلى برلين دون مستوى تعليمي جيد. فأجبته: "ربما كان الحظ والثقة وسلوك والديّ أهم محدد". نعم إنه الموقف والسلوك. فالنجاح هو مجموع قرارات صحيحة، حتى لو كانت نتيجتها أثناء اتخاذ القرار غير مضمونة ولا يمكن في العادة تحديدها على أنها صحيحة أو خاطئة. لا يعني النجاح بالضرورة تجنب القرارات الخاطئة. يبدو لي أن "سر النجاح" هو الشجاعة في اتخاذ القرار والمبادرة. الشك أمر طبيعي ولكن لا ينبغي أن يشل حركتك. منحني والداي الشجاعة للقيام بأشياء كنت أؤمن بها ومقتنع بها. أتذكر جيدًا أن أستاذ علم الأحياء في المدرسة الثانوية عندما قال لي إنه لا يمكنني أبدًا الالتحاق بجامعة الطب لأن نقطتي كانت متوسطة في علم الأحياء، والرياضيات، ومستحسنة في الفيزياء.

قال لي أمام جميع زملائي في الفصل: "هذا قليل جدًا بالنسبة إلى مادة العلوم". في ذلك الوقت كنت مسجلا في قسم التأهيل للباكالوريا في ثانوية Theodor-Heussقادما إليها من مدرسة Herbert-Hoover سيئة الصيط، بعد الصف العاشر وذلك بعدما رسبت في اللاتينية والألمانية ولم يكن مستواي يسمح لي بالذهاب إلى الثانوية مباشرة. وقتها كانت المدرسة آخر ما يمكن أن يثير شغفي. بالاضافة إلى ذلك، كنت وأصدقاء المدرسة نشطين في اقتراف كل عمل غبي. كنا نتغيب عن المدرسة لبضع ساعات مفضلين لعب كرة القدم أو نهب المتاجر، كنا نبرر افعالنا بحقنا أيضا في ارتداء الأزياء الأنيقة. مرة ألقي القبض علي بجنحة السرقة وحكم لي ببضعة أيام من العمل الاجتماعي. قضيت أسابيع عديدة كنت أجمع خلالها أوراق الأشجار في حديقة هومبولدتهاين. كانت جميع مدارسي في حي فيدينغ، قريبة من بعضها، على بعد بضعة كيلومترات، من المستشفى الذي أشرف عليه اليوم. أعتقد أنه لم يكن لدينا خيار وقتها، أو على الأقل لم يكن متاح لنا أي بديل آخر. عندما أفكر في المناقشات المكثفة والمفصلة حول اختيار نوع المدرسة في مقاهي المدينة اليوم، أبتسم بنوع من السخرية. النجاح هو حصيلة الأشخاص المناسبين. الأشخاص الذين يؤمنون بك، وبتناقضات شخصيتك. النجاح أمر شخصي ويمكن أن يكون مؤقتًا ولا يتم تحديده بالسمات أو الألقاب، ولكن بشكل أكبر بالمنفعة الاجتماعية والقدرة على إتمام ما نبدأه من أشياء.

كيف ولجت عالم الكتابة؟

قوة الكتابة

الكتابة هي مرآة الداخل
الكتابة هي أن تنصت لنفسك
الكتابة رقص
الكتابة هي القدرة على ملامسة ذاتك والآخرين.
الكتابة هي القدرة على الصمت والحديث في الآن نفسه،
الكتابة هي الحياة.

خالد سيهولي: من كتاب: الكتابة كقوة للحياة

التحدث والكتابة - حركات رائعة للروح البشرية. لطالما أحببت التحدث، وحتى عندما كنت طفلاً صغيراً، كنت سعيدًا جدًا بالكتابة التي تجعل مني فتى جريئا. العلم مستحيل بدون الكتابة. الكتابة حركة للأصابع والروح. عرفت ذلك منذ زمن بعيد. يمكن للمرء أن يعبر عن نفسه بالكلمات، ويمكن للكلمات أحيانًا أن تجعل المشاعر والأفكار مرئية لأول مرة، لأولئك الذين ولدوا الكلمات ولمن يستقبلونها. أعتقد أن الكتابة تعني الجانب الألماني من العملة الثقافية، وأتحدث باسم الجانب المغربي. الآن، وبعد تأليف كتابي مراكش وطنجة، أعلم أن الاثنين مندمجان في بعضهما البعض.

تصوير: خالد سيهولي - رفقة والدته وأخته لطيفة ووالدهما عبد الله

استعارة العملة غير قادرة على وصف كلتا الفضائل التي هي في غاية الأهمية بالنسبة لي، إنها أكثر من كرة تتدحرج وتجعل البقع السوداء والبيضاء في تمازج كبير. لم أعد أبحث عن الفروق الدقيقة الفردية، أشعر بها وأنا سعيد بالإكسير الثقافي المميز. تساعدني الكتابة على أن أكون مع نفسي، وأن أتعرف عليها مرارًا وتكرارًا. كما تساعدني على تقدير والداي وماضي، من أجل خلق شيء يكتنز في داخله قوة نحو المستقبل. أدركت أيضًا أن الروح تتحدث بكل اللغات. حتى اللغة التي يتعلمها المرء لاحقًا، ليست سببًا أو عذرًا لعدم كتابة الأفكار على الورق. الكتابة تعني اتخاذ موقف. بعد كتابة الكلمة، لا يمكن محوها. الكتابة تجعل ماء الفكر واضحًا، الكتابة تجبرك على إظهار موقفك. الكتابة تجعلك "عارياً". قبل تدوين الحكايات، ينبغي التدرب على الملاحظة وعلى الاستماع أيضا. كتابة القصص تعني أيضًا تقليد أسلافنا جميعًا، بغض النظر عن مصدر الثقافة. الكتابة تحملني، وتساعدني على التقاط ألوان الروح والحفاظ عليها. انطلق في دربك وامنح أذنيك قدرة الإنصات والنظر واجعل أناملك تخط الأشياء. أثناء قراءة لكتابي مراكش في أقدم مكتبات برلين " نيكولايشن بوخهاندلونغ"، تحدثت إلي معالجة بالكتابة وأخبرتني عن عملها القيم مع الأطفال. في غضون ذلك ، قمنا معا بإدماج مشروع الكتابة الإبداعية مع مرضى السرطان. كان صدى هذه التجربة لدى المريضات وأقاربهن كبير للغاية. في هذا السياق ، قمنا سوزان ديم، ويوتا ميشود وأنا، بنشر هذه التجربة في كتاب بعنوان "الكتابة كقوة لحياة جديدة" بدار النشر كوزل في عام 2019 بينما صممت الدكتورة أداك بريمورادي الغلاف وباقي الصور داخل الكتاب. عشقي للمغرب وكل ما أحمل من أفكار كمواطن برليني وضعته في كتابين:

الأول بعنوان مراكش ، وطنجة من هنا تبحر السفن نحو العالم. يدور هذا الكتاب حول واحدة من أكثر المدن غموضًا في العالم. إنها طنجة، لؤلؤة إفريقيا البيضاء، بأقصى شمال المملكة المغربية، والتي اشتهرت لفترة طويلة بالمهربين الجياع والكتاب غريبي الأطوار وجنود الحظ السيئ. ومحطة جذب لعدد لا يحصى من الأشخاص غير العاديين وقصصهم . كنت قد بدأت في الكتاب؛ أول فصوله جزء منها مسلي والآخر جدي. وكانت اكتشافات الاقتباسات الأولى للكتاب المغاربة المشهورين ولعشاق المغرب، فجاءت وفاة الوالدة التي أعطت الكتاب رمزية خاصة. هذا بالإضافة إلى ولادة ابننا لازار والهجوم الوحشي الذي تعرضت له في وضح النهار بالمستشفى، كانت كلها موضوعات أضافت على الكتاب إثارة خاصة. كنت مسرورًا بشكل خاص لأن كتبي عُرضت في أشهر مكتبة في طنجة "Librairie des Colonnes" . مكتبة تعد مقتطفًا من المدينة وتُعرف أكثر بكونها ملتقى أدبيا للكتاب المشهورين المحبطين الذين أسيء فهمهم. تم ذكر الاسم بعد الاسم بهدوء ولكن بفخر: محمد شكري، محمد مرابط، جان جينيه، طاهر بن جلون، صموئيل بيكيت، مارجريت يورسينار، إدريس بن حامد الشرادي، أمين معلوف، باتريشيا هايسميث، تينيسي ويليامز وجو أورتن. نادرًا ما يقتبس الغرباء أقوال غرباء آخرين. ربما لهذا السبب نادرًا ما تم الاستشهاد بالكتاب المغاربة في كتب دور النشر الإنجليزية والفرنسية. "طنجة هي النبض النذير للعالم. إنها مثل الحلم الذي يبني جسراً من الماضي إلى المستقبل، حدٌ بين الحلم والواقع "، هكذا وصفها الكاتب وليم بوروز. لقد مر الآن أكثر من سبع سنوات منذ أن ودعنا أمنا فجأة وبشكل غير متوقع. إنه يوم الأحد ونحن جميعًا هنا مع بعض، كما هي حال كل الآحاد تقريبا، حيث نلتقي لتناول الطعام والدردشة معًا في منطقة شباندو. هذه المرة حميد، تاجر التجزئة الموهوب للأحذية الكبيرة وكبيرة الحجم جدا، يعد الكسكس مرة أخرى من ريبرتواره اللامحدود، ومراد المحامي الشهير، هو "أفضل معد بيتزا في العالم". نعم ، كان لديه فرن حجري إيطالي حقيقي تم إعداده في وسط حديقته عندما لم يتمكن العميل وصاحب المطعم من تسوية فاتورته بأي طريقة أخرى. وعلى بعد خمسة أمتار إلى اليسار يوجد حوض النعناع المغربي لأخي حميد. يوم الأحد هو أحد طقوسنا الثابتة، وبالتالي فهو أكثر من مجرد لقاء طهي في وسط برلين. في هذا اليوم يجد الجميع سلامهم وأمانهم وسط هذه اللمة، بالرغم من صخب الأحفاد، وأبناء الأخ، والآباء، وأولياء الأمور، والجيران، والأصدقاء. لقد أحبت والدتنا الأمر بهذه الطريقة وأوصتنا دائما أن نعتني ببعضنا البعض. لطيفة هناك أيضًا ، التي لم تكن قادرة على العمل كممرضة لفترة طويلة بسبب مرضها، لكنها بطريقة ما هي شريان عائلتنا. مثل إخوتها يمكنها أيضًا أن تروي قصصًا رائعة، لكنها تميل إلى أن تكون أكثر تحفظًا وسط الجماعة. ابنتنا تسمى "زُورا" مثل والدتي. فقط تخلينا على الهاء. وهذا الحرف لم نكن نسمعه أصلا عند المناداة على أمي. يرتبط الاسم ارتباطًا وثيقًا بالعديد من الذكريات الإيجابية لوالدتي "الزهرة" التي كانت تنادى باسم "صورية" أيضا بشيء من المد على حرف "o" و "a". فعلى سبيل المثال، وقبل وفاتها ببضع سنوات، أخبرتني أنها عندما كانت تغادر شقتها المكونة من غرفة واحدة في حي فيدينغ بعد وصولها إلى برلين في ستينيات القرن الماضي، كانت تستعين بقطع من الفحم من موقدها لتعليم طريقها حتى لا تتيه عن منزلها أثناء عودتها إليه. وهي التي لم تكن قادرة على قراءة أسماء الشوارع أو استفسار الأشخاص الذين يتحدثون جميعًا بلغة مختلفة: فشوارع من قبيل Stralsunder Straße وBrunnenstraße وStrelitzer Straße وVoltastraße أو Amendestraße كانت بالنسبة لها رموزا وأصواتا لعالم آخر، كانت تريد تحديه. لم يكن أمامها أي بديل، غير أن ما شجعها هو صاحب مخبز في حيها، حيث كلما مرت هي وشقيقاي المولودان في المغرب: لطيفة وحميد كل يوم، يبتسم لهم ويمزح مع الصغيرين. هذا منحها القوة والأمل. كانت تبتسم بكل ود وهي محرجة. فأشياء كثيرة جيدة، ليس كلها ولكن كثير منها يبدأ بابتسامة. للتو عدت من الدار البيضاء ، بعد مشاركتي في معرض الكتاب. كان أمرا رائعا، حيث شاركت بدعوة من معهد غوته، وتأثرت كثيرًا. قرأت باللغة الألمانية بينما قرأ صديقي أحمد اعبيدة بالعربية من كتبي المترجمة والمنشورة في دار النشر سليكي. لم أفهم ما كان يقوله، لكنني كنت أعرف ما يقصده. يا لها من هدية، أشعر بالأمان والسكينة. "ثق بنفسك، واعمل الخير وكن ودودًا": كانت هذه المبادئ التوجيهية لوالدتي، والتي أحاول دائمًا الحفاظ عليها.

تصوير: فرينر شورينغ ـ بمستشفى شاريته

جواز السفر

إدريس الجاي

- من مواليد فاس
- في ألمانيا منذ 1991
- حكواتي

"اللسان ما فيه عظم"

كان إدريس الجاي، المولود في فاس، على دراية بالشعر التقليدي و الموسيقى، عندما كان طفلاً بفضل والده. تعزز عنده مع مرور السنين. تكتسي الثقافة الشفاهية بأسلوبها المغربي التقليدي، أهمية كبيرة بالنسبة له، ويحرص على نقلها إلى الآخر، مثلما كان يقوم به رواد الحلقة المشهورين في ساحات مدينة فاس العتيقة وساحة جامع الفنا في مراكش.

تصوير: إدريس الجاي - أثناء عروضه كحكواتي

الفن كجسر بين الثقافات

بلغ إلى سمعي أيها القراء النجباء، أطال الله في أعماركم. أنه في أحد الأيام، بعدما تنفس الصبح وأشرقت الشمس، شق طريقه رجل مسرحي من مدينة فاس نحو الاقاصي، حاملا بساط ريح معدنيا. وكان أن جاءته دعوة فنان ابن مدينته لاسكتشاف آفاق فنية جديدة وإثراء ثقافته. أدار ظهره للشمس وسار نحو المغيب، إلى أن حط الرحال في مدينة هانوفر ببلاد الغرب. كان ذلك عام 1991. بدا الأمر وكأنه منعطف هائل في خياله الفني وفي حياته أيضا. حينئذ فقط أدرك أنه حل بأرض الكبار: من الشعراء والمفكرين والفنانين. نيتشه، هيغل، ماركس، غوته، شيلر، بريخت، تسوكماير، فاسبيندر. وفيم فيندرس.....الشخص الذي قرأ له وشاهد أعمالهم في مسقط رأسه.

كان سحر أعمال هؤلاء العباقرة كبيرا في وطنه، ومع ذلك كان لابد أن سنوات قبل أن يتمكن من قراءة أعمالهم بلغتهم الأم. مع مرور الوقت وتطور المهارات اللغوية للبلد الجديد، زاد شغفه أكثر للمزيد من المعرفة. التهم كل ما صادفه عن وطنه القديم والجديد، وبخاصة عن فاس؛ مدينة الولادة. من خلال القراءة، استيقظت فيه ذكريات الماضي والطفولة، وتولدت لديه أسئلة كثيرة حول حياته في وطنه الجديد: "إلى أين يأخذك كل هذه المشاعر والشوق والحنين إلى الوطن وإلى الماضي؟" بعد جهود كثيرة، واصل ببطء، نشاطه المسرحي بلسانه الجديد، بحثا عن أفق جديد، فالتحق بقوافل المسرح المختلفة وتطوف معها عبر الوديان والأنهار والجبال. وشق عباب بحار مسارح البلد؛ من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

كان شعورًا رائعًا؛ العَوْدُ مرة أخرى إلى دروبه وأزقته ومنعرجاته وباحاته الفنية. رائع أن تخوض غمار قطع مسرحية للأخر: تمثيلا أو إخراجا، ولكن أين هي ثقافتك أنت من كل هذا؟ كيف يمكن نقل هذه النصوص إلى الآخر بسلاسة؟ طوقه الشعور تجاه وطنه الأصل، بمسؤولية نقل ثقافته وأصواتها وعاداتها وطرق تفكيرها لأناس الوطن الجديد، مثلما وجد نفسه ملزما ببسط دعائم هذه الثقافة إلى أبناء جلدته أيضا.

بعد جهد كبير وتفكير عميق، لاحت الإجابات في ظلال حديقة الحَلْقَة المتنوعة والمترامية الأطراف. وكان ذلك انسجاما مع شخصه. فهو نفسه يتفرع من عائلة ترعى الثقافة الشفاهية من خلال الحكي وسرد المتون. وهكذا استنبت العديد من القصص والحجايات من ثقافته الأصلية وأيضًا من ترجماتها في اللسانين العربي والألماني. وتمكن من مد جسر بين الشرق والغرب.

الآن وقد أدركني الفجر، فسأسكت عن الكلام مؤقتا إلى أن يحين مساء جديد في انتظار حكاية موالية.

جواز السفر

فوزية طيبي

- من مواليد بني سدن
- في ألمانيا منذ 1990
- درست التسويق والآداب الألماني
- كاتبة

"القصيدة لا وطن لها!"

ولدت فوزية الطيبي في قرية بني سدن بالريف شمال المغرب. هي شاعرة ألمانية من أصول مغربية أمازيغية. تعشق الشعر العربي والألماني ودرست الأدب الألماني وعلم الاجتماع في جامعة فرانكفورت. طيبي متزوجة وتعيش في فرانكفورت. نشر لها قصائد في عام 2010.

لغتك يا امي

كل لفظ هو لك
معك كل كلمة هي قصيدة
أمي شرف كلماتك
مثل حرير الزمرد الأخضر
في صوتك
الرنين في جماله يبدو صامتا،
أمي الحاضرة دوما، ليرتاح لسانك في الجنة
وإلى الأبد أستمع إلى غنائك ولغتك
أمي هي وطني

السيترون

على شكل كمثرى
بصمت يتغير
الكل من الحموضة
في قلبها
يتكوم الصفاء
وبمرور الوقت، يتآكل السيترون

ثمازيرت إينو[1] [وطني]

ثمازيرت قلبي...
هذا الفضاء الذي فيه أنا طليقة أهفو..
هذا الذي أنا فيه ...
طائر..
رحالة...

أشعة الشمس تلهب النفوس..
لكن الضحكات مجلجلة
في كل مكان...

حمار واقف ...بجوار سيارة واقفة..
متسولون مهملون...
يجلسون...
بجانب باعة اللحم والخضر ...والمشترين
روائح مزركشة...
في كل مكان..

الغبار يموج ...
يأخذ لنفسه الكثير..
لكنه يلوث بعض الأشياء
لا يهم، ففي الظلال السرمدية يستريح بعض الناس...!

ثمازيرتي التي أسكنها
وأجالسها، متألقة ومتوهجة..
عائلية إلى درجة تحبس الأنفاس!
قابلة للمساومة...
لكنها بين الفينة والفينة...
خائنة!

واثقةً من نفسها تتبختر الخواطر عبر الأزقة الصغيرة المتشققة المُعفّرة...
قد تعشق هذا التبختر
لكنها أحيانا تأنف منه...

في ثمازيرتنا...الروتين مفتاح كل شر..
الأقوال والأفعال تعاد بلا نهاية..
وبلا أدنى أمل في الإثارة..

ثمازيرتي هي الأجمل..
بارحتك مضطرة منذ أمد طويل..
لكنني، ها أنذا أرجع إليك مرة تلو المرة،
وفي وقت ما ستكون رجعتي للأبد.

لألقي هنالك بسلام روحي ..
وأأوب إليك... إلى حيث نُفخت في روحي الحياة..
وحيث سيقبضها إليه الله متى شاء..

يربط بيني وبين ثمازيغتي هيبة أصيلة...
وحب عميق
تزورني في أحلامي، تهش فرحا لمقدمي،
وتحتفي بوجودي فيها وبقائي القصير..
في احتفائها بي يلمع كل كوخ طيني بلونه الترابي
حتى المساجد الصغيرة، تشمخ وتعلو في كبرياء...فرحة بتواجدي
ثمازيرت إينو..
أجل... ثمازيرت إينو..

أعترف بك وأنا فخورة...
وسعيدة بأن أكون جزءً منك..
غايتي أن أنام يوما ما ملء جفني بين ذراعيك..

أنت أمي في وطني الأب[2]!

ها أنت تمدين ذراعيك المفتوحتين
تسألين في إلحاح أن أبقي..
لكنني، وأسفاه، لا بد أن أغادر!
رحلتي الأخيرة قادتني إليك..
أهواك يا ثمازيرتي..
يا ثمازيرت قلبي..

ثمازيرتي يا حامية روحي العريقة...
يا أيتها المكان المترب حيث ولدت..
أيتها التحيات الأبدية المشبعة بالأشواق..
يوما ما سأخر بين ذراعيك الحبيبتين..
ذراعي أمي المفعمتين بالحب..
ذراعي...
ثمازيرتي..!

ترجمة عتيق أخواجي

[1] ثمازيغت إينو: جملة أمازيغية تعني: لغتي الأمازيغية

أيام الإسمنت الأخضر

أيام الأسمنت الأخضر
مُعلقة فوق ستاري
ثقله يجثم على خواءنا
تلتقي الخفة
ونادرا ما ينطق منزل فيما تصوم
المنازل المصطفة عن الكلام
فروع التنوب تتساقط بلا انقطاع
أيام الأسمنت الأخضر
تعكر صفو مزاجي
وفي المساء
أتزين مع ظهورها

خيالات

من الأقمشة الممتازة
تغزل أيامي لها ليلا
تحفا يدوية:
حللا مزركشة..
نماذج متألقة،
تحيط بصدري.

وبمقص قاطع،
يقصها الخياط
نهارا،
وتصنع منها آلات الخياطة المجعجعة،
بضائع بكميات وفيرة!

بفضل الواقع،
يتم غالبا
حتى من الأقمشة الممتازة،
صنع أشياء عادية!

كما تربح، تخسر!

أن تحيى في أمان
دون خوف من أن تصير يوما ما لصا
أن تنسل من الزمن
"كما تربح، تخسر!"
أن تذهب وتجيء،
وربما لا تقدر
أن تستمتع بالأمان،
دون أن تكون مرغما على افتراس أحد!

أن تبقى على علاقة صداقة
مع نفسك ومع كل أعدائك،
أن تبجل وأن تلد،
وأن تهدي النور والحياة
ربما

وربما لا.

أن تستحم في الأحاسيس
أن لا تضطر إلى تحمل أحد بسبب تأنيب ضميرك،
أن يراودك الهاجس بأنك مضطر للعطاء؛
إن العطاء طواعية هو الحياة بذاتها.

تواريخ وعصور وأناس يرافقوننا،
غير أننا لا نعترف بقواسمنا المشتركة؛
ها نحن في عجلة نسرع السير،

بكل المعاني

فيك
لغتي
من خلالك أمي،
أعيش معك أرضي
أشعر أن نغمتك ترتاح في إلى الأبد
عرشك فوقي
تألقك بوجه ملون يرضيني
وترانيم كلماتك كقطع الفسيفساء
هي أماكن معروفة لي إلى الأبد
أشتاق لرائحتك
كلماتك
أمي أعيش بداخلها.

أي حزن هذا!

يحيط بقلبي..
يظلل هذه الطلعة الرمادية،
يقبرها، وهي لما تزل حية!
باستبداد وفي قتامة، تسيطر علي الأيام السود
آه، أي حزن متنقل هذا!

هذا الذي يهد أحلامي،
كأنها فقاعات صابون..
ويمحقها،
كأنها أبدا لم تكن!

الحزن،
المنطقة السوداء في حياتي،
التي أستحضر فيها الخوف والضياع..
وتسلبني البهجة!

ظلاله جبارة،
وجسدي
بلا قوة..
أريد أن أثور عليه،
أن أخدعه،
لكن ...
آه من هذا الحزن الذي يلف قلبي..
هذا ما أقوله لنفسي في كل مرة..
حينما ينتابني.

الحارس

أحييك أنا...
كما أن أشواقي تحييك..
إنها سبب كتابتي إليك..
تلك التي كانت حارس حبنا
بيد أنها الآن وقد غدت هي نفسها،
كثيرا ما تكون حزينة، تسألني عنك..
لها عذرها في ذلك،
فأنا الأخرى أفتقدك... وأشتاق إليك..
ترددت كثيرا..
لم أجرء قط على الكتابة إليك..
وبصراحة، فأنا أذللت الأشواق طويلا ..

حرمتها حريتها طويلا..
وها هي كالمجنونة تسألني عنك المرة تلو المرة...
ظنت من سذاجتها أنني زهدت فيك..
حاولت كثيرا
أن أشرح لها بأنك لست تصلح لي،
لكنها ما صدقتني ... ما صدقتني!
يا أيها الحب الضائع أحييك..
وأشواقي أيضا تحييك..
إنها سبب كتابتي
إليك..

عمل يومي

أطرح أسئلة على نفسي..
ما من أحد يجيب.
أتوتر،
ما من أحد يهدئ من
روعي.
أتسلم الأمتعة..
تبتسم..
أنت تنصرف،
وأنا أبقى،
تنصرف أنت، وأنا أبقى..
أبقى

أنت تطرح أسئلة علي،
وأنا أجيب.
أنت تتوتر،
وأنا أهدئ من روعك.
تضع متاعك على الشريط
المتحرك..
أبتسم..
أنت تنصرف،
وأنا أبقى..
تنصرف أنت، وأبقى أنا!

جواز السفر

محمد مسعاد

• من مواليد الدار البيضاء •
• في ألمانيا منذ 1998 •
• صحفي •
• كاتب •

"نظارات الخائن"

كانت الهجرة بالنسبة للصحفي والكاتب محمد مسعاد كملاذ لإعادة ترتيب حياته. فتحت أفقه على قوة اختلاف الانسان وتنوع ثقافته. صدر له ديوان شعري" زغب المياه الراكدة" دار الغاوون/ بيروت، وترجمة مشتركة "ظلم الأقوى" لغونتر غراس، دار المسار العراق، ونظارات الخائن دار الدراويش.

الهجرة كتجربة دائمة ـ غونتر غراس

نحن الآن في القاعة الشرفية لبلدية مدينة ترير، مسقط رأس العلامة كارل ماركس. والمناسبة توزيع شهادات التجنيس على عدد من المهاجرين الذين استوفوا شروطها. لم يكن التجنيس في ألمانيا بالأمر السهل، لعدة عوامل: منها ما هو تاريخي ومنها ما هو نفسي، مرتبط بمخلفات الرايخ الثالث التي قسمت ظهر ألمانيا. والنتيجة تقسيم البلاد والعباد إلى شرق وغرب.

كان يوم ثلاثاء، حين وقف عمدة المدينة الجديد، ينادي على الأسماء المجنسة، وهو يحمل مفاتيح المدينة على صدره. اختلق عمدة المدينة تقليدا جديدا، وذلك بتكليف شخص من المجنسين بإلقاء كلمة، وكانت هذه من نصيب العَرْبي الذي استعد لها بخطاب، سهر عليه الليالي:

السيد عمدة المدينة المحترم

السيدات والسادة

لا أجد أفضل من قولة الكاتب الألماني نوفاليس للاستدلال بها في هذا المقام.

"إلى أين نسير؟

إلى الدار دوما".

هل حقا، رحلة المرء هي من أجل البحث عن الدار التي تشكل أمانا له؟ كان السفر ذات أحدٍ من أيام الخريف. هل كان سفرا؟ أم هجرة؟ كنت متأكدا من أمر واحد، أنه لم يكن هروبا. ولو أنني لا ألوم أحدا على ذلك. هرب الكثير من كتاب ألمانيا ومبدعيها وفنانينها، من بطش الرايخ الثالث الذي استغل الديموقراطية، وحول العالم إلى جحيمٍ، أودى بحياة الملايين من البشر. هرب هؤلاء جميعا، فعاشوا وعاشت أفكارُهم.

شكل السفر أو الهجرة هوية حمائية. هاجرت الأديان هجراتها الكبرى، فحافظت على نفسها. وهاجرت الأفكار فاستمرت. وحين ضاق الأفق بفيلسوف العرب ابن رشد، حمل زاده واحتمى بالآخر. كانت الهجرة داخلي هجرات. هجرة متعددة في الزمان والمكان. هجرة فتحت اسمي الشخصي وجراحاته على آفاق أخرى. الهجرة بالنسبة لي ذات بعدين أساسيين: الأول يقوي درجة التنسيب عند

تصوير: سينا فوتو ـ دويتشه فيله

تصوير: محمد مسعاد ـ ميشائيل هون لينغن ـ رفقة صربة موقيت والرئيس الألماني السابق يوآخيم غاوك

المرء الذي يخلخل يقينه. أما البعد الثاني فمرتبط بالأول، بل يأتي كنتيجة له. إذ أن القدرة على التنسيب، تجعل المرء قادرا على احترام اختلاف الآخر، بغض النظر عن بشرته ولسانه ومعتقداته وميوله الجنسية. إن الهجرة إذن، قوةٌ إبداعيةٌ بلسان جوليا كريستيفا في كتابها "الآخرون هم نحن أنفسنا".

السيد عمدة المدينة المحترم

السيدات والسادة

هاجرتُ من المغرب إلى ألمانيا قبل هجرتي هذه. هاجرت منذ أن كنت طفلا، وأنا أنصت إلى ذلك الجندي المغربي الذي وجد نفسه يحارب ضد النازية. كنت أتابع حكاياته ومغامراته إبان تلك الحرب الحمقاء، التي سماها إدغار موران انتحارٌ أوروبي. كان باصالح يحكي عن هذه الحرب التي وجد نفسه في خضمها، بكثير من الشجن. ورغم ذلك يحكي عن الألمانِ ذكرياتٍ جميلة، لعل زوجته لانان أبلغ معاني هذه الهجرة. على هذه الأرض التقاها. ومنها هاجرت معه إلى مغرب لم تكن تعرف أين يوجد أصلا.

في مرحلة أخرى، أصبحت الهجرة هجرةً نصية، تسافر بالذات نحو البعيد. حيث الآداب والفلسفة الألمانية تأخذك إلى دهاليز، لم تكن سهلة المنال، عن طريق لغة دافئةٍ وجذابةٍ وأنيقةٍ ومكثفةٍ. لغةٌ عميقةٌ، نزلت سائلة على ألسنة العظماء، من غوته إلى شيلر ومن هيغل إلى ماركس ومن هولدرلين إلى بيتهوفن، الذي حول المثالية الألمانية إلى سمفونياتٍ خالدةٍ.

هجرة تسربت إلى الداخل كجِذْرٍ ينبت في صمت. يدخل في عناق مع لغاتي المتعددة التي غرفت منها في المغرب. ألسنة متعددة ومختلفة، تشكل أفقا عميقا في الذات؛ العَربيِّ منها والأمازيغي، المسلم واليهودي، الأندلسي وذلك الآتي من أفريقيا. مرة يأتي مسترسلا مكتوبا وأخرى تتناقله المحكيات.

السيد عمدة المدينة المحترم

السيدات والسادة

نتذكر جميعا قولة "مثل خرافة صيف" التي أبدعتها الصحافة الألمانية عن صيف 2006. ذلك الصيف الذي شهد تنظيم ألمانيا لكأس العالم. لست من هواة كرة القدم، غير أنني أحسست في ذلك الصيف أن جذرا ينبت في داخلي بصمت. كان صيفا استثنائيا بكل

تصوير: محمد مسعاد ـ رفقة الرئيس السابق لاتحاد كتاب المغرب عبد الحميد عقار

تصوير: محمد مسعاد ـ أثناء حفل تقديم كتاب ناريمان حموتي في برلين

تصوير: محمد مسعاد ـ معرض الدار البيضاء للكتاب 2012

المقاييس، شَهِد تواطؤ الطقس أيضا. شمس حارقة حولت الأزقة إلى دفء استثنائي. لم تفز ألمانيا بكأس العالم للأسف، ولكنها ربحت نفسها، وربحتنا جميعا، ضيوفا وأناس البلد. استطاعت ألمانيا أن تعلن رسميا وفاة عقدة الذنب، التي تملكتها في علاقتها مع ذاتها ومع الآخرين، كأنها أخذت حكمة المعلم الكبير غوته حين قال: "شعب لا يكرم غرباءه مآله الزوال".

أكاد أجازف بالقول بأنني أتحسر، لكوني لم أعِشْ معجزة الألمان وهي تهدم جدار برلين، غير أنني ألتمس التعويض في ذلك، من خلال ما حققناه جميعا عن طريق عبقرية المونديال المنظم تحت شعار: "العالم ضيفا عند الأصدقاء"، وكذلك كان.

تمكنت ألمانيا من التغلب على عقدة الذنب، وكذا على الشيزوفرينيا التي حكمتها طيلة عقود في علاقتها بمهاجريها، بعد استيعابها لمقولة الكاتب الكبير ماكس فريش: "طلبنا يدا عاملة، فجاءنا بشر".

نعم إننا بشر. جميعنا بشر، بغض النظر عن الطريق الذي سار فيه كل فرد في رحلته الكبيرة إلى الدار، التي تقيه شر الخيانة التي تسكنه. كلٌ منا خائنٌ بطبعه. يخون اليوم، ما تعلمه البارحة. الخيانة محو دائم. الانسان في رحلة بحث دائم. الخيانة مرادف للشك. الخيانة نقيض اليقين. التنشئة الاجتماعية خيانة مستمرة. والهوية وهمٌ لمن يريدها جامدة.

حين فازت ألمانيا على الأرجنتين بالضربات الترجيحية، تدفقنا جميعا إلى الشوارع، نهلل جميعا لخيانتنا، كل حسب نيته. في غمرة ذلك الفرح الطفولي، انبرى أحد، وحيا الجماهير بالتحية النازية. كان يريد أن يكون وفيا لهوية ما. وفيا لوهمٍ راح دون رجعة. غير أننا خُناهُ جميعا، حين نظرنا إليه وواصلنا طريقنا. تابعنا خيانتنا، لأننا نضع نظاراتٍ لتصحيح النظر. كنت أتمنى أن يقرأ حكمة نيلسن مانديلا: »لا أحد يولد كي يكره الآخرين.«

هل أنا مغربي؟ هل أنا ألماني؟ من أنا إذن؟

أنا إنسان. الوطن بالنسبة لي، ليس مجرد مكان، بل هو شعور بالأساس. أو كما قال رونيه كونيغ ذات مرة: "أنا مواطن عالمي، هاجرت مرة، سأظل مهاجرا إلى الأبد».

والله ولي المسافرين

والسلام عليكم.

تصوير يوسف ناوري ـ رفقة د خالد بلقاسم ود نبيل منصر أمام مقهى طنجة الشهير الحافة

جواز السفر

عبد اللطيف اليوسفي

- من مواليد طنجة .
- في ألمانيا منذ 1960 .
- معالج نفسي.
- مصمم غرافيك.
- صحفي وكاتب.

الشغف مدرسة الحياة

يعيش عبد اللطيف يوسفي في فرانكفورت. يمارس إلى جانب مهامه الاعتيادية الكتابة. وهنا في قصته "سأتزوج كلبا" المنشورة ضمن مختارات "مورغنلاند" يستعرض مأساة فتاة في الحادية عشرة من عمرها، حيث قررا والدها ترحيلها إلى بلد الأصل. أما في القصة الثانية "منطقة عازلة" المنشورة في صحيفة فرانكفورته روندشاو فيتطرق فيها للأعطاب الصحية للمجتمع المعاصر.

سأتزوج كلبا

غالبًا ما أجلس وأنا أضفر ضفائر الذكريات، وأنا أتساءل عن القوى والقوى والمواقف التي تشكل البشر، وتدفعهم إلى السعي وراء هذا الهدف أو ذاك أو تلك التي ترمي بهم خارج مسار حياتهم، بلا رحمة أو شفقة، فتتركهم تائهين كما لو أن ملقنهم الشخصي الذي كان ينير لهم الطريق، وافته المنية. بينما أنا غارقا في هذه الذكريات، أستحضر اليوم الذي كانت فيه أمي وأنا لا أزال صبية في الحادية عشرة من عمري، تجرني للذهاب إلى المسجد بالقرب من حي نيدراد في فرنكفورت. وكان ذلك في فجر أحد أيام فبراير الباردة، حيث السماء ملبدة بالغيوم. كان اليوم السادس والعشرون من شهر رمضان، والذهاب إلى المسجد حق على كل مسلم، هكذا أخبرتني والدتي وهي تقول إن أبواب السماء مفتوحة في ذلك اليوم لتلبية دعوات الصائمين. وقفنا في قاعة المسجد الفسيحة، حفاة القدمين متراصي الصفوف، أقدامنا على الخطوط المرسومة على السجاد. وعبر مكبرات الصوت خرج صوت الامام. نساء على يميني وأخريات على يساري يتزاحمن لرص الصفوف، ما اضطرني لاتخاذ خطوة إلى الأمام بسبب الضيق. بينما انحنى الجميع للصلاة والرجوع والسجود، ظللت أنا واقفة بسبب ضيق المكان. وعندما نهضن، جذبتني امرأة إليها وقالت: "عليك أن ترصي الصف، وإلا سيلحق بك ما حل بذلك الحمار الذي حار في الاختيار بين كومتين من العلف إلى أن مات جوعا". وهكذا بسبب انشغالي بتأمين مكان لي، سهوت عن الصلاة وفاتتني فرصة التضرع إلى الله. يكون سوق الجملة كل صباح أول محطة أمر بها وأنا في طريقي إلى مركز المدينة. هنا في هذا

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي ـ في موقع للبناء، بعد وقت قصير من توحيد ألمانيا، 1992 في لايبزغ

المكان يتعايش الرخاء والبؤس مع بعضهما، كنت أرى هناك صناديق مملوءة بالخضار والفاكهة ورجال هُتِمت أسنانهم يكرعون كؤوسا كبيرة لا تعد ولا تحصى من البيرة كمكافأة لأنفسهم بعدما أنهكهم حمل الصناديق الثقيلة على أكتافهم. وكان قد تسللت إلى خياشيمي رائحة السمك من أحد الحاويات المنزلة في المكان. أغمضت عيني، فتراءى لي البحر وميناء طنجة وطيور النورس وهي تنعق محيطة بقارب صيد، فيما باخرة تطلق إنذاراتها وهي تبتلع السيارات في بطنها. وموظفو الجمارك يفتشون أمتعة المسافرين، علهم يكتشفون شيئا يغضون الطرف عنه مقابل دراهم معدودة. البحارة يمشون بخطى ثابتة بعد قضاء ليلة طويلة على متن سفنهم. فيما مشاهد الوداع تجعل العيون تسكب دموعا مدرارة. بالرغم من ساعات الصباح الأولى رافقنا عمي إلى الميناء، تبادل معه والدي بضع كلمات قبل أن يدس في يديه بضعة أوراق مالية، فعانقا بعضهما البعض، ودار عمي من حول السيارة وراح يعانق والدتي التي انفجرت بالبكاء. وعندما بادرت بدوري لمعانقته، أمسكت أمي بذراعه، رنا إليها برهة وأمسك يدي بقسوة ودون أي شفقة خاطبني" ستبقين هنا معي". في البداية صدحت عني ضحكة مخنوقة ورحت أنقل النظر بين أمي وأبي. لا أعرف لحد الآن السبب الذي دفعهم إلى اتخاذ مثل هذا القرار، فأنا لم أسألهم عن ذلك. كما أني لا زلت أجهل من يقف منهم وراء عدم اصطحابي معهم إلى فرانكفورت. هل كان والدي أم أمي أم كلاهما؟ ما الذي حدا بهما للقيام بذلك، وما هي المخاوف التي قادتهما لهذا الفعل المؤلم؟ هل كان خوف والدي مرده بداية تكور نهد ابنته البالغة من العمر 11 عامًا؟ أم أنني قد أستسلم لغواية شخص غير مسلم؟ وهل كان هذا سيشكل خطرا على التقاليد الشرقية التي توارثته الأجيال؟ هل كانا حقا يريدان الحفاظ على شرف العائلة حتى لا يضيع كنزهما الثمين؟

تزمير صاخب وعنيف ينتشلني من خواطري وأفكاري، فكل تأخير يرد عليه بلا هوادة وباستهجان كبير في لحظة واحدة. المحركات القوية تهدر تحت غطاء محركات السيارات، وأقدام سائقيها على أهبة للانتقال من المكابح إلى دواسة السرعة فيما أيديهم على عجلة القيادة تنتظر الاشارة الخضراء وهي متلهفة للانطلاق عبر المسارات المعدة لذلك. وأنا أمضي قدما، حيث أشعر بسعادة غامرة وأنا في الجزء الشرقي من المدينة. هنا مأوى المهمشين والضائعين الذين يعيشون خارج رحمة الله. هنا العمال المياومون على شكل جماعات أمام السياج الطويل المحيط بسوق الجملة، وقد أحدثوا فتحات في السياج لكي ينفذوا ـ ولو مؤقتا على الأقل ـ من ملاحقات الشرطة. ومن يحالفه الحظ منهم، يحصل على عمل عند أحد المستغلين الجشعين لتشغيله في مواقع البناء مقابل أجر زهيد، بالكاد يكفي لسد الرمق. أسير تحت جسر فلوسهبروكه،

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي – فرقة كناوة برئاسة جده

حيث أقام شخص بدون مأوى مكانا يبيت فيه ليلا. أقف مندهشة حيال قناني النبيذ الأربعة الفارغة والمصطفة بدقة عند أسفل قدمه وتشير ملصقاتها الموجهة بإتقان إلى اتجاه واحد. ربما تكون شخصية هذا الرجل الذي تقطعت به السبل تميل إلى عدم جذب الانتباه. فأي أمل يرتب أفكار شخص ينام تحت الجسور؟ واصلت مشيي على طول الرصيف، وجلست على دعامة معدنية مخصصة لحبال ربط السفن، أراقب كيف تنجرف مياه نهر الماين في ذلك الصباح، وهي مدفوعة بالرياح نحو الشرق محدثة أقواسا. أغمض عيني، وأترك أشعة الشمس تدفئني وتعود بي الذكريات مرة أخرى إلى طنجة، إلى صخرتي التي كنت أجلس عليها كل صباح قبل ذهابي إلى المدرسة وأحسد الشمس وهي تغيب خجولة رامية بألوان حمراء وهاجة تداعب أمواج البحر. كان الحنين إلى مسقط رأسي في فرانكفورت كبيرا، ولم أتمنى سوى العودة إليه. لم اذخر أي جهد في سبيل تحقيق ذلك، حيث ذهبت إلى قارئة الفنجان وحملت تمائم الحظ، وظللت أشكو من حظي العاثر. مرة قالت لي إن حظك ضاع وأعطتني رسومات دقيقة للمكان الذي يمكنني العثور عليه فيه. فيما نصحني آخرون بالبحث عن جناحي حريتي المفقودة. وهكذا زرت ضريح مولاي عبد السلام. منهكة كنت أمشي على الممر الحجري، غير المعبد إلى أن وصلت إلى مدخل المدينة. كانت المنازل خفيضة بها شرفات مفتوحة مطلية باللون الأزرق الفاتح، وبعض الكلاب تجري من حولي. جلست في مقهى بسيط للغاية، حيث امرأة يزين ذقنها وشم، وهي تحضر خبزًا مدهون بالزبدة والعسل، قدمته لي مع كوب من الحليب الدافئ وهي تقول: "أعطني مما منحك الخالق، يا ابنتي، عل الله يحقق لك رغباتك في هذا الصباح المبارك". وضعت الأشياء على الطاولة وعادت إلى عملها. منحني المكان شعورا بالسكينة، وكانت المرة الأولى التي أحسست فيها أنني في بلدي وبين أهلي. جاء الناس من جميع أنحاء البلاد بحثًا عن البركة والخلاص من الأمراض أو التعاسة أو حتى من الخوف من الامتحانات. غير أن ذلك لن يحصل إلا إذا قطع المرء المسافة سيرًا على الأقدام. بينما كنت أتجول في التضاريس الجبلية، التقيت شابا في أحد الكهوف. عيناه متوهجتان بشكل غريب، والابتسامة لا تفارق محياه. أخبرني أنه كان إلى قبل عامين يعاني من شلل نصفي، وأن زوجته تركته لأنه لم يعد قادرا على إعالتها. وعدا إلقاء التحية لم يمد له أي صديق يد العون. ولم يبق له من أمل سوى أن يأتي إلى هنا من تزنيت سيرا على الأقدام، قاطعا ألف كيلومتر. ويقول إنه شفي اليوم وهو حر. كما أن سكان القرية يقدمون له الطعام. الهمتني قصته الشجاعة، فحملت حالي وعدت إلى صخرتي في طنجة. لم أكن أعرف كم من الوقت سيستغرق إلى أن تتحقق أمنياتي، ناهيك عن الطريقة التي سيحدث بها ذلك. علي أي يبقى الشيء الوحيد الذي أنا

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي – والدته مع زميلاتها في العمل، هامبورغ 1963

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي – بطاقة العمل لوالده، هامبورغ 1960

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي – شخص بدون مأوى

متيقنة منه هو أن هذه التجربة منحتني مرة أخرى شيئا من القوة على الاحتمال والصبر. وكان حالي مثلما وقع لهؤلاء الرجال الذين ذهبوا، من هنا لأول مرة، من مرفئ المدينة إلى بلد أجنبي اعتقادا منهم أن إقامتهم لن تدوم طويلا، بل سيجنون شيئا من الذهب ويعودون بسرعة إلى ديارهم كما كانوا يقولون. غير أن غربتهم طالت أكثر مما كانوا يتوقعون، لا سيما بعد أن اكتشفوا أن هذا الكنز مبعثر على كومة كبيرة من القذارة. بدل ذلك راحوا يكدسون غرفهم بأشياء من وطنهم تذكرهم بالوطن الأم، لاجئين إلى الصلاة علها تقيهم خطر الانجرار إلى فتنة الخمر. كان والدنا قد أخبرنا عن أول يوم له في العمل لدى شركة كبيرة لتوزيع المواد الغذائية، فنظرًا لأن لغته الألمانية لم تكن لتسعفه على فهم ما يجري، أمره رئيس العمال باتباع ما يقوم به زملائه. وهكذا وقف وظهره إلى مخزن التبريد، لكي يضع زميل له البضاعة على كتفه، نظر من حوله فرأى ان الأمر يتعلق بنصف خنزير، فأغمي عليه وسقط أرضا، ولم يقف على قدمه إلا بعد أن حرره زملاءه من هذا الوضع. وتكفيرا على هذا الذنب، أمضى الليالي وهو يناقش الأمر مع اخوانه المسلمين ويصلي إلى أن انطبعت جباههم بآثار السجود. كانوا يتطيرون من الكحول، ومن كل ما هو غير مألوف لديهم، متمسكين بكل صرامة بأهداب عقيدتهم. وبعد وفاة زوجته؛ أي أمي بدأ يتعود على الذهاب مساء إلى حديقة مجاورة رفقة بعض أصدقائه. كان ينتظر إلى أن يخلي السكارى الحديقة بحثا عن مكان يبيتون فيه، فيستلقي على أحد المقاعد طلبا للراحة. حدث ذات مرة أن أصيب بذبحة صدرية، فسقط على جانب واحد، وكانت يده ممدودة كما لو أنها مدت لتناول قنينة بيرة. مضى على حاله هذا يومين إلى أن لاحظ المارة أنه ليس مخمورا، بل يتعلق الأمر بشخص في وضعية صحية ليست على ما يرام.

كان الحصى يحدث صريرا تحت عجلات سيارة الشرطة التي تسير على مهل. وكان الشرطيان يقودان سيارتها على العشب وهما مبسوطان. وبينما السيارة تتحرك وقفت حمامة في طريقها تلقط ما تناثر من فتات الخبز هنا وهناك. وعندما وصلت السيارة على مستوى الحمامة انعطفت عليها بحذر، وواصلت طريقها في اتجاه شخصين بسحنة إفريقية كانا يتناولان فطورهما. وبشكل روتيني أخرجا وثائقهما، حتى قبل أن يطلب الشرطيان ذلك. أما أنا فانحنيت على الماء لألقي نظرة على انعكاسي وجهي على سطح النهر. لم أستطع معرفة ما إذا كنت قد تقدمت في العمر أم لا، لا سيما أنه لم يكن أحد من حولي يخاطبني قائلا:" أنت لم تتغيري على الإطلاق". ولم أعد أشعر بالرائحة القوية المنبعثة مني. ومع ذلك لم تترك لا الشمس ولا المطر أي تجاعيد أو أثر على بشرتي. أم شعري فلا يزال أسودًا ولامعًا كما كان الحال في شبابي، فكل ما تغير فيه أنه زاد طوله وأضحى يلامس سطح المياه. على الرغم من أنني لم أستخدم فرشاة أسنان لمدة 10 سنوات، بدل من ذلك كنت أنظفها بإصبعي فقط، إلا أن أسناني لا تزال بصحة جيدة. أما الطعام الذي تقدمه الكنائس بشكل منتظم،، فهو جيد جدًا، وهذا هو السبب ربما في أن صحتي لم تتدهور. حتى ولو حدث ذلك، فمن أي لي أن أعرف، فالرابعة والثلاثون ليست سنًا يمكن للمرء أن يلاحظ فيه تغييرات كبيرة. لا أعرف ما الذي كنت سأفعله اليوم لو كانت حياتي سارت في اتجاه مختلف. فخلال الفترة التي أمضيتها في طنجة، غالبا ما كنت أمني نفسي بامتلاك ضيعة، فأرى نفسي هناك وأنا واقفة على السرادق مساء، وأثناء النهار مرتدية غطاء الرأس ونظارات كلتك التي كانت تحملها بريجيت باردو، وأنا أقود سيارة رياضية مكشوفة السقف بين منعرجات كوت دا زور. كنت أتطلع إلى تقليد عدد من نجمات

السينما، على عكس والدتي التي لم اتخذها أبدا قدوة لي وهي التي لم تكن تعرف سوى الحزن والنحيب. وقفت أمام بلدية فرانكفورت بهندستها الرومانية، حيث عروسان يركبان سيارة ليموزين، وفي غضون دقائق قليلة سيرتبطان برباط الزوجية الأبدي. في الواقع كنت أتمنى الزواج وإنجاب الأطفال. آنذاك كنت أعتقد أن حبي لعمي خالد للأبد، لم أكن على علم بالوضع الذي كنا فيه. وكنت أثق بنواياه عندما أخبرني ألا أبوح بهذا السر لأحد ما. استمر الأمر على ما هو عليه إلى أن قدم لي في يوم ما خطيبته. غير أن مخاوفه لم تكن مبررة فمن هو الشخص الذي كنت سأبوح له بهذا السر؟ لقد كان الانسان الوحيد الذي أمكن لي أن أثق به. فلكي ينقذ نفسه من هذا الموقف، أراد وبمباركة والدي بيعي لرجل عجوز عبر تزويجي منه. لذا قام بدعوته إلى المنزل، وقدم له مشروب كوكاكولا والبسكويت. أما بالنسبة لي فكان الأمر واضحا لا رجعة فيه، أفضل أن أرتدي زيا من الصبار بدلاً من أن أقيم علاقة برجل مرة أخرى. بيد مرتعشة تناول كأس المشروب، وشرب فأصيب بغصة لأنه لم يكن متعودا على شرب المشروبات الغازية. كنت أتمنى له الموت، وكان من الممكن أن يكون ذلك أفضل الخيارات السيئة، ولكنه لم يمت. وكصرخة أخيرة، كتبت رسالة استنجد فيها من ابنة عمي المقيمة في فرانكفورت. فَصَّلت لها في الرسالة بإسهاب عن نواياي الانتحارية. بعد أسبوعين استلمت منها ظرفا سميكًا بداخله جواز سفرها. فودعت جميع صديقاتي بالمدرسة الخاصة، ووزعت عليهم كل ممتلكاتي ووعدتهم بالكتابة إليهن. كنت مصرة على أن أبدأ حياة جديدة، وأن اعتبر يوم وصولي هو يوم ولدت فيه من جديد. جعلتني فرحتي أن أنسى كل سنوات العجز هذه. كنت ممتلئة بالطاقة الايجابية، فأخيراً تمكنت من تقرير مصير حياتي. حقيقة أن والديّ استقبلاني ببرودة، إلا أن هذا لم يكن له أي معنى بالنسبة لي، تمامًا كما أضحيا هما أيضا بدون أهمية في نظري. كان لابد من توضيح بعض الإجراءات الرسمية مع سلطات الهجرة، بما في ذلك كيف ومتى دخلت البلاد. لكن مقارنة بالأوقات العصيبة والسيئة التي تركتها ورائي، كانت هذه المشاكل بسيطة. فأنا أصلا مولودة هنا، هل توجد حجة أخرى أقوى من هذه؟ بعد ضغوط طويلة ومتواصلة من والدايّ، سألاني ماذا أنا فاعلة إذا حرمتني سلطات الهجرة من حقي في الاقامة؟ فأجبتهم بشكل عفوي ودون تفكير: "عندها سأتزوج ألمانيًا." مجرد أن يفكر والداي في أن ابنتهما ستتزوج شخصا غريبا أو "كلبا" كما كانا يسميان كل شخص من ديانة مختلفة، كانت له عواقب غريبة. فوالدتي لجأت للبكاء طوال الليل، وأبي راح يصلي حتى الفجر. من الواضح أنهما كانا يحاولان تبرئة ضميرهما لا غير. ولكنني أدركت أنه عندما يتخذان قرارا، أكون أنا آخر همهما. شعرت بشيء من الرضا، على الرغم من أنه لم يكن مقصودًا، إلا أنني شعرت براحة وأنا أراهما معذبين مهيضا الجناح. خرج العرسان للتو، وحبات الأرز تتناثر على

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي - ضمن فريق إف سي ماروك، 1976 فرانكفورت

رأسيهما، فيما سدادات الفلين تحدث فرقعة وهي تطير من قناني الشامبانيا. راح الجميع يعانقهما ويصافحهما. بينما أنا واصلت الخطى دافعة عربتي في اتجاه شارع التسايل التجاري في قلب فرانكفورت. كانت بداية الصباح تفيض دفئا، فيما النظرات صاحية تتحسس جيوبها خوفا من السرقة. أما المحلات فصارت مليئة بالحيوية، ولا رأفة بالمترددين الذين يجدون أنفسهم خارج إيقاع العالم هذا. ففي الحركة بركة. يستقبل الهندي اليوم الجديد بفرك يديه واضعا يديه على المجلات المنضدة بعناية. صار يحيي كافة الزبائن بطريقة ودية وابتسامة دافئة، عارضا عليهم مجلاته وكأنها تتضمن قصة من تأليفه هو. أعتقد أن هذه هي وظيفته التي يؤديها بفخر واضح وبلا كلل من الصباح إلى آخر طبعات المساء. عندما نلتقي نحيي بعضنا البعض بأعيننا. يلف جريدة ويحضرها إلي مع فنجان من الورق المقوى مليء بالقهوة. يفعل ذلك كل صباح بسرور واضح. لم يسبق لي أن تبادلت معه كلمة واحدة، فأنا أخمن أنه هندي، لا أعرف لماذا، كما أنني لا أعرف لماذا يهديني صحيفة كل صباح. وزيادة في البهجة التي يمنحها لي كل صباح، فإنه يصر أن يعطيني كل مرة صحيفة أو مجلة مختلفة، كما أنه يعامل زبائنه بنفس الود. لا يهمه ما إذا كان شخص ما سيشتري دير شبيغل أو روندشاو أو صحيفة بيلد أو مجلة شتيرن. علما أن مشتري المجلة الأسبوعية دير شبيغل يزيد سعرها عشرة مرات عن صحيفة بيلد الصفراء. فهل إيمانه بتناسخ الأرواح هو ما يجعله يتصرف بهذا اللطف؟ كما لو أن روحه ستحل في نبتة أو حيوان أو إنسان ما؟ إنه الانسان الوحيد الذي أحبه قلبي. فهو على سبيل المثال لم يسبق له أن شعر بالضيق على الإطلاق أنني أخوض أحاديث مع نفسي. عندما كنت أحدث نفسي بهذه الطريقة في طنجة، كي لا أنسى اللغة الألمانية، لاحظت أن زملائي في الفصل بدأوا يتحاشونني تباعا. وهكذا لم أعد أدعى إلى الحفلات التي كان ينظمها بعض منهم ممن سبق لهم أن عاشوا لردح من الزمن في الخارج وشاطروني نفس المصير. أظن أن الكثير منهم يتحدثون مع أنفسهم، دون أن ينتبه إليهم أحد، كما أنني أشك

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي – رفقة والدته وخالته

أيضًا في أن أي شخص يمشي هنا بهاتف محمول ويصرخ، أنه يتحدث في الواقع مع شخص آخر. أولئك الأشخاص الذين لا رأي لهم، هم وحدهم لا يحتاجون للحديث مع أنفسهم. هؤلاء الذين يشترون الصحف أو المجلات ويقرؤون بها أراء وتعليقات جاهزة، وفي المساء يلتقون بأشخاص تشبههم في التفكير للمقارنة بين مستوياتهم الثقافية، وهم غارقون في مستنقع المعلومات التي استقوها من الغير، ويعودون إلى منازلهم بسعادة غامرة مطمئنين إلى ما أدركوا من سعة المعلومات التي جمعوها. الحديث مع الذات هي الوسيلة الوحيدة لإحلال السلام بداخلي. عبره فقط، أستطيع أن أبوح لذاتي عن أي شيء وفي أي وقت، دون خجل أو محرمات. درجت على أن أناقش المواضيع المكبوتة بداخلي كي أحيط بها وأعالجها حتى لا تبقى مكبوتة في دواخلي. فكلما تم تطوير مثل هذا الحوار، كلما تمكنت من التعامل بشكل أفضل مع طرق التفكير والقرارات، أو الشك فيها أو قبولها دون حاجة للركون إلى ثقة الآخرين. وعندما أدركت أن والداي كانا يخجلان من سلوكي ويعزلاني عند زيارة الأقارب، بدأت أتحدث مع نفسي بلغتين. استمر الأمر على هذا النحو إلى أن قام أبي في أحد الأيام برميي بمزهرية بحضور الأقارب من فرط غضبه. كانت هذه أول مرة أغادر فيها المنزل وأنا هائمة في الطرقات دون أن أعرف إلى أي وجهة أسير. عادت بي الذاكرة إلى فترة المدرسة الابتدائية بحي نيدراد في فرانكفورت، عندما كان والدي يصر على التأكد من أنني أستغل فترة ما بعد المدرسة في أمور جيدة. وكان علي أن استغل الوقت الذي أغادر فيه المدرسة لأكتب " لا لن أكون من بنات الشوارع" خمسمئة مرة قبل أن يعود من عمله. وهكذا رحت أدندن بهذه الجملة الغبية بعد أن كررتها مئة وخمسين مرة، أرددها وأنا أشعر بفخر من أنني كتبت لحنا موسيقيا. بعد فترة من التيهان في الشوارع، بحثت عن صديقات المدرسة القدامى، معظمهن كن متزوجات ولديهن أطفال أو وظائف أو هما معا، ويعشن في عالم غريب عني. كان علي أن أدرك أنه على الرغم من أنني ما زلت أتقن اللغة، إلا أنني أنا فقط أفهم واستوعب نمط تفكيري. وعندما قابلت ابنت عمي ذات يوم، أخبرتني أنه بعد أن قدم والداي بلاغًا عني كشخص مفقود، كان يتنقلان باستمرار في جميع أنحاء ألمانيا للتعرف على جثث إناث توقعا أن تكون إحداها لي. وقد أقنعتني بالذهاب إليهما. كان الهندي منتشيا وهو يطوي منشوراته واحدة تلو الأخرى، ويستلم النقود من الزبائن مبتسما كعادته. عندئذ اقترب فريدي بكلبه الضخم. كان قد أخفى رأسه تحت حواف قبعته الجلدية العريضة، وجسمه النحيف مخبأ تحت عباءة البونشو الفضفاضة. كان يمشي وسيارة جمع القمامة وراءه تزاحمه وكلبه الطريق. يمشي مهدودا إلى مكانه المعتاد، حيث بناية البريد العتيقة. لقد اتخذه مكانه المعتاد منذ سنتين. كان إلى وقت قريب، يعزف على الغيتار طوال اليوم. غير أنني لاحظت أنه توقف عن ذلك منذ عدة أيام. إذ أخبرني في آخر وجبة غذاء تناولناها بالكنيسة أنه أمسى منهوكا، أفقده التعب أخر ما لديه من قوة يحتاجها لشحذ طاقته. كما أن عيناه كانتا قد احتقنتا بالدماء وأصبحتا حمراوان. فتحت المحال التجارية أبوابها الزجاجية. ووقف حراس سود عند الأبواب يحرسون البوابات. وفاحت روائح من أمكنة مستحضرات التجميل والعطور الموجودة عند المداخل، فيما وقفت نساء أكثرن من التزين والماكياج حائرات أمام الواجهات. أما على الجانب الآخر، فالعمال يكدحون بنشاط وحيوية لإتمام المبنى الجديد الذي سيتم افتتاحه عما قريب. وهو الآخر سيكون مخصصا للعطور التي تلقى رواجا كبيرا. كانت الموظفة في مكتب الهجرة تشتكي من رائحتي الكريهة. وهذا بالنسبة لي فضول زائد في حاسة شمها. حاولت بدوري أن أشرح لها أنني لا أحضر عن طيب خاطر، وأن الرائحة الكريهة المنبعثة من تفسخ روحها يثير اشمئزازي أيضًا، حتى أنني خشيت أن أصاب بعدوى البكتيريا المتعفنة والعدائية لديها. لقد أرهقتني بضرورة الحضور إلى مكتبها وبرفضها المستمر لكل الحلول. بالنسبة لها لا يوجد حل آخر سوى العودة إلى بلدي والتسول هناك. بالرغم من أنني خرجت منتصرة من معركة حق الإقامة، ولكنني فقدت كل أوهام الانتماء إلى الوطن. لقد سلب مني ذلك الرغبة في الانتماء إلى أي مكان وإلى أي مجتمع. وهكذا غذا الشارع وطني. غير أن الشارع لا يعرف المستقبل، بل فقط الحاضر يطارده الماضي. ففي منظور الأحذية اللامعة أنها تستحق ما تدوس عليه. المتشرد والمدمن والمتسول هي مجرد مصطلحات تقابلها في الطرف الأخر كلمات من قبيل الناجح والطموح. فبنظرة سريعة حول شخص يخطو من أمامك تدلك على مدى النجاح الذي حققه هذا أو الفشل الذي مني به آخر. أحيانا كنت ألحظ كيف أن أحد معارفي وفي حركة تثير السخرية، يحاول تفادي رؤيتي إما بالاختباء خلف المارة الآخرين أو عائدا من حيث أتى. أما بعضهم فكانوا أكثر وقاحة وهم يمدون لي مبالغ كبيرة على أمل أن أشتري بها تذكرة لأسافر إلى مدينة بعيدة عن هنا. لم يحدث وجاءت أي من صديقاتي السابقات وتحدثت معي ولو بكلمة لي. كما لو كن يخشين عند انحنائهن علي، من فقدان ألقابهن الجميلة، كما تضيع سلسلة ذهبية فضفاضة. الرجل الأسود الطويل يتسلل خلسة على طول واجهات المحلات، منهكا وملفوفاً في بطانية رمادية، إلى أن وصل أمام واجهة متجر الأجهزة الالكترونية فمد ساقيه واضعا كوبا من الورق المقوى أمامه، فيما الموسيقى تصدح من أحدث أجهزة مكبرات الصوت المنبعثة من المحل. هو الآخر يعاني من كثر التفتيش بدون انقطاع بالرغم من

أن بحوزته حق الإقامة. فغالبًا ما سألت نفسي عن الحالة التي تعجز فيها حتى غريزة البشر الطبيعية؛ الخجل عن اعفاء المرء من معايشة هذه الاهانات. بقامة ممشوقة ومنكبين عريضين يقف بلا انحناء، كان أحينا ينهض فجأة وهو يحضن شجرة، قبل أن يعود للجلوس مرة أخرى وهو يضحك ويبكي في الآن نفسه. مركز المدينة الذي كان لا يزال يغط في سكونه، سرعان ما دبت فيه الحركة، وكان الفرنسي هو أول من شرع في تجهيز منصة عرضه. راح يرتدي بذلته البيضاء مزينا وجهه وما بدا من يديه باللون الأبيض، قبل أن يقف متصلبا كتمثال طوال اليوم، إلى أن تختفي الحدود تماما بين الرائي والمرئي. وكانت أولى الغجريات قد هرولت إلى الساحة المخصصة للمشاة بحثًا عن أشخاص يتطلعون لمعرفة طالعهم. أما أولى زمر باعة المخدرات فيمشون بخطى حثيثة إلى المكان الذي غذا مكانهم المفضل. أما النشالون فيقومون بتمارين خفيفة لتدريب أصابعهم على التسلل إلى جيوب الآخرين، فيما الموسيقيين يقومون بضبط آلاتهم ليسبغوا على اليوم بما يناسبه من بهجة. أما أنا فشرعت بتدوين أولى ملاحظاتي: في آخر مرة رأيت فيها أبي حيا، كان في هذا المكان، عندما وقف أمام قدمي يترجاني أن أنقذه من هذا العار، ويتوسل إلي أن أعود معه إلى المنزل. كان على أتم الاستعداد أن يغفر لي كل شيء وينسى كل الآلام التي تجرعها بسببي. سألني آنذاك عما أنا فاعلة للحصول على إقامة شرعية، فكان ردي "أنني سأتزوج كلبا". كان قد امتعض من جوابي، وهو ينهاني عن الحديث بهذه الطريقة عن زوجي المستقبلي، وطلب مني أن أدعوه لزيارة الأهل. ربما كان يأمل أن يخرجني الزواج من العيش في الشوارع، كان مستعدًا لتلبية أي شيء أطلبه. وجريا على العادة في مثل هذه المناسبات، دعا الأقارب، وقامت أمي بطبخ أشهى الأطباق، وتزيين المائدة بألذ الحلويات. أما الزوار فكانوا يرتدون الملابس المخصصة للحفلات، وينتظرون عودة الابنة الضالة. ساد صمت في الغرفة وأنا أدخل برفقة الكلب الذي استعرته من فريدي. وبعد أن رحبت بالضيوف قلت لهم " هل تسمحوا لي أن أقدم لكم "زوج المستقبل".

تصوير: عبد اللطيف اليوسفي – والدا أمه، المغرب

منطقة عازلة

وقف شاب نحيف أمام واجهة النافذة. كست وجهه لحية خفيفة، شعره أشعث، ويتنقل من نافذة إلى أخرى. نظر إلى الخارج وقال شيئًا لم يفهمه موريتس. كان موريتس لا يزال مخدرًا بسبب المواد التي أُعطيت له. تدريجيا، بدأ يستشعر المكان الذي هو فيه، ترجل ببطء إلى ركن من الغرفة وبدأ يربت بيديه على حز الحائط؟ برفق. كان مفتونًا بالإحكام والدقة لدرجة أنه ظل يمرر راحة يديه وهي تنزلق من الأعلى إلى الأسفل، منبهرا بالفنان الذي أبدع مثل هذا العمل الفريد من نوعه. لم يستطع الابتعاد عن الزاوية، وظل يتخيل كيف أن صانع هذا العمل بمجرفته استطاع، بصبر لا حدود له، دمج الجدران مع بعضها بهذا الانسجام. في هذه الأثناء اقترب منه الرجل الهزيل الذي كان يخاطب نفسه وسجائر عالقة بين أصابع يديه المفلطحة/ المفرودة التي رأى فيها موريتس رأس تمثال الحرية. فانهمرت الكلمات من فمه:لا مجال للتفكير، تصرف فقط دون تفكير. فغالبا ما نعلق في أطراف جمل وأحداث براقة تطوقنا من كل جانب. وهي إشارة ضمنية لتعويض الخوف من الحرمان من بالفوز بشيء ما. وإذا ما انجر المرء وراء ذلك، سيجد نفسه منسلخا عن الواقع وسيعتقد أن الشيطان نفسه يقوم بالخير أحيانا. ومع ذلك، فإن الانكسارات الذاتية عميقة لدرجة تجعل المرء يتشبث بسرعة بكل جديد معتبرا إياه من مسارات الدماغ، وقد اكتسبت الثقة بالنفس مهارة في الخداع لدرجة أنه حتى كل تعبير مبتذل يتم الاحتفال به على أنه من بنات أفكاره. "نحن لا نعرف بعضنا البعض، أليس كذلك؟" سأل موريتس الذي كان لا يزال مشغولاً بالزاوية. "نحن لا نعرف بعضنا البعض؟"، كررها الرجل وهو يمد يده والسجائر بها لتحية موريتس. أراد موريتس سحب إحداها عندما همس الرجل في أذنيه بعينين جاحظتين: "لا، لا، لا تلمسها لا تلمسها بتاتا. وسأل مرة أخرى: "نحن لا نعرف بعضنا البعض، أليس كذلك؟ أنا مخترع، غير أن المخترعين لا مكان لهم في هذا البلد ". بدأ يسعل بشدة، وهو يضع يده على فمه كما لو أنه خائف من أن تقفز اللوزتين من حلقه. غير أنه بعد أن هدأت نوبته، وضع سيجارة في فمه وواصل حديثه: "أنا مخترع أول نظام للنيكوتين يعمل بشكل ذاتي كسماعات بتقنية التعرف على الكلام، كما هي الحال مع الهاتف الخلوي. فأثناء القيادة أو المحادثة، كل ما عليك فعله هو قول رقم أو كلمة ليتدفق النيكوتين على الفور عبر إبرة مجوفة في الوريد. وإذا كنت تسأل عن المزايا؟ فلا متاعب مع المتشددين من غير المدخنين، ولا مشاكل مع المناطق التي يمنع فيها التدخين، ولا دخان مزعج، وتجنب سحابات الدخان الكثيفة لمرضى الرئة، ولا حظر للقبل، ولا اصفرار في الأصابع أو ستائر أو ورق الجدران. كل شيء يعمل بشكل غير مرئي، إذا أردت، يمكنك إخفاء إدمانك إلى الأبد." ترك موريتس واقفًا وتوجه إلى النافذة التالية ومن هناك إلى عمود توقف أمامه. أما السجائر بين أصابعه فاحترقت بكاملها، باستثناء سيجارة واحدة. وتحدث إلى العمود: "نحن لا نعرف بعضنا البعض، لا نعرف بعضنا البعض، أليس كذلك؟ اسمح لي، شترام، ماكس شترام. سبق أن رأيتك، لكن لا أتذكر أين. هل تريد سيجارة؟ انت لا تدخن؟ جيد جدا. هل تتساءل لماذا أفعل شيئًا عكس ما هو جيد للغاية؟ لا مجال للفلسفة، هل فهمت؟ وإلا ستكون خارج الحلبة. التفكير يعني إضاعة الوقت، والابتعاد عن مضمار السباق. لا نخدع أنفسنا، لا يوجد بديل، مضمار السرعة، لا غير. ولا شيء آخر. بالطبع إن ذلك مرهق، ولامجال لأي استراحة. ما فائدة التأمينات؟ للحوادث غير المتوقعة، أتفهم ذلك؟ ادفع الكرة الأرضية أمامك بعناية، واضبط السرعة بنفسك. هل يبدو هذا متناقضا بالنسبة لك؟ أنت غارق في العقلانية. هناك طريقتان فقط للحياة: إما أن تحصل على المال بشيء من الحظ أو أن تكون سعيدا بقليل من المال. فقط بالمال يمكنك المضي قدمًا إلى الأمام. لا يمكنك بالحظ العيش على القمر، ولكن المال يحقق لك ذلك. لا تكن دوغمائيا. بكل تأكيد يمكنك العيش هناك. فإذا كان الحمام يستطيع العيش في محطات مترو الأنفاق، يمكن للبشر العيش على القمر أيضا. الطبيعة من اختراع الرومانسيين. سيعيش الناس أيضًا على الأرض حتى لو انعدمت وسائل التنفس، ولم تعدالمحيطات سوى كتلة لزجة. سمك في هلام، أتفهم؟ قد يحتاج الشخص إلى ثلاث رئات وأربع كلى وقلبين. يبدو الأمر تجديف، ولكن سيكون لدينا مستودع من قطع الغيار. كل شيء بوقته. هل تريد سيجارة؟ آسف لقد نسيت، أنك لا تدخن. هل لدي اطفال؟ لا لا. سبق أن ناقشت الأمر مع مستشاري المالي. شكل الاستثمار هذا، عفا عليه الزمن، أتفهم؟ طويل الأجل وأرباحه غير مضمونة، لا يتناسب مع هيكلنا. انتشار الاستهلاك كالشره المرضي. بدلاً من حقائب المدارس حواسب Notebook وبرامج باهظة الثمن . لم يعد الأطفال ملكا لنا. سوف نضطر إلى تأسيس جمعية للآباء ومناشدة الأطفال من خلال الإعلانات التجارية، لا لا. فعندما يتعلق الأمر باستراتيجيتي الخاصة بي في الاستثمار، فإن لي إحساس جيد. لقد حققت كل شيء، والآن أريد أن آخذ قسطًا من الراحة، والحصول على قطعة أرض في منطقة عازلة لأواصل الابتكار. أين توجد هذه المنطقة؟ في كل مكان على الحدود بين دولتين. ربما تعلم بهذا، إذا سبق لك أن هاجرت، هناك دائما بضع مئات من الأمتار بين نقطتي حدود مثل شريط يمتد على طول الحدود. ولكن عليك أولاً إيجاد شخص يبيع المنطقة العازلة. يجب التخطيط لكل خطوة، إذا أراد الآخرون وضع حياتهم رهن أيدي القدر. أما أنا فلا. الانتقال إلى دولة غير أوروبية؟ لا أبدا. لن أتحول بأي حال من الأحوال إلى أجنبي في هذه السن المتقدمة. الشرقيون على سبيل المثال: يتظاهرون بأنهم يتلون أشعارا غنائية وهم ويعلنون حكم الإعدام. أو الصيني الذي يبتسم لك، بينما يقوم بتزييت المقصلة ليخبرك بنبرة احتفالية أن للناس الحق في الراحة. أنا أفضل المفردات غير المنمقة الصريحة والمباشرة الصارمة. أو الهندي هذا المتحكم في الجسم بإيقاف ضرطة قوية قبل الخروج مباشرة وتحريكها للعودة إلى الوراء. ولكن هل يستطيع أن يكسب الهندي رزقه من هذا؟ الأجانب في المتحف، بكل فرح، ولكن إذا نازعتهم في رزقهم ينتهي حسن الضيافة. دعني أخبرك أن الضيافة هي أنانية خالصة، استثمار بحت. بالمناسبة هي استثمار محفوف بالمخاطر. لا تقل لي نكران الذات. إنهم يتوقعون أن يتم الرد بالمثل. فالشخص الثري لا يتكبد خسائر إلا بالضيافة. أي شخص لا يفهم مثل هذه الأشياء الصغيرة سوف يغفو منذهلا في الظل حتى الشيخوخة. أتفهم. أفضل البقاء هنا وأبتكر."

سيرة[حياتي]

تصوير: ماكونين / بيكساباي - آثار، المغرب

مشروع مشترك لكل من جامعة ماغدبورغ - شتيندال وشبكة الكفاءات المغربية في ألمانيا

بدعم من

DOMiD Dokumentationszentrum und Museum über die Migration in Deutschland e.V.

h2 Hochschule Magdeburg • Stendal

Stadt Frankfurt am Main

Amt für multikulturelle Angelegenheiten Frankfurt am Main

Hanns Seidel Stiftung

Deutsch-Marokkanisches Kompetenznetzwerk e.V.